**T.C.**

**İNÖNÜ ÜNİVERSİTESİ**

**İLAHİYAT FAKÜLTESİ**

**TEMEL İSLAM BİLİMLERİ**

**ARAP DİLİ VE BELÂGATİ ANA BİLİM DALI**

# الأغراض الشعرية عند الحَدَّاد

(١٦٣٤-١٧٢٠م)

بحث لنيل درجة الماجستير باللغة العربية

DANIŞMAN

**Dr. Öğr. Üyesi Hüseyin POLAT**

HAZIRLAYAN

**Ahmed el-HAMMUD**

**MALATYA-2020**

# المقدّمة

إنَّ مَن يَطَّلِع على تاريخ الشُّعراء الحَضَارِمَة يجد أنَّهم لم يكن بهم قِصَرُ باعٍ في فنِّ الشِّعر، لكنَّ الجمود والإهمال لتراثهم أدَّيَا إلى جهلِ كثيرٍ من النَّاس –خارج إقليم حضرموت– بشعرِهم، وعدمِ الاطِّلاع عليه، وقد كان هذا الباعث الأوَّل لاختيار موضوع البحث.

فالتُّراثُ الشِّعريُّ الحضرميُّ على العموم لم يحظَ بمزيد عنايةٍ من الباحثين في الدِّراسات الأدبية، فجاء هذا البحث لينفض شيئاً من الغبار الذي عَلَا التُّراث الحضرمي الأدبيّ، وقد أثبت مَن أَرَّخَ للشُّعراء الحضارمة ذُيُوعَ صِيتِ الحَدَّاد في الأَوسَاطِ الحَضرَمِيَّة وعِظَم انتفاع الحضارمة بمؤلَّفاته العلميَّة، فكان هذا باعثاً آخر لاختيار الإنتاج الأدبي للشاعر الحَدَّاد على وجه الخصوص من بين تراث الشعراء الحضارمة، يضاف إلى هذا أنَّه على الرغم من ذيوع شهرته العلمية وكثرة الدِّراسات التي تناولت فكره وعمله الدعوي، لا يكاد يلمح بينها مَن أفرَدَ شعرَه بالدراسة المتكاملة وتسليط الضوء على أغراضه الشِّعريَّة، إلى جانبِ كون تراث الحَدَّاد بشِقَّيه العلمي والأدبي زاداً لكثيرٍ من دعاة الإسلام إلى اليوم في الشَّرق والغرب.

لذا فقد كان هدف هذا البحث إعطاءَ صورَةٍ متكاملة عن عبد الله الحَدَّاد بدايةً، و مِن ثمَّ تناولِ ديوانه الشعري على الخصوص من خِلال المنهج الاستقرائي، والإشارة إلى ما يُلحَظ فيه من ظواهر بارزة، باستقصاء الأغراض التي أقلَّ فيها، وما أودعه من أغراض في قصائده الطِّوال، ومِن ثَمَّ الانطلاق إلى الأغراض الشعرية الكبرى التي صبَّ في قوالبها شعره وتبيان المحاور الأساسية التي نظمَه عليها، والأشكال التي جاء فيها، والمؤثِّرات التي أَثَرَت هذه الأغراض، وإبراز بعض ما استخدمه في قصائده من أساليب البلاغة، ودراسة الألفاظ والتراكيب في قصائد كل غرض، ومحاولة إظهار الناحية الجمالية للنص الأدبي عند الحَدَّاد، وتكمن أهميَّة

البحث في كونه الأوَّل في دراسة ديوان الشاعر كاملاً دراسةً أدبيَّة أكاديمية، إضافةً لكونه خِدمةً لتراث العلماء المسلمين المصلحين، وخدمةً للغة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهَّرة.

وقد رَكَّزت البحوث والدراسات السابقة حول الحَدَّاد على الجانب الفكريّ من نِتاجه وخاصَّةً مباحث الأخلاق التي تناولها في كتبه، فمِنها ما كتبه الدكتور مصطفى بدوي "الحَدَّاد سيرته ومنهجه الفكري"(١٩٩٣م)، ومنها رسالة دكتوراه لشادي المصري باللغة الإنجليزية في إحدى الجامعات البريطانية والتي دارت حول "العمل والفكر الدعوي الإسلامي عند الحَدَّاد"(٢٠١٧)، ومنها "منهج الحَدَّاد في العقيدة" لأحمد حسن صالح، أمَّا ما يتعلق بالبحوث التي أخذت على عاتقها دراسة الجانب الأدبي فقد تناولت البحوث السابقة دراسة قصائدَ متفرِّقة من ديوانه؛ كشرح القصيدة البائية لأحمد بن زين والتي أسماها "الموارد الرويَّة الهنيَّة"، وشَرحَ القصيدة ذاتها أحمد السَّقَّاف بكتاب أسماه "علاج الأمراض الرديَّة"، و"شرح العينيَّة الكبرى" لأحمد بن زين الذي تناول فيها تراجم المذكورين من الرجال في هذه القصيدة، وشرح قصيدة "نسيم حاجر" لابن سميط، وشرح قصيدة "إذا شئتَ أن تَحيا سعيداً مدى العمرِ"، وشرح قصيدة "يا رب يا عالم الحال"، إلَّا أنَّ هذه البحوث لم تولِ الجانبَ الأدبيّ في القصائد بالغَ اهتمام، وإنَّما كان إيلاؤُها الاهتمامَ الأكبر إيضاحَ ما يرمي إليه الحَدَّاد من وَصايا وبعضها – كما في شرح قصيدة نسيم حاجر– حاول فكَّ الرُّموز الغزليَّة المطوِيَّة في القصيدة، وكلها كانت تبحث ما يدعم هذه القصائد من نصوص الشَّريعة وتعريف المصطلحات الأخلاقية الواردة فيها بشكل دقيق، ومحاولة إيصالها بشكل نثريٍّ مُوَسَّع، إلَّا أنَّه لم يُكتَب –حسب اطِّلاعي– في مُجمَل نتاجه الأدبي بالتحديد وتسليط الضوء على مُجمَل الأغراض الشعرية في ديوانه ومناقشتها بشكل أكاديمي علمي ولذلك جاءت هذه الدراسة.

وقد اشتمل البحث على مدخل وفصلين وخاتمة؛ كان الكلامُ في **المدخل** على معنى الأدب والشعر ومكانته في اللغة العربية، ثمَّ حاولتُ إعطاء صورةٍ موجَزة عن الحدَّاد وأسرته

وحياته الاجتماعيَّة ومؤلَّفاته ولغته فيها، ثمَّ جاء **الفصل الأوَّل** (الديوان والأغراض الصغرى وأغراض القصائد الطِّوال) مُشتَمِلاً على ثلاثة مباحِث، أوَّلها تكَلَّمَ على ديوان الحدَّاد بالإجمال ودرس الظواهر التي برزت فيه، وثانيها تكلَّمَ على الأغراض الشِّعرية الصُّغرى الَّتي أقلَّ منها الحدَّاد، وثالثها تكَلَّمَ على الأغراض الشعرية في قصائِدِ الحدَّادِ الطِّوال؛ ليأتي بعد ذلك **الفصل الثَّاني** (الأغراض الشِّعريَّة الكبرى) الَّتي أكثر منها الحدَّاد وقد احتوى هذا الفصل أيضاً ثلاثةَ مباحِث؛ أوَّلها غرض الوعظ، وثانيها غرض المديح النَّبوي، وثالثها غرض الغزل، وقد جاء في كلِّ مبحثٍ من هذا الفصل المحاور الَّتي دارت عليها هذه الأغراض؛ لينتهي هذا البحث بمجيء **الخاتمَة** الَّتي تَضمَّنت عِدَّة نتائجَ وتوصِيَات.

وإن كنت حريصاً على ذكرِ شيءٍ في هذه المقدِّمَة، فإنَّما هو امتِناني وشُكري الخالِص لأستاذي الدكتور حسين بُلَات الذي تَفَضَّل بالإشراف على هذا البحث، ولَمَ يَألُ جهداً في نصحي وتوجيهي وتذليل كل عقبةٍ كَأْدَاءَ اعترضَت طريق دراستي، كما أشكرُ أساتذتي في قسم اللغة العربية الأستاذ الدكتور صبري تركمان والأستاذ الدكتور عتيق آيدِن، فقد كانوا عوناً لي في دَربِ العلمِ وأُنسَاً في غُربَتي، وابتسموا في وجهي حينَ اكفهَرَّ لِيَ وَجهُ الزَّمان، ولا يسعني إلا امتثال قول القائِل:

أفادتكمُ النَّعمَاءُ منِّي ثَلَاثَةً  يَدِي وَلِسَانِي وَالضَّميرَ المُحَجَّبا

أَحمَد ابرَاهِيم

# المُلَخَّص

قَدَّم البَحْثُ بِدايَةً صورَةً مُتَكَامِلَةً عن الشَّاعرِ –عبدِ اللهِ بنِ عَلَوِيٍّ الحَدَّادِ–، الحَضرَمِيُّ الَّذي أَطبَقَت شُهرَتُهُ الآفاقَ الحضرَمِيَّةَ وَمَا جَاوَرَهَا من البِلَادِ الإِسلَاميَّةِ، ثُمَّ عَطَفَ عَلَى ذَلِكَ الكَلامَ عَلَى دِيوَانِه بالإِجمَالِ وتَلَمَّسَ أَبرزَ المُلَاحَظَاتِ عَليه، وبَيَّن الظَّواهِرَ البارِزةَ فيهِ كالشِّعرِ الحُمَينِيِّ، وَانثَنَى إِلَى الأَغراضِ الشِّعريَّة الصُّغرى الَّتي أَقَلَّ مِنهَا وهي: غرضُ الدُّعاء وغرضُ الرِّثاء، ثُمَّ بَحثَ الأَغرَاضَ الَّتي نُشِرَ طَيُّهَا في قَصَائِدِهِ الطِّوَال، وَانطَلَق بعدَ ذلك في الكَلَام عَلَى أَغرَاضِه الكُبرى الَّتي أَكْثَرَ منهَا وهيَ أَغرَاضُ : الوَعظِ، وَالمدِيحِ النَّبَوِيِّ، وَالغَزَل، مُبرِزاً في ذلكَ كُلِّهِ الأَشكَال الَّتي رَفَلَ بِها كُلُّ غَرَضٍ عَلى حِدَة، إضافَةً إلى تبيَان المحاوِرِ الَّتي دارَت في أفلاكِها هذه الأَغراضُ، وخُتِمَ البَحثُ بعِدَّة نتائجَ وَتَوصِيَات.

**كلمات مفتاحية:** عبد الله الحَدَّاد، الأغراض الشِّعريَّة، الوعظ، المديح النَّبويّ، الشِّعر الحُمَينِيّ، ديوان الدُّر المنظُوم.

# Abstract

The research presented as an introduction an integral image of the poet- Abdullah bin Alawi Al-Haddad- AL-Hadrami, whose fame spread to Hadramout horizons' and its surroundings in Islamic countries.

After that, it added the talk on his collection of poems in general, and sought the distinct notes on it, it also highlighted the remarkable phenomenon in it such as the AL- Hominy Poetry. Then, it moved to the small poetic purposes which were reduced: the purposes of supplication and lamentation .

Then, it discussed the purposes that were published in his long poems, and went to speak on his great purposes that were increased: The Preaching, Prophetic Praise, and the Erotic Poetry drawing the attention in all that the forms that each purpose appeared separately. In addition to, it revealed the main axes in which the purposes turned about them. The research concluded with several results and recommendations.

**Key words**: Abdullah Al-Haddad, Poetic Purposes, Preaching, Prophetic Praise, Al-Humini Poetry, Diwan al-Durr Al-Mandoom.

# Özet

Bu çalışma ilk olarak, şöhreti İslam ülkelerine, Hadramevt ve çevresine yayılmış olan şair Abdullah el-Haddad el- Hadrami hakkında kapsamlı bir çerçeve sunmaktadır.

Bütün olarak divanı hakkında genel bir değerlendirme yapıldıktan sonra divanda yer alan 'Humeyni şiiri' gibi şiirlerinin öne çıkan başlıca karakteristiklerine değinildi. Daha sonra dua ve ağıt gibi nispeten divanda daha az yer alan şiir tarzlarının amaçları ortaya konulmaya çalışıldı.

İlerleyen aşamalarda kasideleri incelendi, gazel, methiye, nasihat türlerinde divanda geniş olarak yer alan şiirlerinin özellikleri ve amaçları tek tek ayrıntılı olarak ele alındı. Buna ek olarak amaçlarda var olan ortak esaslara işaret edildi, sonuç ve tavsiyelerle çalışmaya son verildi.

**Anahtar kelimeler**: Abdullah El-Haddad, Şiirsel Erekler, Öğüt, Naat, El-Humini Şiiri, Divan El-Durr El-Mandoom

## المحتويات

**المقدّمة** ..... I

**المُلَخَّص** ..... IV

**Abstract** ..... V

**Özet** ..... VI

**المحتويات** ..... VII

**الاختصارات** ..... X

## المدخل

تمهيد ..... ١

التَّعريف بعبد الله الحداد ..... ٣

## الفصل الأوَّل

## الدِّيوان وأغراضه الشِّعريَّة الصُّغرَى وقَصَائِدُهِ الطِّوال

**الدِّيوان** ..... **١٥**

تمهيد ..... ١٥

الظواهر البارزة في الدِّيوان ..... ٢١

ظاهرة الشِّعر الحُمَيني ..... ٢١

ظاهرة وصف الزمان الفاسد ..... ٢٤

**الأغراض الشعرية الصُّغرى** ..... **٢٨**

تمهيد ..... ٢٨

غرضا الدُّعاء والرِّثاء ..... ٣١
غرض الدعاء ..... ٣١
غرض الرِّثاء ..... ٣٨
**القصائد الطِّوال ..... ٤٢**
التَّائِيَّة الكبرى ..... ٤٣
الرَّائِيَّة الكبرى ..... ٤٩
البائِيَّة ..... ٥٣
العَينِيَّة الكُبرى ..... ٥٤

## الفصل الثَّاني: الأغراض الشِّعريَّة الكُبرى

**غرض الوعظ ..... ٥٧**
محور التَّحذير من هوى النَّفس ..... ٦٢
محور التَّزهيد في الدُّنيا ..... ٦٤
محور الدَّعوة إلى الأخلاق والنُّصح العام ..... ٦٧
**غرض المديح النَّبويّ ..... ٧٦**
محور مدح الشمائل النبوية ..... ٨٥
محور مدح الجهاد النَّبويّ ..... ٨٨
محور مدح المعجزات ..... ٩١
**غرض الغزل ..... ٩٧**
غَزَل المطالِع ..... ٩٨

غَزَل الكَعبَة المشرَّفة ..... ١٠١

الغَزَلُ الرَّمزِيّ ..... ١٠٤

**الخاتمة والنتيجة ..... ١١١**

**مُلحَق ..... ١١٤**

**المصادر والمراجع ..... ١١٥**

## الاختصارات

**الديوان:** ديوان الحَدَّاد المسمى الدر المنظوم

**ص:** رقم الصفحة

**ج:** رقم الجزء من الكتاب

**ط:** رقم الطبعة

**تح:** تحقيق

**ت:** تاريخ الوفاة

**م:** ميلادي

**هـ:** هجري

**اهـ:** انتهى

# المدخل

## تمهيد

إنَّ اللغةَ –أَيَّ لُغةٍ– إِنَّمَا هيَ وِعَاءُ الفِكرِ والوَسيلَةُ المُعَبِّرَةُ عَنهُ وعنِ العَوَاطِفِ والأَحَاسِيسِ المُختَلِجَةِ في الصُّدورِ، وَهيَ الجَامعُ بَينَ أَفرادِ الأُمَّةِ والرَّابطُ بَينَ ماضِيهم وَحَاضِرِهِم، وتُعَدُّ اللّغة العربيَّة أَقدَمَ اللُّغَاتِ الحَيَّةِ المحكِيَّةِ في العَالَمِ[1]، وتوصَّلت –بعد دراسَةٍ استمرَّت سنينَ– عالمةُ اللُّغويات تحيَّة عبد العزيز أنَّ اللُّغة العربيَّةَ أَصلُ اللُّغاتِ كما أنَّها الأرتَب في قواعدها والأميَز في الاقتصاد من حيث التَّراكيب وقوانين اللُّغة[2]، وَهيَ أوسَعُهَا ثَرَاءً، وَأحظَاهَا خِدمَةً؛ لفظاً وصرفاً وتركيباً ودلالةً ونظماً ونثراً، وما ذاك إلَّا لكونها ارتبطت بوحي السَّمَا، فبلغت به أقصى الشَّأوِ في العُلُوِّ وَالخُلُودِ الأَسمَى، وَصَارَت مِن أَشرَفِ العُلُوم، لِأَنَّ بها يُتَوَصَّلُ إلى فهم كلام الله ورسوله المعصوم *عليه الصلاة والسلام*.

ويسمَّى مجموع الكلام الجيّد منها أدباً[3]، فإذا ما جرى على السَّلِيقَةِ مِن غَيرِ التِزَامِ وَزنٍ عُرِفَ بالنَّثر، أمَّا إذا كان موزوناً مُقَفًّى وامتاز بجودة المعنى وَضُمَّت إليه دِقَّةُ التعبير وتخيُّر الألفاظ وصارَ مَمزوجاً بحسن الخيال ومتانة السَّبك فإنَّهُ يُطلَقُ عليهِ حينَئذٍ مُسَمَّى الشِّعر[4]، وفيه يقول أفصحُ مَن نَطَقَ بِالضَّاد "إنَّ من الشِّعرِ حِكَمَاً"[5]، وقال فيه عليُّ بن أبي طالب "الشِّعر ميزانُ

---

١ يُنظَر: فروخ، عمر، *تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي والإسلامي والأموي*، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨١م، ج١ ص٣٥

٢ يُنظَر: إسماعيل، تحية عبد العزيز(t.a.ismail)، *classic Arabic as the ancestor of indo-europian languages*، مطابع الإهرام، مصر، ١٩٨٩م، ص٢٩٠

٣ يُنظَر: فروخ، عمر، *تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي والإسلامي والأموي*، ج١ ص٤٢

٤ *المصدر السابق*، ج١ ص٤٤

٥ ابن حنبل، أحمد، *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، تح شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ٢٠٠١م، ج٥ ص٥٢

القَول" وكان عمر بن الخطَّاب يأمر بتَعليمه ويقول: "إِنَّه يَدُلُّ عَلَى مَعَالِي الأَخلَاقِ، وَصَوَابِ الرَّأيِ"[٦]، ويُرى الشِّعرُ أنَّهُ "أَعلَى مَرَاتِبِ الأَدَب"[٧].

وقد أُولِيَ الشعرُ بالغَ اهتمامٍ من علماء العربية، فكان له رواته الذين رَوَوهُ ونقلوه عن ألسنة الناقلين أو من أفواه قائليه كأبي عمرو بن العلاء(ت١٥٩هـ) وحَمَّاد الرَّاويَة(ت١٥٦هـ) وخلف الأحمر(ت١٨٠هـ)[٨]، وكانوا يبيّنون المنحول منهُ والصحيح، وانتقوا منه المختارات التي حَسُنَت وَوَافَقَت معاييرَ أوجدوها، كمُفَضَّلِيَّات المفَضَّل الضَّبِي(ت١٦٨هـ) وأَصمَعيَّات عبد الملك الأصمعيّ(ت٢١٦هـ)، وكان منهم من كتب في طبقات الشعراء وتراجمهم كابن سلام الجُمَحي(ت٢٣٢هـ) وابن قتيبة الدينوري(ت٢٧٦هـ) في كتابه "الشعر والشعراء"، ومنهم مَن جمع أفضل ماقاله الشعراء عامَّة في أغراض مُتَفَرِّقة كأبي تمام(ت٢٣١هـ) في حماسته حتى كان في انتقائِه أشعرَ منهُ في شِعرِه[٩]، وتلتها في ما بعد حماسة البحتري(ت٢٨٤هـ)، والحماسة الشجرية لابن الشجري(ت٥٤٢هـ)، وأتى محمد بن المبارك البغدادي(ت٥٩٧هـ) ليجمع ألف قصيدَةٍ في "منتهى الطلب في أشعار العرب"، ثمَّ جاءت الحماسة المغربيَّة لأبي العباس الجرَّاوي(ت٦٠٩هـ)، والحَمَاسَة البَصريَّة لأبي الحسن البصري(ت٦٥٩هـ)، وكلُّها في عيون ما صيغ من القصائد مُرَتَّبَةً على حسب الغرض التي صيغَت له، أو في عيون ما قاله طائفة من الشعراء الذين أوردوا ذكرَهم فيها، ومِن المؤلَّفات ما أخذت على عاتقها دراسةَ شعرِ شعراءَ معيَّنين كالَّذي كتَبَهُ يوسف الأعلَم الشنتمري الأندلسي(ت٤٨٦هـ) وأسماه "أشعار الشعراء الستة الجاهليّين"؛ وربَّما عُقِدَت هذه المؤلَّفات موازنةً بينَ شاعرٍ وآخر ككتاب "الموازنة بين شعر

---

٦ القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٩٨١م، ج١ ص٢٨.

٧ *المصدر السابق*، ج١ ص٢٩

٨ يُنظَر: ضيف، شوقي، *تاريخ الأدب العربي*، دار المعارف، مصر، ط١٠، ١٩٩١م، ج١ ص١٤٨

٩ يُنظَر: مكي، الطاهر أحمد، *دراسة في مصادر الأدب*، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٨، ١٩٩٩م، ص١٢٢

أبي تمام والبحتري" لأبي القاسم الآمِديّ(ت٣٧٠هـ)، ومن المؤلَّفات ما حدَّدَ مسار بحثِه ونظرَ في شعرِ شاعرٍ مُبَرّزٍ لوحدِهِ.

إلى أن جاء في العصر الحديث مَن أرَّخ الأدب العربي وقَسَّمَه إلى عصور أدبية لها مُسَمَّياتِها وخصائصها، فأسمى شوقي ضيف(ت٢٠٠٥م) الفترة التي امتدت من (٣٣٤هـ،٩٤٥م) إلى نحو (١٣١٦هـ،١٩٠٠م) "عصرَ الدُّوَل والإِمَارَات"[١٠]، والشاعر المنوط به هذا البحث –عبد الله الحَدَّاد(١٦٣٤/١٧٢٠م)– حضرَميٌّ ينتمي إلى أواخِرِ هذا العَصر الذي يمكننا أن نُطلِق عليه مجازاً مُسمَّى العصر العثماني، لأنَّ العثمانيّين هم الذينَ سادوا غالبَ البِلَادِ العَرَبيَّة آنَذَاك.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ البحث في سيرةِ أيِّ عَلَمٍ من الأعلام يَتطلَّبُ من الباحث إلماماً بالجوانب المتعددة التي أَثَّرَت فِي حَياتِه، وذلك لكون هذه المؤثِّرات قد أَلقَت بِظِلَالِهَا عَلَى شَخصيَّتِه وأسهمَت في تكوينها، فكان هذا العَلَم ثمرةً لظروفٍ متشابكة بعضها يرجع إلى مجتمعه وبعضها إلى أسرته، واستناداً إلى هذا ومن أجلِ أن تَرتَسِمَ في الذهن صورة واضحة للشاعر الحَدَّاد، كان لابد من التعريف بالشاعر وأسرته ونشأته ومكانته العلميَّة.

**التَّعريف بعبد الله الحداد**

أمَّا **اسمهُ ونسبه،** فهو عبدُ اللهِ بنُ عَلَوِيِّ بنِ مُحمَّدِ بنِ أَحمَد بنِ عبدِ اللهِ بنِ مُحَمَّدِ الحَدَّادِ، شريفٌ حُسَينِيٌّ ينتمي إلى أسرة المهاجر أحمد بن عيسى الجد الأكبر لهذه العائلة الَّتي يَنتَسِبُ إليه أفرادُها في إقليم حضرموت فيُقَالُ لَهُم "بنو المهَاجِر"[١١]، والمهاجر هذا ذكره شمس الدين السَّخاوي(ت٩٠٢هـ) وأكَّدَ صِحَّةَ نسبته الحسينيَّة فذكر عمود نسبه رافعاً إيَّاه إلى الحسين فقال: "أحمد بن عيسى بن محمَّد بن عَليّ العُرَيضِي بن جعفر الصَّادق بن محمَّد الباقر بن زين

١٠ ضيف، شوقي، *تاريخ الأدب العربي "عصر الدول والإمارات"*، ج٥ ص٥

١١ الزركلي، خير الدين بن محمود، *الأعلام*، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م، ج١ ص١٩١

العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب"[١٢]، وقد ذُكِرَ نَسَبُ الحَدَّاد في غير ما موضعٍ من مَظَانِّ التراجم، وساقَه عَدَدٌ من المؤرخين، كأبي الفضل المرادي(ت١٢٠٦هـ)[١٣]، وخير الدِّين الزرّكلي(ت١٣٩٦هـ)[١٤]، ومُرتَضَى الزّبيدي(ت١٢٠٥هـ)[١٥] وعبد الله السَّقَّاف(ت١٣٨٠هـ) في تأريخه للشعراء الحضرميين[١٦]، كلُّهم رفعوا نسبته إلى آل البيت، وعندما تكلَّمَ يوسف النبهاني(ت١٣٥٠هـ) على الأسرة التي ينتمي إليها الحَدَّاد والمسماة في ما بعد باسم "آل با علوي" -نسبةً لأحد أولاد المهاجر أحمد- أكَّد على صحة نسبتها إلى آل البيت ورأى أن نسب هذه الأسرة "من أصحِّ الأنساب نسباً، وأثبتها حَسَبَاً وفيها الكثير من أهل العلم والفضل والأدب والمنتشرين شرقاً وغرباً"[١٧].

وتُنسَب **أسرة الحَدَّاد** إلى الجد الأكبر المهاجر أحمد بن عيسى(ت٣٤٥هـ) الذي عاش في القرن الثالث الهجري ومطلع القرن الرابع، في البصرة جنوب العراق، أيام الدولة العباسية التي كانت رقعة الممالك الإسلامية فيها ذلك الوقت أشبه بمرجل يفور ويغلي من كثرة الاضطرابات والفوضى التي عمَّتها[١٨]، مما اضطرَّ كثيراً من الشخصيات البارزة إلى الهجرة بحثاً عن مأمن لهم، ولا سيما إذا كان هذا الشخص العَلَم ينتمي لآل البيت فإن الدوائر تَتَرَبَّص به وترصد له كل مَرصَد خوفاً من التفاف الناس حوله والإطاحة بخلافة بني العباس، كل هذا دفع أحمد بن عيسى للهجرة مع أولاده وأقاربه وعماله وخدمه -إذ كان ذا مالٍ وضِيَعٍ كثيرة في العراق- إلى وادي حضرموت، وما إن حطَّ رحاله هناك حتى بدأ بنشر السُّنَّة في تلك النواحي ومقاومة أهل البِدَع

---

[١٢] السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج٥ ص٥٩

[١٣] يُنظَر: المرادي، أبي الفضل محمد بن خليل، *سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر*، مطبعة بولاق، مصر، ١٣٠١هـ، ج٣ ص٩١

[١٤] يُنظَر: الزركلي، خير الدين بن محمود، *الأعلام*.، ج٤ ص١٠٤

[١٥] يُنظَر: الزبيدي، أبو الفيض محمد مرتضى، *تاج العروس من جواهر القاموس*، تح: عبد العليم الطحاوي، دار الهداية، الكويت ط١، ٢٠٠٠م، ج٣١ ص٣٢٧

[١٦] يُنظَر: السقاف، عبد الله، *تاريخ الشعراء الحضرميين*، مطبعة حجازي، القاهرة، ١٣٥٣هـ، ج٢ ص٢٤

[١٧] النبهاني، يوسف بن إسماعيل، *رياض الجنة*، تح: عماد علايلي، ط١ دار الفكر العربي، بيروت،١٩٩٠م، ص٢٣

[١٨] يُنظَر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، *البداية والنهاية*، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، مصر، ط١، ١٩٩٧م حوادث سنة عشر وثلاثمئة وما بعدها من السنوات، ج١٥ ص٥

إن لساناً وإن سِنَاناً[١٩] إذا ما اضطُرَّ إلى ذلك، إلى أن استقر له المقام ولسلالته الذين جاؤوا من بعده ومَن وقف إلى جانبهم والتفَّ حولهم فكانوا كما يرى محمد الشاطري(ت١٤٢٢هـ) هم الذين "قادوا الشَّعبَ الحَضرَمِيَّ وتزعَّموه علميَّاً وأدبيَّاً واقتصاديَّاً بل وسياسيَّاً في بعض الأدوار"[٢٠].

وإذا كانت أسرته هذه قد تَسمَّى أبناؤها بـ: "بني المهاجر"، فإنها سميت في ما بعد باسم أحد أحفاد المهاجر الأوائل وهو علوي فصارت تنسب إليه فيقال لها: أسرةُ "بَا عَلَوِي"، وبهذا اشتهرت على ألسنة المؤرخين والباحثين، يقول أبو الحسن علي النَّدوي(ت١٤٢٠هـ): "وكانت أسرة با علوي في حضرموت ذات شهرة وقبول في الناس ومعروفةً بالفضل والعلم، وكانت مدينة تَرِيم مركز أشراف بَا عَلَوِي"[٢١]، ويبدو أن هذا الصيت العلمي الذي أشار إليه الندوي لم يقتصر على حضرموت فحسب، بل إنَّ الحركة العلمية لهذه الأسرة انتشرت في ما جاور الإقليم من البلاد كالهند والحبشة وشرق آسيا وبلاد الحرمين ولا سيما إذا عرفنا أنه ومنذ القرن التاسع الهجري إلى عصر الشاعر الحَدَّاد قد تصدَّى في الحرم المكي وحده للإفتاء والتدريس ما يزيد على خمسة و عشرين عالماً ومفتياً من هذه الأسرة كان منهم مفتي مكة محمد بن علوي(ت١٠٧١هـ) وهو أحد أساتذة الشاعر[٢٢]، وقد أُلِّفَت المؤلفات في بحث هذه الحركة العلميَّة سواء في البلدان التي رحلوا إليها ونهضوا بالعلم في ربوعها أم في التَّخصُّصَات التي شاركوا في بنائِها كالعقيدة والفقه والحديث والسِّيَر وغيرها من العلوم الشرعية[٢٣].

---

[١٩] يُنظَر: الشاطري، محمد بن أحمد، *سيرة السلف من بني علوي الحسينيّين*، دار الحاوي، بيروت، ص ١٦

[٢٠] الشاطري، محمد بن أحمد، *سيرة السلف من بني علوي الحسينيّين*، ص١٩

[٢١] يُنظَر، الندوي، أبو الحسن علي، *رجال الفكر والدعوة في الإسلام*، دار ابن كثير، دمشق، ٢٠٠٧م، ج٣ ص٣٦،

[٢٢] باذيب، محمد أبوبكر، مقالة منشورة على موقع tural.blogspot.com بعنوان: *السادة آل با علوي الحضارمة حُمَاة العقيدة وخُدَّام الكتاب والسُّنة وفرسان دعوة الإسلام*، بتاريخ ٢٠١٥/٩/٨م، تاريخ الزيارة: ٢٠٢٠/٠٣/٢٥م.

[٢٣] للاستزادة ينظر: باذيب، محمد أبو بكر، *إسهامات علماء حضرموت في نشر الإسلام وعلومه في الهند*، دار الفتح للدراسات والنشر عُمَان، الأردن، ص٢٦٦ وص٢٧١ وص٣٠٧، وينظر أيضاً: باذيب، محمد أبو بكر، *جهود علماء حضرموت في خدمة الفقه الشافعي*، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ج٢ ص٧٦٣ وص٧٤٣ وص١١٦٤

وإذا كان ذكر الأسرة العلويّة يقترن بأشياءَ فإنَّ أهمَّ ما يقترن به ذكرها هو الحركة الدَّعَوِيَّة في نشر الإسلام ، فرحلاتهم إلى الهند والحبشة وإفريقيا والملايو وسيلان بل وشرق آسيا عموماً وصولاً إلى إفريقيا كانت من أسباب نشر نور الإسلام في تلك البقاع، وقد حُشد في تاريخ الإسلام في الشرق الأقصى[٢٤] أقوالٌ للعديد من المستشرقين والباحثين الغربيين مِمَّن رصدوا حركة الإسلام وانتشاره في الشرق الأقصى فكان هناك شبه إجماع إن لم يكن اتّفاق على أنَّ الدورَ الأوَّل والرئيس في كثيرٍ من المراحل التاريخية لانتشار الإسلام كان للأشراف العلويين.

أمَّا **نشأة الحدَّاد** فقد وُلِدَ في السُّبير أحد مَصَائِف مَدينة تَرِيم قاعدةِ إِقليمِ حَضرَموت[٢٥]، في الخامس من صفر عام(١٠٤٤هـ/١٦٣٤م)، واستكمل نشأة الصِّبَا في رُبُوعِ تَرِيم، وقُدِّر له أن يُختَطَفَ بَصَرُه بمرض الجُدَري، وهو لما يبلغ بعدُ ربيعَه الرَّابع، فما كان هذا عائقاً له عن تحصيل العلم والاجتهاد في طلبه، وما ظهرت عليه آثار ذلك بما يسمَّى بعقدة النقص[٢٦]– باصطلاح علماء النفس– بل إنَّ حواسه الأخرى كان لها إدراكٌ استدَرَكَ كُلَّ ما فاته من فقد حاسة البصر، وقد كان يشهد من نفسه في صباه أنَّه كان يتعامل مع أترابه الصبيان معاملة مَن يَرَى وَيُبصِر[٢٧] لحدة ذكائه ونباهته، ويبدو أنَّ ذهاب بصره هذا كان عاملاً لنمو ذكائه وقوة فهمه وحافظته كغيره من نوابغ المكفوفين في التاريخ؛ ولتفسير هذا الذكاء عندهم ينقل أبو منصور الثعالبي(ت٤٢٩هـ) عن قتادة أنَّه قال: "إنَّ ذلك لأنَّ أبصارهم تحوَّلت إلى قلوبهم"[٢٨]، ولعلَّ هذا التَّحوُّل يجعل عندهم نصيباً وافراً من التَّمَيُّزِ عن غيرهم.

---

[٢٤] يُنظَر: الحداد، علوي بن طاهر، *مدخل إلى التاريخ الإسلامي في الشرق الأقصى*، تح: محمد ضياء شهاب، دار المعرفة، جدة، ط١، ١٩٨٥م، ص٢٠٠ وص٢١٠

[٢٥] يُنظَر: السقاف، عبد الرحمن بن عبيد الله، *إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت*، تح: محمد غسان نصوح عزقول، دار المنهاج، جدَّة، ط١، ٢٠٠٥م، ص ٧٧١

[٢٦] عقدة النقص: اضطراب نفسي وشعور بالقلق بشكل يؤثّر على الشخص بشكل سلبي، يُنظَر: النعيمي، محمد أنور إسماعيل، *الاتّجاه النفسي في نقد السرد العربي الحديث*، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٩١

[٢٧] يُنظَر: البدوي، مصطفى حسن، *الحداد منهجه سيرته*، دار الحاوي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م، ص ٤٠

[٢٨] الثعالبي، أبو منصور عبد الملك، *تحسين القبيح وتقبيح الحسن*، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ص٢٦

ويذكر مؤرّخ الشعراء الحضرميين ذلك التميز لنشأة الحَدَّاد منذ الصِّبا فيقول: "نشأ تحت كنف أبيه وفي محيطٍ نَيِّرٍ ممتازاً عن أقرانه بعدم العَرَامَةِ[٢٩] كما تقتضيه الطُّفولة الجامحة"[٣٠]، ويظهرُ أنَّ لوالدَيهِ أشدَّ الأثر في تنشئته وتربيته وتوجيه مَلَكاته وصقلها علميَّةً كانت أو أدبيَّة أو دينيَّة، فأرسلوه إلى الكُتَّاب ثم إلى المعاهد العلميَّة، فحفظ القرآن الكريم وهو دون الخامسة عشرة من عمره، وحفظ المتون العلمية والحديث النَّبوي والأشعار وأمثال العرب والحِكَم[٣١]، ينقل مصطفى البدوي أنَّ الحَدَّاد قال عن سيرته العلمية: "بعد أن ختمتُ القرآن قال لي والدي اقرأ في الفقه فإنَّ الإنسان لا يستغني عن الفقه ولا عذرَ له منه، وكان سني إذ ذاك دون خمسة عشرة سنة"[٣٢] ثم تابع الحَدَّاد أنه قرأ على الفقيه أبي بكر بن محمد با جُبَير إلى أن سافر هذا الأخير إلى الهند، فَتَلمَذَ بَعدَهُ على يد كبار علماء بلدته كعبد الله بن أحمد بلفقيه وسهل بن أحمد با حسن وعمر بن عبد الرحمن العَطَّاس(ت١٠٧٢هـ).

ولنترك الكلام للحَدَّاد ذاته ليحدِّثنا عن نفسه، حيث قال في إحدى المرَّات ذاكراً حاله مع العلم ومذاكرته مع صديقٍ له في أيام طلب العلم: "وكنَّا كثيراً ما نطالع الكتب النَّافعة ونسردها ليلاً ونهاراً وربما كان يقرأ لنا ونحن نسير في الطَّريق وربما دخل علينا الليل ونحن في المطالعة"[٣٣] وبهذا الجد والاجتهاد في طلب العلم حتى في أثناء المشي في الطَّريق وصل إلى رتبةٍ عاليةٍ من العلم حتى إنَّ أستاذه الفقيه با جُبَير عندما عاد من الهند تَلمَذَ عليه وصار يقرأ عنده[٣٤]، وابتدأ تأليف أَوَّلِ كتبه وهو في سنِّ السابعة عشرة[٣٥]، وفي أيّام كُهُولَتِهِ قال لأحد

---

[٢٩] عَرَمَ يَعرُمُ عَرَامَةً، وصَبِيٌّ عَارِمٌ أي شَرِسٌ، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، تح: أحمد عبد الغفور عطار، مادة "عَرَمَ" دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م، ج٥ ص١٩٨٣

[٣٠] السَّقَّاف، عبد الله بن محمد، *تاريخ الشعراء الحضرميين*، ج٢ ص٢٤

[٣١] يُنظَر: الشاطري، محمد بن أحمد بن عمر. *أدوار التاريخ الحضرمي*، دار المهاجر، المدينة المنورة، ط٣، ١٩٩٤م، ص٣٢٠

[٣٢] البدوي، مصطفى حسن، *الحداد منهجه سيرته*، ص٤١

[٣٣] *المصدر السابق*، ص ٤٣

[٣٤] يُنظَر: *المصدر السابق*، ص ٤٣ و٤٥

[٣٥] يُنظَر: الشاطري، محمد بن أحمد بن عمر، *أدوار التاريخ الحضرمي*، ص٣٢٢

طلابه: أنَّه لم يترك المطالعة منذ أن كان في سن الرابعة عشرة[٣٦]، وكان يرحل في سبيل العلم والتعلُّم لكنه لم يجاوز البلاد الحضرمية ويستثنى من هذا رحلته لقضاء نسك الحج مارًّاً بعدن والشحر واتصل بعلماء الحرمين هناك وأجَلُّوه، واتسعت دائرة طلابه في الديار الحضرمية وما جاورها كالهند والأحساء وغيرها وكان من أبرز تلاميذه أحمد بن زين الحبشي (ت١١٤٤هـ) ومحمد بن سميط (ت١١٧٢هـ) وعبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه (ت١١٦٢هـ) وأحمد بن عبد الكريم الشَّجار، وانتشرت مؤلفاته وانتفع بها الكثير في حضرموت وغيرها من البلاد الإسلامية منذ عصره إلى الوقت الحاضر.

كما نجد أنَّ مجالسه يغلب عليها الطابع الأدبي والعلمي وإلى هذا أشار محمد الشاطري حين تحدث عنها قائلاً: "وكانت مجالسه عامرة بالمجلدات العلمية الضخمة إلى جانب الكتب الأدبية، ومما لا يكاد يفارق مجلسه ديوان أبي الطَّيب المتنبِّي (ت٣٥٤هـ) وكان يحفظ الكثير من أشعاره وحكمه ويستشهد بها ويميل إلى سماع مقامات الحريري (ت٥٣٠هـ) وما كان من طرازها من طرائف كتب الأدب"[٣٧]، وعندما نستعرض مجالسه التي دوَّنها تلميذه أحمد بن عبدالكريم الشَّجار نلمح اطّلاع الحَدَّاد الواسع واستشهاداته الأدبيَّة في محلِّها المناسب دائماً فمنها أنَّه قال له مرَّةً في أخريات حياته: "لنا نحو ستِّين سنة ونحن في مطالعة الكتب إلى الآن ثم تمثَّل بقول الشَّاعر:

وَمِن عَجَبٍ إهداءُ تمرٍ لخَيبَرٍ  وتعليمُ زيدٍ بَعضَ علمِ الفَرَائِضِ"[٣٨]

---

[٣٦] يُنظَر: الشجَّار، أحمد بن عبد الكريم، *تثبيت الفؤاد*، مطبعة ناشيونال، سنغافورة، ط١، ١٤٢٠هـ، ج١ ص٢٢

[٣٧] الشاطري، محمد بن أحمد بن عمر، *أدوار التاريخ الحضرمي*، ص ٣٢١

[٣٨] الشجَّار، أحمد بن عبد الكريم، *تثبيت الفؤاد*، ج١ ص ٢٢

وكان للحداد تذوُّقٌ خَاص للتراث الأدبي، ينقل عنه تلميذه أحمد الشَّجار أنَّه كان يطلب قراءة مقصورة[٣٩] أبي بكر بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ) التي يقول في مطلعها:

"يا ظبيةً أشبهُ شَيءٍ بالمهَا  تَرعَى الخُزَامَى بَينَ أَشجَارِ النَّقَا"[٤٠]

ويطرب لسماعها ويقول فيها إنَّهَا تصلح للمهمومين والمغمومين من الحكماء[٤١].

ولو أردنا أن نضع يدنا على الأساس الذي بنى عليه الحَدَّاد منهجه ومشى في مَهيعه الأمين طولَ حياته العلمية، فيمكننا أن نجده في كلامه ذاته حيث لخَّص منهجه بقوله:

"والزَم كِتَابَ اللهِ وَاتْبَعْ سُنَّةً  وَاقتَدْ هَدَاكَ اللهُ بِالأَسلَافِ" [٤٢]

لذا فقد كان الحَدَّاد متحرراً في فكره لم يقيِّده تعصُّبٌ وَلَا غُلُوّ، خبيراً كل الخبرة في نقده الممتزج بمرارة تُنبِي عَن صدق ألمه الذي مرَّ به في تجربته التي عاشها في تلك الحقبة الزمنية، وكان ينتقد أيضاً كبار المتصوفة السابقين الذين يخالفون ظاهر الشرع الحنيف في أعمالهم وأقوالهم أمثال محيي الدين بن عربي (ت٦٣٨هـ) وعمر السهروردي (ت٦٣٢هـ) وابن منصور الحلاج (ت٣٠٩هـ)[٤٣].

وكثيراً ما كان يَكفُّ عن المسائل الخلافية فمسألة القضاء والقدر لم يبين رأيه فيها بسبب تضارب الأقوال عند الفرق الإسلامية فلم يخض في مَعَامِعِ الخِلَافَات فيها وقال عنها إنَّها مشكلةٌ لا تَنكَشِفُ إلَّا يوم القيامة، وكل من تكلم فيها زادها إشكالاً[٤٤] فنهى عن الخوض فيها، ولذا كان يذهب مذهب السَّلف في التفويض والتسليم ويقول: "خُذ في كلِّ ما يُشكِل عَلَيكَ في

---

[٣٩] قصيدة يزيد عدد أبياتها على مئتي بيت نظمها ابن دريد في مدح ابني ميكال وضَمَّنها الكثير من الأمثال السائرة والأخبار النادرة والحكم والمواعظ، وقد شرحها عدد من العلماء كابن خالويه والخطيب التبريزي.

[٤٠] التبريزي، يحيى بن علي، *شرح مقصورة ابن دريد*، تح: فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٩٤م، ص١٣

[٤١] الشجَّار، أحمد بن عبد الكريم، *تثبيت الفؤاد*، ج١ ص٢٠٣

[٤٢] *الديوان*، قافية الفاء، ص٤٦٣

[٤٣] يُنظَر: الشاطري، محمد بن أحمد بن عمر، *أدوار التاريخ الحضرمي*، ص٣٢٣

[٤٤] يُنظَر: الشجَّار، أحمد بن عبد الكريم، *تثبيت الفؤاد*، ج١ ص ١٤٢

حقِّ الله ويُوهِمُكَ فِيهِ شَيئاً بالتَّسليمِ وَتَرْكِهِ عَلَى ما هو عليه مع التَّنزيه له سبحانه عن صفات الحَدَث"[٤٥]، ويشير أحمد حسن السَّقَّاف إلى أنَّ مذهب الحَدَّاد في العقيدة والصفات هو مذهب السَّلف القائم على السُّكوت وعدم التَّأويل ويرى فيه منهج السلامة لأنَّه محلُّ إجماع السَّلَف الصَّالح[٤٦].

أمَّا جانب **الحياة الاجتماعيَّة** التي عاشها الحَدَّاد، فيظهر للناظر فيها أنَّها لم تسلم من المكَدِّرَات والمنَغِّصَات فقد بَيَّن الزركلي[٤٧] أنَّه تعرَّض للاضطهاد من قِبَل حكَّام تريم وذلك في فترة حكم اليافعيين ذوي الصبغة العسكرية كما يشير لذلك عبد الله السَّقَّاف[٤٨] وتوالت أذيَّاتهم له ولغيره، وقد خلَّدَ في ما كتبَهُ تلك الآلامَ المتطَايِرَة والأوجاعَ المتدَافعَة والمرارة التي ذاقها بسبب هذا الاضطهاد، فكان ذلك سبباً لانتقاله إلى بلدة الحاوي ومكوثه فيها متابعاً تأليف كتبه مستمرَّاً في تبليغ دعوته، يقول محمد الشاطري متحدثاً عن هذه المرحلة: "وقد أسَّسَ له في دائرة مدينة تريم، ضاحيةَ الحاوي الشهيرة المستقلة استقلالاً ذاتيَّاً به وبأولاده وخدمه وطلابه، بحيث لا يتدخل فيها حاكم تَرِيم ولا يعدُّ أهلها من رعاياه بينما هي داخلة في كل ما يصل إلى تريم من خير خارجة عنها من كل فتنة أو حرب أهلية فهي محترمة لدى الجميع حتى أسماها بعض السُّيَّاح الأجانب بالفاتيكان تشبيهاً لها بالفاتيكان في روما التي يحكمها البابا"[٤٩].

وقد يتبادر إلى الذهن من هذا الكلام انعزاله أو انقباضه على نفسه طول حياته، لكن وبالتدقيق في آثار الشَّاعر لا نلمح أيَّاً من ذلك، ففي رسائله الشخصيَّة ومكاتباته التي جُمِعَت في مجلدين نجد عدَّة رسائل مرسلة إلى الحكَّام –في مرحلةٍ أخرى تلت تلك المرحلة– ضمَّنها شيئاً من النصح والمشاورة للحُكَّام من الأسرة الكثيريَّة كما في رسالته للسلطان بدر بن عبد

---

[٤٥] الأحسائي، أبو بكر الملا بن محمد، *نبذة من مجالس الحداد*، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان الأردن، ص٨٩

[٤٦] يُنظَر: السَّقَّاف، أحمد حسن صالح، *منهج الحداد في العقيدة*، ص٤٦٦

[٤٧] الزركلي، خير الدين، *الأعلام*، ص١٠٤ ج٤

[٤٨] باكثير، عبد الله بن محمد بن سالم، *رحلة الأشواق القوية*، مع تعليق عبد الله السقاف، مطبعة العلوم، ١٣٥٨هـ، ص٤١

[٤٩] الشاطري، محمد بن أحمد بن عمر، *أدوار التاريخ الحضرمي*، ص ٣٢٤

الله[٥٠] والسلطان عمر بن علي، ويرى الشاطري أنّه لم يتوانَ أيضاً في النَّقد اللاذع لهم في مخالفاتهم الشرعية وكانوا يستمعون لنصحه وإرشاداته ويبادرونها بالتطبيق والاحترام[٥١]، وهو على الرغم من كونه مكفوف البصر فقد شارك في خدمة وطنه وشعبه خلال شبابه وفي أثناء كهولته فأصلح بين القبائل المحليَّة المتنازعة بالسِّلاح فيما بينها ونجح في ذلك، وعند كِبَرِه وشيخوخته كان يرسل ولدَه محمداً للتوفيق بين الأطراف المتنازعة فينجح في المهمة كأبيه.

والناظر في سيرته يلمح إشارة المؤرخين إلى ميله الشديد لتحقيق العدالة الاجتماعية في الجانب الاقتصادية بالخصوص يقول الشاطري متحدِّثاً في هذه الناحية بعد نظره في تاريخ حياته "نجد خلاله كثيراً من ميول الحَدَّاد إلى العدالة الاجتماعية في الناحية الاقتصادية بحيث تبذل كل المحاولات مع الأغنياء لتوجيه أموالهم نحو القيام بالمشروعات العامَّة وسَدِّ حاجة أهل الفاقة والعَوَز بصورة أوسع ممَّا نجدها في كلام الدُّعاة الآخرين"[٥٢].

ويشير عبد الله السَّقَّاف إلى أنَّ الحَدَّاد لم تقف به الرّوح الخيرية عند حدود النَّفع العلميّ ولكنها تجاوزت ذلك إلى إنشاء المساجد وغيرها في سائر مدن حضرموت وضواحيها وقراها[٥٣].

وقد أمضى حياته كلَّها في بلدة الحاوي، مواظباً على عوائده كلها ومجالسه، إلى أن دعاه داعي الأجل في رمضان (١١٣٢هـ/١٧٢٠م) حالَ مرضه الأخير وهو يقرأ آخر حديثٍ في صحيح البخاري: "كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم"[٥٤]، وقد قيلت فيه مراثٍ كثيرة تَنِيفُ على خمسين قصيدة منها التي مطلعها:

---

[٥٠] يُنظَر: الحداد، عبد الله بن علوي، *مكاتبات الحداد*، دار السنابل ودار الحاوي، بيروت / دمشق، ط١، ٢٠١٤م، ج١ ص٦٩

[٥١] يُنظَر: الشاطري، محمد بن أحمد بن عمر، *أدوار التاريخ الحضرمي*، ص ٣٢٣

[٥٢] *المصدر السابق*، ص٣٢٧

[٥٣] يُنظَر: السقاف، عبد الله، *تاريخ الشعراء الحضرميين*، ج٢ ص٢٨

[٥٤] البخاري، محمد بن إسماعيل، *الجامع المسند الصحيح*، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ج٩ ص١٦٣

"كَرِّر عَلَى سَمعِي حَديثَ الوَادِي  فَلِنَازِلِـــــــيهِ مُنَيزِلٌ بِفُؤَادِي

وأخرى مطلعها:

يَا عَينُ سُحِّي بِدَمعِ الوَابِلِ الرَّذِم[٥٥]  عَلَى فِرَاقِ جَلِيلِ القَدرِ وَالشِّيَمِ"[٥٦]

أمَّا **مؤَلَّفاتُهُ** فقد تبيَّن لنا في ما سبق أنَّ الحَدَّاد بدأ مسيرته في التأليف في سنٍّ مُبكرة – السابعة عشرة– وتتابعت بعد ذلك مؤلَّفاته وكانت مزيجاً من علم التَّوحيد والفقه والحِكَم والتهذيب يجري فيها قلمه بأسلوب سليم وتعبير سهل مع قوة برهان، وهو بذلك متابعٌ لمنهج أبي حامد الغزالي في التأليف وبخاصة في كتابه إحياء علوم الدين.

وقد كانت طريقته في التأليف قائمة على ترتيب الموضوعات الدينية والفقهية والأخلاقية وعرضها عرضاً حَسَناً فيدعم الموضوع أوَّلاً بالآيات القرآنيَّة ثمَّ يُثَنِّي بما ورد في كتب الحديث والأثر ويدمج في مَعرِضِ كلامه أقوال الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم من السَّلَف، وهو بهذا يقترب من منهج الغزالي حتى قيل في بعض كتبه أنَّها زبدة ما في كتاب الغزالي إحياء علوم الدين وخلاصة ما فيه[٥٧].

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الإنتاج الفكري للحداد كان على قسمين: أحدهما ما أودعه بنفسه في مؤلَّفاته ورسائله، والثاني ما جمعه له أحد تلامذته الملتصقين به –وهو أحمد بن عبد الكريم الشجار– فقد قام بتقييد كلامه في مجالسه ودروسه وحطِّه وترحاله وجمعها في مجموعٍ أشبه ما يكون بسيرةٍ ذاتية أو مذكرات شخصية تُبرِزُ حَياة الحَدَّاد التي عاشها مع النَّاس ومع مَن حوله من الطُّلَّاب، وأسماه: "تثبيت الفؤاد"، ليجيء بعده ملخِّصاً له كتاب "نبذة ملخَّصة من مجالس الحَدَّاد" لأبي بكر بن محمد الملَّا الأحسائي (ت١٢٧٠هـ) وهي على ما فيها من

---

[٥٥] رَذَمَ الشيء سالَ وهو ممتلئ، الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "رَذَمَ"، ج٥ ص١٩٣١

[٥٦] الشجَّار، أحمد بن عبد الكريم، *تثبيت الفؤاد*، ج٢ ص٣٥٤

[٥٧] يُنظَر: الشاطري، محمد بن أحمد بن عمر، *أدوار التاريخ الحضرمي*، ج١ ص٣٢٢

قيمةٍ علمية إلا أنَّها تختلف –في الأسلوب– عن القسم الأوَّل الذي ألَّفه الحَدَّاد بقلمه وأودع فيه فكره[٥٨]، ويضاف إلى هذا كلِّه ما جُمِع من الرَّسائل والمُكَاتَبَات التي كان يبعثها الحَدَّاد ويُرَاسِل بها طُلَّابه أو أقاربه أو السَّلاطين الذين ألقَوا لنصائحه آذاناً صاغية.

ويرفع من شأن مؤلفات الحَدَّاد، عبد الله السَّقَّاف عندما وصل لترجمته من بين جميع الشُّعراء الحضرميّين فقال: "لا أعلم أحداً انتُفِعَ بَآثارِه العلميَّة عَلَى مَرِّ السِّنين كانتفاع الحضرميّين بآثار صاحب التَّرجمة"[٥٩] ويُلمَحُ في كلامه شيءٌ من المبالغة ويمكن التَّعليل لها أنَّ الانتفاع هذا كان بسبب مكانة الأسرة العَلَوِيَّة في الأوساط الحضرميَّة لا سيما إذا عرفنا أنَّ الحَدَّاد كان مُقدَّم هذه الأسرة وكبيرها في زمانه، وقد وصفه المؤرِّخ اليمانيّ محمد بن أبي بكر الشّلي (ت١٠٩٣هـ) بأنَّه "المُنَاضِل عَن الدِّينِ الحَنِيفِيّ بِقَلَمِهِ وَلِسَانِهِ"[٦٠].

وقد طُبِعَت أغلبها أكثر من مرَّة[٦١]، وتمَّ ترجمة الكثير منها إلى لغات أخرى –كالإنجليزية وغيرها–، وكانت بجملتها موضع دراسةٍ لكثير من الباحثين ودارسي الدِّراسات العليا –برسائل الماجستير والدّكتوراه– في الجامعات وهي:

١) النَّصائح الدِّينيَّة والوصايا الإيمانيَّة.

٢) الدَّعوَة التَّامَّة والتَّذكرة العامَّة.

٣) سبيل الادِّكَار والاعتبار بما يمر بالإنسان وينقضي له من الأعمار.

٤) الحِكَم.

٥) الفصول العلميَّة والأصول الحكميَّة.

---

[٥٨] فالناظر في الكتاب المسمى تثبيت الفؤاد يجد أنَّ مواضع فيه كتبت باللهجة الحضرمية الدارجة في ذاك الزمان.

[٥٩] السقاف، عبد الله بن محمد، *تاريخ الشعراء الحضرميين*، ج٢ ص ٢٨

[٦٠] الشلّي، محمد بن أبي بكر، *المشرع الروي*، ط٢، ١٩٨٩م، ج٢ ص٣٦٩

[٦١] طبعت في الهند وسنغافورة وغيرها، وكان آخرها طبعة دار الحاوي، بيروت، لبنان، (١٩٩٠م وما بعدها)

٦) إتحاف السَّائل بجواب المسَائِل.

٧) المعاونة والمظاهرة والمؤازرة.

٨) النفائس العُلويَّة.

٩) المذاكرة مع الإخوان المحبين من أهل الخير والدين.

١٠) عقيدة الإسلام.

١١) مكاتبات الحَدَّاد.

١٢) رسالة آداب سلوك المُريد.

١٣) الدُّرُّ المنظوم لذوي العقول والفهوم (ديوان شعري)[٦٢] وهو مادة هذا البحث.

وقد حَظِيَت بعضها بمزيد عنايةٍ فتَمَّ شرحها ككتاب الحِكَم[٦٣] وإنَّنا لنستطيع القول إنَّ **لغتَه في كتبه** كلِّها كانت عِلميَّةً بحتة غالباً، تقترب من لغة الغزالي في تفصيل الأبحاث ومناقشتها وطرحها وضرب المُثُل الحِسيَّة لتوضيحها والحرص على التعريفات الدقيقة للتفريق بين المفاهيم التي تشتبه مع غيرها[٦٤]، أمَّا ما يتعلَّق بالجانب الأدبي في كتبه فقد تخَلَّلها استشهاده بالأبيات الشعرية والحِكَم والأمثال السائرة[٦٥]، لِيَحُثّ السامع على ما يدعو إليه ويُؤَكِّد المعنى في ذهنه، ويبدو أنَّه حرِصَ أن تكون لغته سهلة و واضحة ليتناولها جميع الناس على مختلف طبقاتهم.

---

[٦٢] كحالة، عمر رضا، *معجم المؤلفين*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٤ ص٢٨٧

[٦٣] قام بشرحها محمد حياة السندي المدني أحد معاصري الشاعر الحَدَّاد، طُبِعَ بعناية نزار حمّادي.

[٦٤] الحداد، عبد الله بن علوي، *النَّصائح الدينية*، دار الحاوي، بيروت، ط٣، ١٩٩٩م، ص٤٠١ و٩٧ و٢٥٢

[٦٥] الحداد، عبد الله بن علوي، *سبيل الاذكار*، دار الحاوي، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م، ص٤٥ و٤٦

# الفصل الأوَّل:

## الديوان وأغراضه الشِّعريَّة الصُّغرَى وقَصَائِده الطِّوال

إنَّ الكلام على الأغراض الشعريَّة في ديوان الحدَّاد، يَتَطَلَّب بالضَّرورَة أخذَ صورةٍ مُجمَلَةٍ عن هذا الدِّيوان ومعرفة كيفيَّة مجيء هذا الشِّعر على قواعد العروض ورصد الظَّواهر الشِّعريَّة البَارِزَة التي تجَلَّت خلال هذا الدِّيوان، ومِن ثمَّ الانطلاق في الكلام على الأغراض الشعريَّة ورَصدِ ما أقلَّ منها الحَدَّاد وما أكثَر، ومُلاحَظَةِ ما طواهُ في القصائِدِ الطِّوال في دِيوَانِه.

## الدِّيوان (المُسمَّى الدُّرُّ المنظوم)

### تمهيد

الدِّيوانُ **لغةً**: بكسر الباء قال أبو نصر الجوهري (ت٣٩٣هـ): "أصلُه دِوَّان لأنَّهُ يُجمَعُ على دَوَاوِين"[٦٦]، وقال ابن منظور (ت٧١١هـ) إنَّ الدِّيوان مجتمع الصُّحُف، ونقل عن أبي عبيدة قولَه أنَّها لفظةٌ فارِسيَّةٌ مُعَرَّبَة[٦٧]، وذهبَ شهاب الدين الخَفَاجيُّ (ت١٠٦٩هـ) إلى أنَّها لفظَةٌ عربيَّةٌ من قولِكَ دَوَّنتُ الكَلمة إذا ما قيَّدتها وقمت بضبطها[٦٨]، وأورَدَ الزَّبِيدِيُّ خمسة معانٍ لها هي "الكَتَبَةُ ومحلُّهم والدَّفتر وكلُّ كتابٍ ومجموع الشِّعر"[٦٩].

---

[٦٦] الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "دون"، ج٥ ص٢١١٥

[٦٧] يُنظَر، ابن منظور، محمد بن مكرم، *لسان العرب*، مادة "دون"، ج١٣ ص١٦٦

[٦٨] يُنظَر، الخفاجي، شهاب الدين أحمد، *شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدَّخيل*، تح: محمد عبد المنعم الخفاجي، حرف الدال، مادة "ديوان"، المطبعة المنيرية بالأزهر، مصر، ط١، ١٣٧١هـ ١٩٥٢م، ص١١٩

[٦٩] الزبيدي، أبو الفيض محمد مرتضى، *تاج العروس من جواهر القاموس*، مادة "دون"، ج٢٥ ص٣٥

وأمَّا **اصطلاحاً**: فإنَّنا نستطيع القول إنَّ كلمة ديوان إذا ما أُردِفَت باسمِ الشَّاعر فإنَّنا نقصد بذلك مجموع شعرِهِ على الخصوص، فلو قيلَ ديوانُ الحدَّاد فالمقصودُ بذلك مجموع شعرِهِ الخاص.

وقد أودَعَ الحدَّادُ في ديوانهِ عُصَارَة فكره وخلاصة مشاعره وأشجانه بقصائدَ طواها بين ثناياه وأسماه "الدُّرُّ المنظُوم لِذَوِي العُقُولِ وَالفُهُوم[٧٠]"، ويلمس قارئه نسبةً كبيرة من المشاعر والأحاسيس العالية، ولعلَّ القدرة على التعبير عن دقائق الأحاسيس وأعماق المشاعر هي التي تُمَيِّزُ الشَّاعِرَ عَن غَيرِهِ كما يقول ابن رشيق القيرواني(ت٤٦٣هـ): "وإنما سُمِّيَ الشاعر شاعراً؛ لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره، فإذا لم يكن عند الشاعر توليد معنى ولا اختراعه، أو صرف معنى إلى وجه عن وجه آخر، كان اسم الشاعر عليه مجازاً لا حقيقة"[٧١] فالشَّاعِرُ إِنَّما سُمِّيَ بذلك لكونه مُنفَرِدَاً ومتميِّزَاً في الناس، ليس بما انطوى عليه من كمية الأحاسيس والمشاعر الفيَّاضة فحسب، وإنما بقدرته على إظهارها في صورةٍ جليَّة للناظرين في شعره وكأنَّهم يرونها بارزةً أمامهم.

و**طُبِعَ** هذا الديوان غيرَ ما مرَّةٍ، وكانت أقدمُها –حسب ما اطَّلَعتُ عليه– طبعة طبِعَت في "المطبع المحمَّدي" بخط اليَد ولم تكن القصائد فيها مُرَتَّبة على حسب القوافي ولَم تُضبَط القصائد بالشَّكل، وكُتِبَ في آخرها أنَّ الطبع كان عام (١٣٠٥هـ) أي قبل ما يَقرُب من مئةٍ وأربعين سنة من تاريخ كتابة هذا البحث وهي مودَعَة بمركز النور للدراسات والأبحاث بمدينة تريم اليمنيَّة –بلدة الشاعر الحدَّاد–، وقد قامت بطباعة الديوان مرَّتين دار الحاوي اللبنانيَّة، وكانت الطبعة الثَّانية منها بعناية عبد القادر الخرد، وقد رُتِّبَت القصائد فيها حسبَ حروف قوافيها، ولهذا الترتيب فإنَّ البحث اعتمد هذه النُّسخة من بين طبعات الديوان، أمَّا ما تَضَمَّنتهُ من بعض الأخطاء فإنِّي حاولت تصحيحها في أثناء نقلي من الديوان.

---

[٧٠] الفهمُ هو حسنُ تصوُّرِ المعنى وجودةُ استعداد الذهن للاستنباطِ ويُجمَع على (فُهُوم وأَفهَام)، يُنظَر، مجموعة مؤلفين، *المعجم الوسيط*، مادة "فهم"، منشورات مجمع اللغة العربية، القاهرة، ج٢ ص٧٠٤

[٧١] القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*، ج١ ص١٦٦

واحتوى ديوان الحَدَّاد بمجمله على شعر عذب أنيق يخاطب الجميع على اختلاف طبقاتهم، وإذا كان الشعر عبارة عن اللسان المعبر عن الروح بل هو لغتها كما يرى مصطفى الرَّافعي(ت١٣٥٦هـ) فإن ذلك اقتضى تقسيم الشعر إلى ثلاثة أقسام: أَحَدُها من حيث علاقة هذه الروح بالناس، وثانيها علاقتها بسائر الموجودات، وثالثها علاقتها بالعالم الغيبي وما وراء المادة[٧٢] وسنحاول أن نَتَلَمَّس هذه العلاقات الثلاث في شعر الحَدَّاد من خلال الأغراض التي نظمَ فيها شعره.

فنجد أنَّه طَرَقَ باب الغَزَل والرِّثاء والمديح والوعظ والزُّهد والدُّعَاء والابتِهَال، يَعضُدُ ذلك كلَّه حِسٌّ مُرهَفٌ وَخيالٌ واسعٌ وشاعريَّةٌ دَفَّاقَة في كثيرٍ من مواضِعِه.

وتراوحت الأشعار في هذا الديوان بين الطول والقصر فمن قصائدَ مطوَّلةٍ تجاوزت المئةَ بيتٍ إلى قصائد متوَسِّطة الطول، إلى نُتَفٍ قصيرة[٧٣] ماهي إلَّا أجوبة على رسائل وردت إلى الشاعر أو خَطَّه هو تقريظاً لكتابٍ أَلَّفَه بعض تلاميذه، أو نظماً لمعنى آيةٍ قرآنية، أو نتفة تتعلق بحكمة من حكم الحياة، ضمَّنها تجربة من تجاربه الذاتية كمثل قوله:

"إِذَا آنَسْتُ مِنْ خِلٍّ جَفَاءً  فَلاَ أَجْفُو وَإِنْ هُوَ قَدْ جَفَانِي

وَلَكنّـــــــي أُدَارِيهِ بِرِفْقٍ  وَأُمْسِـــكُ عَنْ تَنَاوُلِهِ لِسَانِي"[٧٤]

وقد حَظِيَت بعض قصائد الديوان بعناية بعض المؤلفين سواءٌ معاصِرو الحَدَّاد أم الذين جاؤوا بعدهم، فألَّفوا في شرحها المؤلَّفات واستفاضوا في ذلك، فمن هذه الشروح:

١) "الكوكب الزاهر على نسيم حاجر"[٧٥]، وهو شرحٌ للقصيدة التي مطلعها:

---

[٧٢] يُنظَر: الرافعي، مصطفى صادق، *تاريخ آداب العرب*، دار الكتاب العربي، القاهرة،١٩٧٤م، ج٣ ص٧٤

[٧٣] النتفة: من البيتين إلى الثلاثة، يُنظَر: الرافعي، مصطفى صادق، *تاريخ آداب العرب*، ج٣ ص٢٩

[٧٤] *الديوان*، قافية النون، ص ٦٤٨

[٧٥] طُبِعَ في مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٦١م-١٣٨١هـ

"نَسِيم حَاجِر يَا نَسِيم حَاجِر  هَلْ مِن خَبَر تَشْفَي بِهِ الخَوَاطِرْ"[٧٦]

٢) "تحفة اللبيب بشرح لامية الحبيب"[٧٧]، وهو شرح للقصيدة الغزلية التي مطلعها:

"مَـــرْحَباً بِالشَّادِنِ الغَزِلِ  زَارَنِي وَهْنَاً عَلَى مَهَلِ

كَقَضيبِ الْبَانِ فِي كُثُبٍ  يَنْثَنِي فِي الحُلْيِ وَالحُلَلِ"[٧٨]

٣) "منهَل الوُرَّاد"[٧٩]، وهو شرح للقصيدة التي مطلعها:

"إِذَا شِئْتَ أَنْ تَحْيَى سَعِيدَاً مَدَى العُمْرِ  وَتُجْعَلَ بَعْدَ الَموْتِ فِي رَوْضَةِ القَبْرِ"[٨٠]

وهذه الشروح الثلاثة من تأليف أحمد بن أبي بكر بن سميط (ت١٣٤٣هـ).

٤) "الكواكب الدُّرِّيَّة بشرح الأبيات الحَدَّاديَّة"[٨١]، لمحمد بن زين بن سميط(ت١٣٤٣هـ) وهو شرح للموشَّح الذي مطلعه:

"يا ربّ يا عَالمَ الحال  إِلَيكَ وَجَّهتُ الامَالْ

فامنُنْ عَلَينَا بالاقبَال  وَكُن لَنَا وَاصْلِحِ البَالْ"[٨٢]

٥) "شرح قصيدة الحَدَّاد"[٨٣]، لمحمد حياة السِّندي المدني(ت١١٦٣هـ)، وهو شرح مختصر للموشَّح الذي مطلعه:

---

[٧٦] *الديوان*، قافية الراء، ص٣٨٤

[٧٧] طبِعَ في دار الكتب العربية، مصر.

[٧٨] *الديوان*، قافية اللام، ص٥٣٩

[٧٩] طبع في المطبعة الميرية، مكة، المملكة العربية السعودية، ١٣١٥هـ

[٨٠] *الديوان*، قافية الراء، ص٢٢٩

[٨١] طُبِعَ في دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، الأردن، ٢٠٠٩م

[٨٢] *الديوان*، قافية اللام، ص٥٦٢

[٨٣] طُبِعَ بتحقيق نزار حمادي، لايوجد تاريخ للطباعة أو مكانها.

"اِلْزَمْ بَابَ رَبِّكَ وَاتْــرُكْ كُلَّ دُونْ  وَاسْأَلْهُ السَّلاَمَة مِنْ دَارِ الفُتُونْ

لاَ يَضِيقُ صَدْرُكَ فَالْحَادِث يَهُونْ  اللهُ المُقْــدِّر وَالْعَــــالَم شُئُونْ

لاَ يَكْثُرُ هَمُّك مَا قُدِّر يَكُونْ"[٨٤]

كذلك شروح لبعض قصائده الكبرى كالبائية والعينية[٨٥].

والدِّيوان يحوي مئةً وأربعين قصيدة من شعر القريض التقليدي استوفى الحَدَّاد بنظمها غالب البحور الشِّعرية المشهورة، وهنا تجدر الإشارة إلى ملاحظةٍ مُهِمَّة، هي أنَّ الحدَّاد في بعض الأبيات لم يلتزِم قواعِدَ العروض، فلم تأتي مستقيمةً في الوزن؛ ومن هذا قولُه:

"عَجَباً لِلمُطمَئِنّينَ بِدُنيا لَيسَ فيها إِلى البَقاءِ سَبيلُ

حُشِيَتَ بِالمُنَغِّصَاتِ بَل ليسَ فِيـ ـها يا أُخَيَّ مِنَ السُرورِ[٨٦] فَتيلُ"[٨٧]

فعجز البيت الأوَّل جرى على البحر الخفيف، أمَّا عجز البيت الثَّاني فقد جرى على الوافِر، ولم يستقم الصدر في البيتين، وهذا لا يصحُّ ويجعل الأبيات سقيمة وغير مستقيمة حسبَ قواعِد العروض[٨٨]، فلا يُطلَق عليها مُسمَّى النَّظم أصلاً إذِ النَّظمُ ما هوَ إلَّا "الكلام الموزون المقَفَّى"[٨٩] المقَيَّد بكونِهِ جارِيَاً "على سبيل القصد"[٩٠].

وإذا لوحِظَ هذا في ديوان الحدَّاد من النَّاحية العَرُوضِيَّة، فإنَّ هذا يؤدِّي بنا إلى ملاحظةٍ أُخرى، إذ ليسَ كلُّ نظمٍ أُودِعَ في ديوان الحدَّاد واستقامَ وزناً يصِحُّ أن يُطلَقَ عليهِ مُسمَّى الشِّعر، وذلك

---

[٨٤] *الديوان*، قافية النون، ص٦٤٤

[٨٥] تُنظَر الصفحات ٥٣ و٥٤ من هذا البحث

[٨٦] الفتيل: ما كان في شق النواة، قال تعالى: "ولا يظلمون فتيلاً"، وقد قصد الحداد هنا ندرة السرور في الدنيا وقلته، يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "فتل"، ج١١ ص٥١٤

[٨٧] *الديوان*، قافية اللام، ص٥٣٣

[٨٨] ومن الأمثلة لذلك، يُنظَر: *الديوان*، قافية الجيم، ص١٤٤؛ وقافية العين، ص٤٢٩

[٨٩] فروخ، عمر، *تاريخ الأدب العربي "العصر الجاهلي والإسلامي والأموي"*، ص٤٤

[٩٠] الجرجاني، الشريف علي بن محمد، *التعريفات*، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ص١٢٧

لأنَّ الشعرَ مُقَيَّدٌ بقيدٍ زائِدٍ على كونهِ نظماً، بأن يمتاز بِدِقَّة التَّعبير وأناقة اللَّفظ وجودة المعنى والخيال ومتانة السَّبك، وفيه يقول ابن قتيبة "هو ما حَسُنَ لفظُهُ وَجَادَ مَعنَاه"[٩١]، فإذا ما نظرنا بهذا المِنظار واصطحبنا هذا الميزان في أثناء قياس جودة الشِّعر عندَ الحدَّاد فإنَّنا نستطيعُ إدراك كونِ بعضِ المواضع في ديوانه كانت نظماً والبعض الآخر منها كانت شعراً؛ فلو تَأَمَّلنا قول الحدَّاد في غرض الوعظ:

"أَمَا وَاللهِ مَا سَبَبُ التَّبَاطِي عَنِ المَحْمُودِ مِنْ فِعْلٍ وَقَالِ
وَإِيثَارِ الثَّبَاتِ عَلَى أُمُورٍ لِصَاحِبهَا تَقُودُ إِلَى الضَّلاَلِ
سِوَى شَيْئَينِ إِمَّا الشَّكُّ فِيمَا بِهِ وَعَدَ الْمُهَيْمنُ ذُو الجَلاَلِ
وَإِمَّا غَفْلَةٌ مُزِجَتْ بِحُمْقٍ وَتَهْوِيَساتِ بَطَّالٍ وَغَالِي"[٩٢]

فالأبيات هنا لا تعدو كونَها نظمَاً لحقيقة أرادَ الحدَّاد إيضاحها للسامع، هي أنَّ سبب التباطُؤ عن المعالي شيئان هما الشكُّ بوعد الإله والغفلة الممزوجة بالحماقة والجنون؛ ولم يأتِ الحدَّاد بصورةٍ خياليَّة أو استعارةٍ بليغة أو تشبيهٍ طريف أو شَيءٍ مِمَّا يجذبُ السامعَ إلى المعنى المُراد، ويُؤَكِّدُه في نفسِه؛ أمَّا إذا نظرنا إلى أبياتٍ أُخرى في موضعٍ آخر، قالها في غرض الغزل:

"وَعَنْ جِيرَةِ الحيِّ الَّذِي حَلَّ حُبُّهُمْ فُؤَادِيْ فَأَلهَانِيْ عَنِ القَبْلِ وَالبَعْدِ
مَحَبَّتُهُم دِينِيْ وَفَرْضِي وَسُنَّتِي وَعُرْوَتِيَ الوُثْقَى وَأَفْضَلُ مَا عِنْدِي
وَفِي قُرْبِهِم أُنْسِي وَرَوْحِيْ وَرَاحَتِي وَلَسْتُ بِشَيءٍ إِنْ بَلَوْنِيَ بِالبُعدِ
وَمَهْمَا سَرَتْ لِي نَسْمَةٌ مِنْ رُبَوُعِهِمْ يُخَالِطُهَا عَرْفُ البَشَامَاتِ وَالرَّنْدِ
وَرِيحُ الخُزَامَى وَالأَرَاكِ تَهِيجُ بِيْ شُجُونٌ تدَعْنِي لا أُعِيدُ وَلا أُبْدِي"[٩٣]

---

[٩١] يُنظَر: الدِّينَوَري، ابن قتيبة، *الشعر والشعراء*، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ، ج١ ص٦٥

[٩٢] *الديوان*، قافية اللَّام، ص٤٩٨، وقوله (غالي) من الغلاء الذي هو مجاوزة القدر في كل شيء، يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "غلا"، ج١٥ ص١٣٣

[٩٣] *الديوان*، قافية الدال، ص١٦٣، وقوله (البشامات) واحدُه البَشَام وهو شجرٌ طيِّبُ الرائحة، يُنظَر: ابن دريد، أبو بكر بن محمد، *جمهرة اللغة*، تح: رمزي منير بعلبكي، مادة "بشم"، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م، ج١ ص٣٤٥

أو قولِه في غرض الوعظ داعياً إلى تَخليةِ القلب ممَّا سوى محبَّة الله الحقيقيَّة:

"وَكَنْسُ ضَمِيرِ القَلْبِ كَي يَبْقَ فَارِغاً  مِنَ الْحُبِّ لِلدُّنْيَا الغَرُورِ الدَّنِيَّةِ
وَتَطْهِيرُهُ سَبْعَاً عَنِ المَيْلِ لِلسِّوَى  بِمَاءِ الفَنَا بِاللهِ عَنْهُ وَغَيْبَةِ"[٩٤]

نجدُ أنَّ النَّاظر لهذه العيّنة من الأبيات يلمح جودة اللفظ وتأنُّق الحدَّاد في اختيارِه (الرَّند، الخُزامى، الأَرَاك، نسمة، الرَّوح، الرَّاحَة)، بالإضافة إلى جودة المعنى باستعارته للحب فعل الحلول واحترازه بذكر ماضي الزمان ومستقبله، ودقَّة وصفه لمحبة أَحِبَّتِهِ وجمال القرب منهم، وفي البيتين الوعظيَّين نجدُ أنَّه شبَّه القلب بالبيت الذي يجب تطهيرُه من الأدناس الدُّنيَويَّة واستعار لهُ فعل الكنس، وجعلَ الحبّ الإلهي ماءً يُطَهَّرُ بهِ هذا القلب.

## الظواهر البارزة في الدِّيوان

لَمَّا كان هذا البحث يُسَلِّطُ الضَّوءَ على الأغراض الشعرية الواردة في هذا الديوان كان لا بُدَّ من النَّظر في جميع الأشكال الَّتي جاءت بها هذه الأغراض، فبعد لمحِ النَّاحية العَرُوضِيَّة ولمحِ ما يُطلَق عليه النَّظم في ديوان الحَدَّاد وما يمكن إطلاق مُسمَّى الشعر –حقيقةً– عليه؛ تجدُرُ الإشارة إلى ظاهرةٍ بارزة في هذا الديوان تَجَلَّت خلالها بل صُبَّ في قالبها بعضُ ما أراد الحدَّاد تناوله من أغراضٍ شعريَّة، وكذلك ما ظهر بين ثنايا القصائد ولم يرقَ أن يكون غرضاً مُستَقِلّاً يبحَث فيه.

### ظاهرة الشِّعر الحُمَيني

تجدر الإشارة إلى أمرً ملاحَظ في ديوان الحَدَّاد، فبما أنه من شعراء اليمن فإن ديوانه لا يكاد يخلو من نزر قليل من ظاهرة الشعر "الحُمَيني" –ولعل هذه التسمية تصحيف من كلمة "الحِمْيَرِي"– وهو ضربٌ من الشعر عرَّفه أحمَد الشَّامي بأنَّه: "نوعٌ من شعر الموشَّحَات خاص

[٩٤] *الديوان*، قافية اللام، ص٥٣٣

بأهل اليمن لا يلتزمون فيه قواعد الإعراب وحركاته وله أوزان معروفة وأشكال متوازنة كثيرة ومميزات، وهو مما اختص به أهل اليمن ولم يعرف عند غيرهم في أي قطرٍ من الأقطار العربية لا قديماً ولا حديثاً"[٩٥] وربما اتَّبَع به الشعراء أوزان البحور التي قرَّرها الخليل بن أحمد (ت١٧٠هـ)، وربما انفردوا ببحور خاصةٍ لها أوزانها المعروفة عندهم.

وقد ربطه مصطفى الرافعي بموشَّحَات أهل الأندلس وميَّزَه عنها فقال: "ومن التوشيح ما لا يكون معربًا، وهو من اختراع أدباء اليمن"[٩٦]، وقبل الرافعي أشار إلى هذا النوع علي بن معصوم (ت١١١٩هـ) ففَرَّق بينه وبين موشحات المغارِبَة فقال: "ولأهل اليمن أيضاً نظم يسمونه الموشح غير موشح أهل المغرب، أما موشح أهل اليمن فإنه لا يُرَاعَى فيه شيء من الإعراب بل اللحنُ فيه أعذب، وحكمه في ذلك حكم الزجل"[٩٧]، ويرى أحمد بن محمد الشّرواني(ت١٢٥٣هـ) -بعد أن ساق عدَّة أمثلة عليه- أنَّ الشِّعر الحِّمَيني: "ممَّا استحسنه المولّدون من أدباء العرب لا سيما شعراء اليمن فإنهم فرسان هذا الميدان و حَامِلُوا لواء هذا الشأن"[٩٨].

وبما أنَّ الرافعي قد بسط الكلام في الشعر الحميني، فإنَّه أعقب بسوق مثال على هذا النوع فقال: "وعلى هذه الطريقة نظم بعض علماء المتأخرين على نمط الشعر، كقصيدة الشيخ عليش الشهيرة التي مطلعها:

الزم باب ربك واترك كل دون"[٩٩]

---

[٩٥] الشامي، أحمد محمد، *قصة الأدب في اليمن*، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ص ٧

[٩٦] الرافعي، مصطفى صادق، *تاريخ آداب العرب*، ج٣ ص١٠٦

[٩٧] ابن معصوم، صدر الدين علي، *سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مِصر*، مكتبة محمد ناجي، مصر ط١، ١٣٢٤هـ، ص٢٤٣

[٩٨] الشرواني، أحمد بن محمد، *نفحة اليمن في ما يزول بذكره الشجن*، مطبعة التقدم العلمية، مصر ط١، ١٣٢٤هـ، ص٩٣

[٩٩] الرافعي، مصطفى صادق، *تاريخ آداب العرب*، ج٣ ص١٠٦

وينبغي الوقوف هنا عند نسبته لنظم هذا الشعر الحميني لمحمد بن عليش(ت١٢٩٩هـ)، وقد تابعه بنسبته هذه أيضاً محمد الغزالي[١٠٠]، فبالتَّدقيق نجد أنَّ هذا الشعر الحُمَينِي إنما هو لشاعرنا الحَدَّاد المتقدِّم أكثر من مئة عام على محمد بن عليش، والقصيدة مثبتة في ديوان الحَدَّاد قبل أن يولد ابن عليش أصلاً وقام بشرحها أحد مُعاصري الحَدَّاد[١٠١]، ولعلَّ هذا سَبقُ لِسَانٍ مِنَ الرَّافِعِي.

والذي يهمنا أنَّ هذه الظاهرة من الشعر الحميني وُجِدَت في أكثر من موضع في ديوان الحَدَّاد، وخير مثال عليها تلك القصيدة التي اختارها الرافعي للتدليل على الشعر الحُمَيني حيث يقول الحَدَّاد في مطلعها:

"إلْزَمْ بَابَ رَبِّك وَاتْرُكْ كُلَّ دُونْ  وَاسْأَلْهُ السَّلاَمَه مِن دَارِ الفُتُونْ
لاَ يَضِيقُ صَدْرُك فَالْحَادِث يَهُونْ  اللهُ المُقْدِّر وَالْعَالَم شُئُونْ
لاَ يَكْثُرُ هَمُّك مَا قُدِّر يَكُونْ "[١٠٢]

وهي قصيدة تفيض بالتوحيد والتنزيه لله وتفويض الأمور إليه، وحسن الظن بمقاديره مع كمال الإلتجاء إليه والتمسك بالشرع الشريف، نظمها على سبعة فصول، جمع فيها كل ما يمكن أن يتحلى به المؤمن في معاملته لربه، ويطوي عليه قلبه من وَرْدِ الأمل بالله ونزع أشواك اليأس والإحباط من أرض القلب إذا ما حلَّ به الجَدبُ والقحط.

ومن الأمثلة الأخرى على الشِّعرِ الحُمَيني، ماقالَه مُتَغَزِّلاً:

"بُغْيَةُ الُمتيَّمْ ... عَقْلِي بِهَا طُولَ الزَّمَانْ مُغْرَمْ

[١٠٠] ذكر الغزالي أنَّ الخديوي سجن ابن عليش فقيل له في سجنه تملَّق للخديوي حتى يعفو عنك فأبى وأنشأ يقول: "الزم باب ربك" القصيدة، يُنظَر: الغزالي، محمد، *الجانب العاطفي من الإسلام*، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الجيزة ط٣، ٢٠٠٥م، ص١٤٦

[١٠١] هو محمد بن حياة السندي المدني(ت١١٦٣هـ).

[١٠٢] *الديوان*، قافية النون، ص٦٤٤

حُبُّهَا تَحَكَّمْ ... وَمَازَجِ اللَّحْمَ وَالْعِظَامَ وَالدَّمْ

شَأْنُهَا مُعَظَّمْ ... لَوْ شَاهَدَ الْكَافِرْ جَمَالَهَا اسْلَمْ

مَا بِهَا تِبِدَّالْ ... هِي مَطْلَبِي فِي صَدِّهَا وَالِاقْبَالْ"[١٠٣]

وقد اندرج الشِّعرُ الحميني لدى الحدَّاد ضمن الأغراض الأساسيَّة الكُبرى (الوعظ والغَزَل) كما في المثالين آنفاً كما أنَّ نسبَتَهُ كانت قليلة جدَّاً[١٠٤].

## ظاهرة وصف الزمان الفاسد

إنَّنا نلمح ضمن قصائد الحَدَّاد، البيت والبيتين أو أكثر من ما يُبرِز لنا الصورة التي ارتسمت في ذهن الشاعر عن زمانه، ونستطيع أن نرى فيها اعتصار قلبه ألماً على فساد الزمان وتَلوّن أهلِهِ وبعدهم عن الحق والدين، بعد أنَّ مرَّت عليه حقبةٌ من زمانه الأوَّل في صدر حياته مع الصفو والوداد والوصال مع العلم وطلبه ومتابعة حياته العلمية، فما لبث هذا الصفو حتى نالته يد الأذى من الفئة الحاكمة في فترةٍ تَلَت هذه المرحلة، فراح يبثُّ ألمه وحزنه عبر كلماته التي أودعها هنا وهناك في قصائده المتنوعة، فنرى شعره حيناً يتدفَّقُ بالحنين إلى زمانه الأوَّل وصفو العيش الذي مرَّ عليه فمن ذلك قوله:

"إِذَا ذَكَرَ الصَبُّ عَيْشاً مَضَى بِحَيِّ الأَحِبَّةِ فِي خَيْرِ وَادْ

بَكَاهُ بِدَمْعٍ يُرَوِّي الخُدُودْ كَمَا يُرْوِيَ الأَرْضَ صَوْبُ العِهَادْ

وَهَاجَتْ بِأَحْشَائِهِ لَوْعَةٌ لَهَا زَفَـــــــرَاتٌ تَكَادُ تَكَادْ

وَإِنِّي لَأُبقِي عَلَى مُهْجَتِي إِذَا جَدَّ بِيْ الوَجْدُ خَوْفَ النَّفَادْ"[١٠٥]

---

[١٠٣] *الديوان*، قافية اللام، ص٥٨١

[١٠٤] ومن الأمثلة لهذه الظاهرة أيضاً: *الديوان*، قافية الراء ص ٣٥٩، وقافية اللام، ص ٥٧٧

[١٠٥] *الديوان*، قافية الدال، ص١٦٧، و"الصَّوبُ" نزول المطر، الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "صوب"، ج١ ص١٦٤، وقولهُ (العِهاد) جمعٌ للعِهْدِ وهو مطرُ أوَّلِ السَّنة، يُنظَر: ابن دريد، أبو بكر الأزدي، *جمهرة اللغة*، مادة "دعه"، ج٢ ص٦٦٨

فهو إذا ما تذكر ذلك العهد الماضي هاجت أشواقه وانفتقت أحزانه وحنينه وكاد القلب منه أن ينفَطِر، مُستخدِماً أسلوب التكرار والإيجاز بالحذف في قوله (تكاد تكاد)، ولِذا يَربَأ الحَدَّاد بنفسه عن هذا التذكار ويتسلَّى بشيءٍ آخر علَّه يستطيع أن يُبقِي على الرَّمَقِ الأخير المتبقي من حياته التي تنغَّصَت بزمانه الذي أقبل عليه، بالمُنَغِّصَات والأكدار.

وفي جانب آخر من شعره نستطيع القول أنَّه قام بوصف الزمان وفساده وتقلب أحوال أهله في مواضع متناثرة بين قصائده التي اندرجت ضمن الأغراض الأخرى –ولم يكن أساسُ نظمها في هجاءٍ ولاغيره–، ومن هذا ما قاله ضمن قصيدَةٍ وعظيَّة، جاعِلاً أسلوب الاستفهام فيها سبيلاً للتعجُّب والاستغراب من هذا الزمان الفاسد؛ فيقول:

"هُوَ الزَّمَانُ الَّذِي عَمَّ الحَرَامُ بِهِ وَالظُّلْمُ مِنْ غَيْرِ مَا شَكٍّ وَلاَ جَدَلِ
أينَ القُرَانُ كِتَابُ اللهِ حُجَّتُهُ وَأَيْنَ سُـــــنَّةُ طَهَ خَاتَمِ الرُّسُلِ
وَأَيْنَ هَدْيُ رِجَالِ اللهِ مِنْ سَلَفٍ كَانَ الهُدَى شَأْنَهُمْ فِي القَوْلِ وَالعَمَلِ"[١٠٦]

ويجد نفسه غريباً في ذا الزَّمَن الذي شطَّ أهله عن المهيَع[١٠٧] البَيِّن الأمين المأمون كتاب الله وسنة رسوله وهدي السلف الصالح من رجال الأمة، لذا صوَّر هذه الغربة التي مرَّت عليه ضمن قصيدةٍ فقال:

"وَأَنِّي مُقِـــيمٌ فِي مَوَاطِنَ غُرْبَةٍ عَلَى كَثْرَةِ الأُلَّافِ فِي جَانِبٍ وَحْدِي
قَرِيبٌ بَعِـــيدٌ كَائِنٌ غَيْرُ كَائِنٍ وَحـــيِدٌ فَرِيدٌ فِي طَرِيقِي وَفِي قَصْدِي"[١٠٨]

---

[١٠٦] *الديوان*، قافية اللام، ص٥٢٥

[١٠٧] الطريق الواسع البين، يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "هيع"، ج٨ ص٣٧٩

[١٠٨] *الديوان*، قافية الدال، ص١٦٤

وربما باح بغربته هذه بوجه آخر، فبيَّن خلوَّ الزمان من الصديق الصدوق الذي ينهض بصديقه إلى المعالي ويأخذ بيده إليها، وينهاه عن سَفسَافِ الأمور[١٠٩] ويَرْبَأُ بهِ عَنهَا؛ يقول:

"لَقَدْ عَزَّ فِي هَذَا الزَّمَانِ مُوَافِــقٌ  يُعِينُــكَ فِي مَجْدٍ وَيَنْهَاكَ عن سُفْلِ
إِذَا قُلْتَ خَيْراً قَالَ لَبَّيْكَ مُسْرِعاً  وَإِنْ قُلْتَ شَرَّاً قَالَ أَقْلِيكَ أَوْ تَقْلِي
أَمَا إِنَّ هَذَا الدَّهْرَ قَدْ ضَلَّ أَهْلُهُ  هُمُــومُهُمُ فِي لَــذَّةِ الفَرْجِ وَالأَكْلِ"[١١٠]

لكنَّ هذا الذَّم لوصفِ الزمان لم يبعث به إلى اليأس، ولم يَخلُد به إلى القعود عن الإصلاح والدعوة، فهو يدعو مرَّة أخرى إلى اللقاء بأهل الحق ونُصرَةِ القائمين بالحقوق الدينية وإصلاح فساد الزمان، فالأرض لا تخلُو منهم، ولِذا خاطب السامع أن يقطع اليأس من جذوره ويتحلَّى بالرجاء والأمل فيقول:

"وَالأَرْضُ لاَ تَخْــلُ مِنْ قَوْمٍ يَقُومُ بِهِمْ  أَمْــرُ الإِلهِ كَمَا قَدْ جَاءَ فَاحتَفِلِ
فَارْجُ الإِلهَ وَلاَ تَــيْأَسْ وَإِنْ بَعُدَتْ  مَــطَالِبٌ إِنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ مَلِي
وَاطْلُبْ بِصِدْقِكَ أَهْلَ الْحَقِّ عَلَّكَ أَنْ  وَاصْبِرْ وَجِدّ وَطَوِّفْ قَصْدَهمْ وَجُلِ"[١١١]

ويلاحَظُ أنَّ الحَدَّاد في نقدِهِ للزمان، يجعل في طيَّات شعرِهِ النصحَ للسامع وكأنّهُ يَقفُ بِه على صورة الزمن وفساد أهله، لِيَحذَرَ أن يضيع كضياعهم، ومِن ثَمَّ يبُثُّ لهُ نصحَهُ ويبعث فيه الأَمَل.

وهكذا نلمح أنَّ الحَدَّاد أظهر بين ثنايا القصائد المختلفة وصفه للزمان وقام بِذَمِّه، وتَحسَّر على زمانه الفائت، لكنَّ هذه الأبيات المتناثرة هنا وهناك، لم تَرقَ لِأَن تكونَ غرَضَاً

---

[١٠٩] السَّفْسَافُ هو الرديء من كل شيء، يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "سفف"، ج٩ ص١٥٥

[١١٠] *الديوان*، قافية اللام، ص٤٩٣

[١١١] *الديوان*، قافية اللام، ص٥٢٦، وقوله (جُل) الأمر من جَالَ يَجُولُ جَوْلاً وجَوَلَاناً، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "جول"، ج٤ ص١٦٦٢

مُستَقِلّاً يبحَث بمفردِهِ كسائر أغراض الحَدَّاد الشعريَّة، ولذلك كان لا بُدَّ من الكلام عليه كونه ظاهِرَة من الظَّواهر البارزة في ديوان الحدَّاد[١١٢].

[١١٢] ومن الأمثلة أيضاً لهذه الظَّاهرة: *الديوان*، قافية النون، ص٦٨٦

# الأغراض الشعرية الصُّغرى

## تمهيد

الغَرَضُ **لغةً**: قال ابن منظور: "هو الهدف الذي يُنصَب فَيُرمَى فِيهِ، والجَمعُ أَغْرَاضٌ"[١١٣]، وقال أبو نصر الجوهري: "فهمتُ غَرَضَك أي قصدَكَ"[١١٤]، وأكَّدَ هذه المعاني زين الدين الرَّازي(ت٦٦٦هـ)[١١٥]، ولهذه اللَّفظة معانٍ أخرى كالضَّجر والمِلال والشَّوق، وإذا قيلَ غَرُضَ الشيءُ فهذا يعني أنَّهُ صَغُرَ[١١٦].

وأمَّا **اصطِلاحَاً**: فيُقصَدُ بِهِ الهدف الَّذي نُظِمت لأجله القصيدة الشِّعريَّة، فالشَّاعر العربيّ لم يَكُن لِينظِمَ شِعرَه وقصائده الطِّوال جُزافاً، بل كان له هَدفٌ موضوعٌ نصبَ عينيه أقامَ لَهُ خِطَّةً مدروسَةً بإحكام وإتقان لِيَخلُص إليه، فيَبدَأُ بِمُقَدِّمَةٍ ثمَّ يأتي على الغرض ثمَّ يختم بنتيجة ما اعتلج داخله من مشاعرَ وأفكارٍ؛ وقد تَعَدَّدَت التَّسميات لهذا المُصطَلَح في الأدب العربي فبعضُ النُّقَّاد أسموهُ أبواب الشعر كأبي تمَّام في حماسَتِه حيث قال: "باب الحماسة، باب المراثي، باب النَّسيب"[١١٧]، أمَّا ابن رشيق فبعد أن أفرَد باباً أسماه أغراض الشعر قام بنقل تسمية مصطلح الأغراض باسم الأنواع فقال ناقِلاً عن قومٍ أنَّهم يرونَ الشِّعرَ كُلَّه "نوعين هما المدحُ والهِجاء"[١١٨]، وفي موضِعٍ آخَر أسمى الأغراض باسم الأركان[١١٩].

---

[١١٣] ابن منظور، لسان العرب، مادة "غرض"، ج٧ ص١٩٦

[١١٤] الجوهري، أبو نصر، تاج اللغة وصحاح العربية، مادة "غرض"، ج٣ ص١٠٩٣

[١١٥] يُنظَر: الرَّازي، زين الدين محمد بن أبي بكر، *مختار الصِّحاح*، مادة "غرض"، الدار العصريَّة، بيروت، ١٩٩٠م، ص٢٢٦

[١١٦] يُنظَر: الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، *القاموس المحيط*، تح: محمد نعيم عرقسوسي، مادة "غرض"، مؤسسة الرسالة، بيروت،٢٠٠٥م، ص٦٤٨

[١١٧] أبو تمام، حبيب بن أوس، *الحماسة الصُّغرى*، تح: عبد العزيز الراجكوتي، دار المعارف، القاهرةط٣، ص٥ و١٢٣و١٨٢

[١١٨] القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*، ج١ ص١٢١

[١١٩] المصدر السَّابق، ج١ ص١٢٠

وإذا أردنا أن نلتمس كلامَ النُّقَّاد على هذه الأغراض الشِّعريَّة وليس في مُسمَّاها، فإنَّنا نلمح كلام أبي هلال العسكريّ(ت٣٩٥هـ) أنَّ المديحَ أكثرُها استعمالاً وأعلاها شأناً فعدَّه في مُقَدِّمَةِ أغراض الشِّعر الأساسيَّة فقال: "ولّمَّا كانت أغراض الشُّعراء كثيرة ومعانيهم مُتَشَعِّبَة جَمَّة لا يبلغها الإحصاء كان من الوجه أن نذكر ما هو أكثر استعمالاً وأطول مدارسةً له وهو المدح والهجاء والوصف والنَّسيب والمراثي والفخر"[١٢٠].

وقد مرَّ نقل ابن رشيق للرَّأي القائل أنَّ الأغراض الشعريَّة كُلَّها قائِمَةٌ على نوعين هما المدح والهجاء فإلى الأوَّل يرجِع الافتخار والتَّشبيب والرِّثاء وكلَّ ماله صِلة بمحمود الوصف كالتشبيهات الجميلة ونحوها والأخلاق الحسنة والحِكَم والأمثال والمواعظ والقناعة والزهد في الدُّنيا، وإلى الثَّاني–الَّذي هو الهجاء– يرجعُ كلُّ ما كان ضِدَّ ذلك[١٢١]، لكنَّ ابن رشيق عادَ في موضِعٍ آخر لينقلَ أنَّ الشعرَ كلَّهُ قائِمٌ على أربعة أركان هي: "المدحُ والهِجاءُ والنَّسيبُ والرِّثاء"[١٢٢]، ويؤيِّد عمر فرُّوخ(ت١٩٨٧م) الرَّأي القائل بأنَّ الشِّعر إلا أقله راجعٌ إلى الوصف حيث يقول: "والأصل في الأدب كله أن يكون فناً واحداً هو الوصف"[١٢٣].

ولمَّا كان هذا البحثُ يتكلَّمُ في الأغراض الشِّعريَّة في ديوان الحدَّاد كانَ لابُدَّ من معرفة الأغراض التي كانت سائِدةً في عصره، وهو العصر العثماني الَّذي امتَدَّ من عام (١٥١٧م) إلى بدايات القرن التاسع عشر (١٩١٧م)، وهو عصرٌ يلمحُ المُطَّلِعُ عليهِ تَطَوُّرَاً في الشِّعر العربيّ، إذ نرى جنوح الكثير من الشُّعراء إلى المزيد منَ التَّصَنُّعِ في الفنون والأغراض المختَلِفة، ويرى عمر موسى باشا أنَّ هذا العصر كان امتداداً للعصر الأدبيّ المملوكيّ سواءٌ في الحياة الفكريَّة أم الأدبيَّة.[١٢٤]

---

[١٢٠] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، *الصناعتين*. المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ، ص١٣١

[١٢١] يُنظَر: القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*، ج١ ص١٢٠

[١٢٢] *المصدر السَّابق*، ج١ ص١٢٠

[١٢٣] فروخ، عمر، *تاريخ الأدب العربي "العصر الجاهلي والإسلامي والأموي"*، ج١، ص٤٩

[١٢٤] يُنظَر: باشا، عمر موسى، *تاريخ الأدب العربي "العصر العثماني"*، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٩٨٩م، ص٣٧ و٨٢

وقد كان الشُّعراء في هذا العصر يجمعون بين إتقان النَّثر الأدبي إلى جانب إتقان الشِّعر، ويجمعون إلى ذلك الثَّقافة الواسعة والإلمام بكل علمٍ والأخذ منهُ بِطَرَف، وكانوا لا يقتصرون في شعرهم على المعاني والأغراض التقليديَّة، بل أضافوا إليها بعض الاتِّجَاهات الدخيلة الجديدة مثل صنع الألغاز والأحاجي وجعلوا لِكُلِّ فنٍّ أسلوباً مُمَيَّزاً واستعمالاً خاصًّا، ويُضافُ إلى هذه الأغراض فنُّ التَّأريخ إذ كانوا يُؤَرِّخون لكلِّ حَادثٍ عظيمٍ بتأريخٍ في آخر شطرٍ في القصيدة، فيؤرِّخون حسب الحروف وما يُقابِلُها مِمَّا تُعادِلُهُ في الأبجَدِيَّة العربية في ما يُعرَف بحِساب الجمل، وقد كان عبد الرحمن البهلول (ت١١٦٣هـ) الشَّاعر الذي تميَّز بهذا الباب -أعني التأريخ-[١٢٥]، وقد شَملَ التَّأريخ معظمَ الأغراض الشعريَّة في هذا العصر حتى الرِّثاء[١٢٦]، كما شَهِدَت الموَشَّحات تطوّراً كبيراً في هذا العصر ويُضاف إليها المواليات والدُّوبيتات[١٢٧].

وقد كان بعض الشعراء يُرَكِّزُ على غرضٍ ويُكثِرُ منه مع كونِه لا يُهمِل الأغراض الأخرى ولا الفنون المستحدَثَة في العصر -من موشحات ودوبيتات- فابن النَّحاس الحلبي (ت١٠٥٣هـ) أكثر من المدح لكنَّ هذا لم يُؤدِّ به إلى إهمال أغراض أخرى كالفخر والشكوى والنَّسيب والغزل.

وكان كثيرٌ من شعراء هذا العصر يلتفتون إلى ذواتِهِم لما يجدونَه من ضيعة الشِّعر عند مَن قاموا بمدحهم، فيقومون بتَأَمُّلِ ذواتهم وما لاقوه من عِشرة النَّاس وما ذاقوه من الغربةِ والاغتراب.[١٢٨]

كما لم تخلو الأغراض الشِّعرية في العصر العثماني من الخمريَّات و وَصف الطَّبيعة ويجذب الانتباه في هذا العصر تَطَوَّر المدائح النَّبويَّة، كما وصلت القصائد الصوفيَّة إلى قمَّة

---

[١٢٥] يُنظَر: المرادي، أبي الفضل محمد بن خليل، *سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر*، ج٢ ص٣١٠

[١٢٦] يُنظَر: باشا، عمر موسى، *تاريخ الأدب العربي "العصر العثماني"*، ص٨٠

[١٢٧] يُنظَر: المصدر السابق، ص٨٥

[١٢٨] يُنظَر: المصدر السابق، ص١٢٦

نُضجها الفَنِّي حتى صارت لها دواوينها الخاصَّة وكان عبد الغني النَّابلسي (ت١١٤٣هـ) فارس هذا الميدان، ومن أشهر شعراء هذا العصر الأمير منجك باشا اليوسفي (ت١٠٨٠هـ) وابن النَّقيب الحُسيني (ت١٠٨١هـ) وأبو معتوق شهاب الموسوي (ت١٠٨٧هـ)[١٢٩].

تلك هي نُبذَةٌ عن أهمِّ الأغراض الشعرية والشعراء في عصر الشاعر الحدَّاد، وإنَّنا بالاستقراء لديوان الحَدَّاد يُمكِنُنا تقسيم الأغراض التي طرَق بابها إلى قسمين:

**أوَّلُهما:** الأغراض الصُّغرى الَّتي أقلَّ منها وهي: (غرض الدُّعاء، والرِّثاء)، ويُلحَقُ بها ما طواهُ من أغراضٍ في قصائدِه الطِّوال، إذ قامَ بِبَسط عِدَّة أغراض في هذه القصائد.

و**ثانيهما:** الأغراض الكُبرى الَّتي أكثرَ منها وهي: (أغراض الوعظ، والمديح النَّبوي، والغزل)

وسيكون الكلام في هذا المبحث عن الأغراض الصُّغرى.

## غرضا الدُّعاء والرِّثاء

### غرض الدعاء

الدعاءُ **لُغةً:** الأصلُ في الدُّعاء النِّداء والطَّلب، فلو قيل دعا بالشَّيء دَعوَاً ودَعوَى ودُعَاءً ودَعوَةً فهذا يعني طلَب إحضارَهُ[١٣٠]، وإذا قيلَ دَعَا فلانٌ فلاناً أي أنَّهُ ناداه وصاح به[١٣١]، ودَعَا المؤمنُ ربَّهُ إذا رَجَا منهُ جلبَ الخير أو دفعَ الضُّر في الدُّنيا أو الآخرة، ودَعَا فلانٌ على فلان إذا طلبَ لهُ حصول الشَّر وإذا دعا لهُ فالمعنى طلب له حصول الخير[١٣٢]، ودَعَا فلانٌ فلاناً إلى الصَّلاة أو القتال أي حَثَّه عليهما[١٣٣]، وقد يُسمَّى الاجتهاد في الدُّعاء ابتهالاً، إذ يقول

---

[١٢٩] للاستزادة يُنظَر: باشا، عمر موسى، *تاريخ الأدب العربي "العصر العثماني"*، ص٧٧ وما بعدها.

[١٣٠] يُنظَر: العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، *الفروق اللغويَّة*، تح: بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، قُم، ١٤١٢هـ، ص٥٣٤

[١٣١] يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربيَّة*، مادة "دعا"، ج٦ ص٢٣٣٦

[١٣٢] يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "دعا"، ج١٤ ص٢٥٨

[١٣٣] يُنظَر: مجموعة مؤلفين، *المعجم الوسيط*، مادَّة "دعا"، ج١ ص٢٨٦

الزَّمخشري (ت٥٣٤هـ): "ابتهل إلى الله: تَضرَّع واجتهد في الدُّعاء اجتهادَ المبتهلين"[١٣٤]، وللدعاء معانٍ أُخرى هي التوحيدُ والثَّناء والصِّياح والقول والاستغاثة[١٣٥].

وأمَّا **اصطلاحاً**: فهو استدعاء العبد من رَبِّهِ العِنَايةَ واستمدادُه إيَّاهُ المَعونةَ، وإظهار الافتقار إليه، والتبرُّؤ مِن الحَولِ والقُوَّةِ[١٣٦]، وفي الحديث الشريف: "الدُّعاء هو العبادة"[١٣٧]، وفي القرآن الكريم: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ) غافر: ٦٠

وقد كان غرض الدعاء حاضراً عندَ شعراء الحنيفيَّة[١٣٨] في العصر الجاهلي مهَّدوا به لِتَقَبُّلِ فكرة التوحيد، وحتى عند الشعراء الجاهليين أنفسهم حيث دعوا الله بالخير أو الشر، واستمر ذلك في العصر الإسلامي والأموي والعباسي ونجده حاضراً مستقلاً في قصائد الشافعي وحتى من جاء بعده من الشعراء كأبي نواس (ت١٩٨هـ) القائل:

"أَحْبَبتُ مِن شِعرِ بَشّارٍ وحِكمَتِهِ  بيتاً شُغِفتُ بِهِ مِن شِعرِ بَشّارِ
يا رَحمَةَ اللهِ حُلِّي في مَنازِلِنا  وَجاوِرينا فَدَتكِ النَفسُ مِن جَارِ"[١٣٩]

وتجدر الإشارة إلى أمرٍ مُهِمٍ، هو أنَّ غرض الدعاء يتطلَّبُ تواصلاً آخرَ غير تواصل الإنسان مع الإنسان، كما يُلمَس ذلك في شعر الحَدَّاد وغيره من الشُّعراء، ألا وهو التواصل مع الله وحده، ولذلك لم يحقق هذا الغرض حَيِّزاً منفرداً كما هو في الأغراض الشِّعريّة الأخرى

---

[١٣٤] الزمخشري، جار الله محمود، *أساس البلاغة*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ج١ ص٨٥

[١٣٥] يُنظَر: مقدم، ماهر عبد الحميد، *شرح الدعاء في الكتاب والسُّنَّة*، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط١، ٢٠١١م، ص١٠ و١١

[١٣٦] يُنظَر: الخطَّابي، أبو سليمان بن محمد، *شأن الدُّعاء*، تح: أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، بيروت، ط٣، ١٩٩٢م، ص٤

[١٣٧] الفارسي، علاء الدين بن علي، *الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان*، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٨م ج٣ ص١٧٢

[١٣٨] يقال للرجل تحنَّفَ إذا اعتزل عبادة الأصنام وتعبَّد، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "حَنَفَ"، ج٤ ص١٣٤٧

[١٣٩] عبد الرحيم، محمد، *الدعاء في الشعر العربي*، دار الراتب الجامعية، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٤

(المديح، الرثاء، الهجاء وغيرها) ولم يتطوَّر هذا الفن إلا في سياق الزُّهد والوعظ على شكل مقطوعاتٍ كقول أبي نواس حين تزهَّد:

"يا رَبِّ إن عَظُمَت ذُنوبِيَ كَثرَةً فَلَقَد عَلِمتُ بِأَنَّ عَفوَكَ أَعظَمُ

أَدعوكَ رَبِّ كَما أَمَرتَ تَضَرُّعاً فَإِذا رَدَدْتَ يَدِي فَمَن ذَا يَرْحَمُ

مَا لِي إِلَيكَ وَسيلَةٌ إِلّا الرَّجَا وَجَميلُ عَفوِكَ ثُمَّ أَنِّي مُسلِمُ"[١٤٠]

ولعلَّ هذا السبب هو الَّذي كان وراء إكثار الحَدَّاد من الدعاء في شعره كمقطوعات أو كقصائد مستقلَّة، حيث إنَّه اهتمَّ كثيراً بغرض الوعظ والزهد وأكثَرَ منه، فأدَّاه ذلك إلى بروز غرض الدعاء في شعره؛ وقد اتّخذ هذا الغرض عند الحَدَّاد عدَّة أشكال:

**الأوَّل**: البيت الواحد أو البيتان؛ في نهاية القصائد

**الثَّاني**: المقطَّعات؛ وهي خمسة أبيات أو أكثر في خواتم قصائده الكبرى وغيرها

**الثَّالث**: القصائد؛ التي خصَّصها لغرض الدعاء من بدايتها إلى نهايتها

وبالاطلاع على قصائده في الدعاء، نجد أنها لم تكن منظومة على لسان الشاعر وحده بل إنَّ بعضها منظومٌ على لسان المسلمين في ذلك الوقت، وعلى لسانهم يشكو الحَدَّاد إلى الله القحط والجدب، ويرفع إلى عليائه حال الحُكَّام وظلمهم وتسلطهم على الرعيَّة، ويطوي خلالها الأمل بالله وبنصره الموعود للمؤمنين وإغاثته لهم سبحانه، فهو حاشاه أن يخذلهم ويتركهم، ومن أمثلة ذلك قوله:

---

[١٤٠] أبو نواس، الحسن بن هانئ، *ديوان أبي نواس*، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٢م، ص٥٨

"النَّاسُ في ضِيقٍ وفِي حَرَجِ يَشكُونَ مِن كَسْرٍ وَمِن عَرَجِ
ياربُّ يادَيَّانُ يَا كَهفَنا في سَاعَةِ الإرجَافِ[١٤١] وَالرَّهَجِ[١٤٢]
يا ربُّ يا ذَا العَرْشِ وَالكِبرِيَا والمَجدِ إحفَظنَا مِنَ الهَرَجِ[١٤٣]
ومِن فَرِيقٍ لَا خَلَاقَ لهُم قد أَمعَنوا في الخُلْفِ والمَرَجِ[١٤٤]
ويتركونَا كَالبَهَائِمِ وَالأَنْـ ـعَامِ لَا نُصغِي إِلَى الحُجَجِ
كلَّا لَعَمْرُ اللهِ لَن يَقدِرُوُا وَلَن يُطِيقُوا ذَاكَ أَو نَعُجِ"[١٤٥]

ويُلمح الألم الممزوج مع الأمل في هذه الأبيات، فالألم من الحكام وإرادتهم استعباد الرعية كالأنعام، أمَّا الأمل فهو بالله تعالى وبالاعتصام بحبله الوثيق، فبه لن يملك أحدٌ الجُرأَةَ على مَن لجأ لكَنَفِ الله تعالى واستغاث به، أمّا إذا ما تُرِكَ هذا الحبل المتين وحَادَ الناس عن هذا الصراط المستقيم فقد مكَّنوا الأعداء منهم ولذلك قال (أو نَعُجِ).

وقد عَدَّ ابن منظور الدُّعاء على ثلاثة أوجه، أوَّلها: التوحيد لله تعالى وتمجيده وتنزيه وتقديس ذاته العليَّة، وثانيها: استمطار الرحمة وسؤال العفو منه، والوجه الثالث: مسألة الإنسان من الله في حظوظ الدنيا كأن يطلب من الله أن يرزقه الولد أو أن يعطيه المال[١٤٦].

وإذا كان الحَدَّاد قد نظم على لسان الناس، فإننا نجده قد نظم شعره مناجياً الله بلسانه أيضاً في عدَّة قصائد، منها تلك القصيدة المندرجة ضمن الضرب الأول من أضرُبِ الدعاء وهو القائم على توحيد الله وتمجيده، حيث قام الحَدَّاد بحشد معاني التوحيد والتنزيه لله تعالى

---

[١٤١] الخوض في الأخبار الكاذبة والسيئة عند اضطراب الأمور واختلاطها، يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "رَجَفَ"، ج٩ ص١١٣

[١٤٢] الهَرَجُ والهَرْج الغبار، وهو هنا كناية عن اشتداد الخطوب والأهوال، يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "رَهَجْ"، ج٢ ص٢٨٤

[١٤٣] الفتنة والاختلاط، الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "هَرْج"، ج١ ص٣٥٠

[١٤٤] مرج الأمر والدين: أي اختلط واضطرب اضطراباً، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "مَرَج"، ج١ ص٣٤١

[١٤٥] *الديوان*، قافية الجيم، ص١٤٣

[١٤٦] يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "دعا"، ج١٤ ص٢٥٧

فيها، مُبرِزاً فقر كلِّ العوالم لرحمته وفضله، ومن ثمَّ شرع يدعوه ويناجيه بلسانٍ لَهِجٍ، مع الرجاء والأمل الذي يرافقه التذَلُّل والافتقار بين يدي الله عزَّ وجَل، يقول في مطلع القصيدة:

"ما في الوُجودِ وَلَا فِي الكَونِ مِن أَحَدٍ إِلّا فَقيرٌ لِفَضلِ الواحِدِ الأَحَدِ
مُعَوِّلُونَ عَلَى إِحسَانِهُ فُقَرَا لِفَيضِ إِفضَالِهِ يا نِعمَ مِن صَمَدِ
سُبحانَ مَن خَلَقَ الأَكوانَ مِن عَدَمٍ وَعَمَّها مِنهُ بِالإفضالِ وَالمدَدِ
تَبارَكَ اللهُ لا تُحصَى مَحامِدُهُ وَلَيسَ تُحصَرُ في حَدٍّ وَلا عَدَدِ"[١٤٧]

ويرى ابن عاشور (ت١٣٩٣هـ) أنَّ الإطناب مناسبٌ لمقام الدعاء لما فيه من التذلل والابتهال لتأكيد الدعاء وتأمُّل حصول الإجابة وهو أسلوب واردٌ بكثرة في القرآن الكريم[١٤٨]، ولذا أطنب الحَدَّاد بعد هذه المقدمة فقال:

"أللهُ أللهُ رَبّي لا شَريكَ لَهُ أللهُ أللهُ مَعْبُودِي وَمُلتَحَدِي
أللهُ أللهُ لا أَبغِي بِهِ بَدَلاً أللهُ أللهُ مَقْصُودي وَمُعتَمَدي
أللهُ أللهُ أَدعُوهُ وَأَسأَلُهُ أللهُ أللهُ مَأمولي وَمُستَنَدِي"[١٤٩]

ويتابع مستخدِماً الإطناب بتكرير فعل الرجاء مبيّناً بذلك زيادة معنىً اختلج بين جَنَباتِهِ وهو صدق لجوءه واستعطافه للجود الإلهي، فيقول:

---

[١٤٧] *الديوان*، قافية الدال، ص٢٠٥

[١٤٨] يُنظَر: ابن عاشور، محمد الطاهر، *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤م، ج٣٠ ص٦٢٧

[١٤٩] *الديوان*، قافية الدال، ص٢٠٦

"أَنتَ الغِياثُ لِمَن ضاقَت مَذاهِبُهُ وَمَن أَلَمَّ بِهِ خَطبٌ مِنَ النَّكَدِ[١٥٠]

أَرجوكَ تَغفِرُ لِي أَرجُوكَ تَرحَمُنِي أَرجوكَ تُذهِبُ ما عِندي مِنَ الأَوَدِ[١٥١]

وَلا بَرِحْتُ أَمُدُّ الكَفَّ مُبتَهِلاً إِلَيكَ في حالَيِ الإِملاقِ وَالرَغَدِ"[١٥٢]

فهو يعرض على مولاه حاله ويستغيث به واصِفاً حاله؛ حيث انسدَّت في وجهه السُّبُل وتَعسَّرَت عليه الأحوال، فالتجأ إلى الله مُعبِّراً عن شدة رجاءه بتكرار فعل الرجاء وطلب الغفران وتقويم الاعوجاج وإصلاح الأحوال، فهو لا يفتئ يدعو الله مع حسن الظن بالاستجابة والقبول؛ الذي ما فارق قلبه في كل حالٍ من أحواله.

ومِمَّا يندرج ضمن الشَّكل الثاني الذي صاغ عليه غرض الدعاء، تلك الخاتمة التي ختم بها قصيدته التَّائية الكبرى والتي تبرز قدرته اللغوية والبلاغية على تصوير المعاني المجرَّدة، وجمال أسلوبه في استجداء الرحمة الإلهية، فخيَّم على الأبيات جو من الأمل يبرز عظمة الرجاء والاستعطاف، وكأنَّه يطلب شيئاً حسيَّاً ملموساً، وقد وطَّئ لهذا الدعاء بإظهار عجزه وتقصيره وفقره، ولجوءَهُ إلى الرب الرحيم حيث قال:

"غِيَاثِي إِذَا ضَاقَت عَلَيَّ مَذَاهِبِي وَمِنهُ أُرَجِّي كَشفَ ضُرِّي وَشِدَّتِي

مَلاَذِي وَمَقْصُودِي وَكَهْفِي وَمَفْزَعِي عَلَيْهِ اعْتَمَادِي وَهْوَ ذُخرِي وَعُدَّتِي

وَحَسْبِي كَفَانِي عِلْمُهُ وَاطِّلاَعُهُ عَلَى مَا بِقَلْبِي وَالفُؤَادِ وَجُمْلَتِي

هَرَبْتُ بِتَقصِيرِي وَفَقرِي وَفَاقَتِي إِليهِ وَعُذرِي رَاجِيَاً نَيلَ رَحمَةِ

وَوَجَّهتُ وَجهِي قَاصِداً لِفِنَائِه عَلَى رَغبَةٍ مِنِّي بِإِعطَاءِ رَغبَةِ"[١٥٣]

---

[١٥٠] مصدر نَكِدَ، ويقال نَكِدَ العيشُ أي اشتدَّ ورجلٌ نَكِدٌ أي عَسِر، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "نَكِدَ"، ج٢ ص٥٤٥

[١٥١] الأَوَد: العِوَج، يُنظَر: مجموعة مؤلفين، *المعجم الوسيط*، مادة "أَوِدَ"، ج١ ص٣٢

[١٥٢] *الديوان*، قافية الدال، ص٢٠٦، و(الإملاق): الافتقار، الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "ملقَ"، ج٤ ص١٥٥٧، و(الرَّغَد): اتساع العيش وطيبه، يُنظَر: *المصدر السابق*، مادة "رغد"، ج٢ ص٤٧٥

[١٥٣] *الديوان*، قافية التاء، ص١٢٦

ثم أحسن التخلص إلى الدعاء فتابع قائلاً:

"وَيَا نَظَرَاتِ اللهِ يَا لَحَظَاتِهِ وَيَا نَسَمَاتِ القُربِ أُمِّي بِهَبَّةِ
وَيَا غارةَ الرَّحمَنِ جِدِّي بِسُرعَةٍ إلينا وحُلِّي عَقْدَ كُلَّ مُلِمَّةِ
وَيَا رَحمَةَ الرَّبِّ الرَّحِيمِ تَوَجَّهِي وَأَحْيِي بِرُوْحِ الفَضلِ كُلَّ رَمِيمَةِ
وَيَا كُلَّ أَبْوابِ القَبُولِ تَفَتَّحِي فَإِنَّ مَطَايَا القَصْدِ نَحوَكِ أَمَّتِ
وَيَا سُحُبَ الجُودِ الإِلهِيِّ أَمطِرِي فَإِنّ أَكُفَّ المِحْلِ تِلقَاكِ مُدَّتِ"[١٥٤]

ويظهر الجمال البلاغي لهذه الأبيات، باستعارته للمعاني صوراً حسيَّة مشاهدة يستجدي حصولها الذي لا يعجز الله فالقرب جعله نسيماً والرحمة غيث ماطر يحيي الأمل الجاثم في صدور الراجين وجعل للقبول والاستجابة أبواباً تُقرَع بأيدي المؤمّلين أمَّا الجود والكرم فما هما إلَّا دِيَمٌ[١٥٥]هطَّالة تُستجدى عند حلول القحط والجدب.

ونستطيع القول أنَّ الحَدَّاد في غرض الدعاء حرصَ على انتقاء ألفاظهِ بِدِقَّة، وكان فيها شيء من الغرابة (الرَّهَج، المَرَج، الإرجاف) وكان يحرص على المحسنات البديعيَّة والصور البلاغيَّة في أبياتِهِ[١٥٦].

---

[١٥٤] *الديوان*، قافية التاء، ص١٢٧

[١٥٥] جمعُ دِيَمَة أي المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "ديم"، ج٥ ص١٩٢٤

[١٥٦] ومن الأمثلة الأخرى لغرض الدعاء، *الديوان*، قافية اللام، ص٥٦٢، وقافية الراء، ص٢٩٧

## غرض الرِّثاء

الرثاءُ **لغةً**: هو مَدحُ الميِّت والبُكاءُ عليهِ، فَيُقَال: رثى فلانٌ فلاناً ويَرثيهِ تَرثِيَةً إذا مَدَحَهُ بعد موته، ورثى فلانٌ فلاناً يرثيهِ رَثْياً ومَرثِيَّةً إذا بكاهُ بعد موتِهِ، ورَثوتُ الميِّتَ يعني بكيتُهُ وعَدَّدتُ مَحاسِنَه، وقد قيلَ أنَّ قولك رثأتُ الرَّجُل رِثاءً لُغَةٌ بمعنى رثيتُ و رَثَوتُ[١٥٧].

وأمَّا **اصطلاحاً**: فيُبَيِّن جرجي زيدان(ت١٣٣٢هـ) مَرَّةً أُخرى أنَّ الرثاء هو مدحُكَ للمَيِّت[١٥٨] ويقول قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ): أنَّه لا فرقَ بين قصيدة الرثاء والمدح إلا في الألفاظ التي تدلُّ على أنَّ الممدوح ميت مثل تَولَّى وكان وقضى نحبه وما أشبه ذلك، ويشير إلى أنَّ هذه الألفاظ لا تزيد أي شيء في المعنى ولا تنقص منه لأنَّ تأبين الميت هو بمثل ما كان يمدح به أثناء حياته[١٥٩].

ويحدِّد أبوعلي ابن رشيق القيرواني السِّمات العامة التي يجب تَوفُّرُهَا في شعر الرِّثاء فيقول: "وسبيل الرثاء أن يكون ظاهر التَّفَجُّع، بَيِّن الحسرة، مخلوطاً بالتَّلَهُّفِ وَالأَسف والاستعظام"[١٦٠].

ويمكننا القول إنَّ الحَدَّاد يُعَدُّ شاعراً مُقِلَّاً في غرض الرثاء، لكنَّه على الرغم من ذلك قد جوَّد فيه أحسن تجويد، وَلَعَلَّ السبب في هذا التجويد يعود إلى غرض الرِّثَاء نفسِه حيث يرى يحيى الجبوري: "أنَّه من الفنون التي جوَّد فيها الشعراء لأنَّه تعبير عن شعور خلجات قلب حزين وفيه لوعة صادقة وحسرات حرَّى، لذلك هو من الفنون القريبة إلى النفس"[١٦١].

---

[١٥٧] يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "رثَأَ" ج١ ص٨٣؛ ومادة "رثا" ج١٤ ص٣٠٩

[١٥٨] زيدان، جرجي، *تاريخ الأدب العربي*، دار مكتبة الحياة، بيروت، ج١ ص٨٤

[١٥٩] ابن قدامة، أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي، *نقد الشعر*، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م، ص٣٣

[١٦٠] القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*، ج٢ ص١٤٧

[١٦١] الجبوري، يحيى، *الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه*، مؤسسة الرسالة، بيروت ط٥، ١٩٨٦م، ص١٦٥

وقد شملت صنوف الرثاء الإخوةَ والآباءَ والأبناءَ والجواري والأَشرَافَ[١٦٢]، وكان منها رثاء الأزواج الذي لم يزل حاضِراً في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي، ومن صور هذا الرثاء بين الأزواج، ما رَثَت به جليلة بنت مرَّة زوجَها لـمَّا قتلَه أخوها جسَّاس، فبكتهُ بأحَرّ الدموع، إذ كانت في موقفٍ لا تُحسَدُ عَليهِ، حتى قالت:

"إنَّني قَاتِلةٌ مَقتُولَةٌ فَلَعَلَّ اللهَ أَن يَرتَاحُ لِي"[١٦٣]

وقد ساق ابن رشيق كلماتها لتَكون دليلاً على صدق العاطفة في الرثاء، وأعقبَ كلماتها بقوله: "فانظر؛ ما أشجى لفظها، وأظهر الفجيعة فيه، وكيف يثيرُ كوامنَ الأشجان، ويقدحُ شَرَرَ النِّيرَان"[١٦٤].

ومن صوَرِ رثاء الأزواجِ لزوجاتِهِنَّ، المراثي التي رَثَا بها محمد بن عبد الملك الزيَّات زوجتَه، كقولِهِ:

"يقولُ ليَ الخِلَّانُ لو زُرتَ قَبرَهَا فَقُلتُ: وَهَل غيرُ الفُؤَادِ لَهَا قَبرُ"[١٦٥]

ووصفَ المبَرِّد الشِّعرَ الذي نَظَمَهُ الزيَّات في رثائه لزوجته بأنَّهُ: "يقرُبُ منَ القَلبِ، وَيضطرُّ إلى تَصديقه، وَيرتاحُ لِعَهدِ قَائِله، ويرحَم لِشكَوى بَثِّهِ"[١٦٦].

وقد كان من مراثي الحَدَّاد التي أبدع فيها تلك المرثيَّة الحزينة المليئة باللوعة التي رثى بها زوجته وخاطب بها قبرها، واستمطر الرحمات الإلهية أن تنزل على تلك المقبرة التي حلَّ بها قبرها

---

[١٦٢] الأندلسي، شهاب الدين أحمد ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، "المراثي"، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤٠٤هـ، ج٣ ص٢٠١

[١٦٣] القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*، ج٢ ص١٥٤

[١٦٤] *المصدر السابق*، ج٢ ص١٥٣

[١٦٥] المبرّد، محمد بن يزيد، *التعازي*، تح: إبراهيم محمد حسن الجمل، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ص١٨١

[١٦٦] *المصدر السابق*، ص١٨١

"مقبرة بَشَّار"[١٦٧]، وطلب من تلك الرحمة أن تخبر الفقيدة أنَّه لا يزال على عهد الوفاء والحب معها، يقول:

"سَقَى اللهُ بَشَّاراً بِوابِلِ رَحمَةٍ يَجُودُ عَلَيهَا بِالصَّباحِ وَبالإمْسَا
مَرَابِعَ أَحْبَابِ ٱلْفُؤَادِ وَمَنْ لَهُم بِهِ صِدقُ وُدٍّ فِي سَرَائِرِهِ أَرْسَى
وَلاَ تَنسَ مَا بَينَ القُبُورِ بِزَنْبَلٍ لَقبرٍ بقَلبِي ذِكْرُهُ قَطُّ لاَ يُنسَىَ
تَضَمَّنَ إِلفَاً صَالِحَاً وَمُبَارَكَاً فَأَكْرِمْ بِه قَبْراً وَأَكْرِمْ بِه رَمْسَا
دَفَنتُ مَعَ مَنْ فِيهِ رُوحِي وَرَاحَتِي فَعَادَ أَغَضُّ العَيشِ مِنْ بَعْدِهِ يَبْسَا
فَيَا رَحَمَةَ الرَّحْمَنِ زُورِيهِ واحْلُلِي عَلَى قَبْرِهِ حتَّى تَطِيبَ لهُ نَفْسَا"[١٦٨]

هنا كَسَا الحَدَّاد مَرثِيَّتَهُ هذه حُلَّةً ضافيَةً من حُلَلِ الحُبِّ وَالوَفَاءِ، ولكي يبرز تَمَكُّنَ هذِهِ المحبة في لُبِّهِ وَسَرَائِرِهِ استعار لهذا التَّمَكُّن الفعل (أرسى)، حتى لا يكاد ينسى ذكر صاحبته والتي عبَّر عنها بلفظة (الإلف) ليؤَكِّدَ المحبة والألفة التي كانت بينهما، واستخدم أسلوب التكرار لفعل التعجب (أكرم به)، ليدلَّ أيضَاً على تمكن الحب في قلبه حتى لكل شيء يتصل بها بما في ذلك قبرها، ولم يخفِ شجنه وحزنه ولوعة قلبه فالأبيات خيَّمَ عليها الحزن حتى صوّرَ أن أيامه عادت مُجدبةً قاحِلَة، بعد أن كانت دُنيَاهُ ناعمةً خَضراءَ مع إلفه.

وقد استطاع الحَدَّاد أن يُتقِنَ المطلع في مرثيّةٍ أُخرى يرثي بها صديقاً له يقول فيها:

"يَا صَاحِبِي إِنَّ دَمْعِيْ الْيَوْمَ يَنْهَمِلُ عَلَى الْخُدُودِ حَكَاهُ الْعَارِضُ الْهَطِلُ
وَفِي الْفُؤَادِ وَفِي الأَحْشَاءِ نَارُ أَسًى إِذَا أَلَمَّ بِها التَّذْكَارُ تَشْتَعِلُ
عَلَى الأَحِبَّةِ وَالإِخْوَانِ إِذْ رَحَلُوا إِلَى الْمَقَابِرِ وَالأَلْحَادِ وَانْتَقَلُوا

---

[١٦٧] هي مقبرة مدينة تريم التي يدفنون بها موتاهم

[١٦٨] *الديوان*، قافية السين، ص٤١٣، وقولُهُ (زنبَل) هي جزء من مقبرة بشار في مدينة تريم، وقولُهُ (الرَّمس) هو القبر إذا سُوِّيَ بالأرض، يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "رمس"، ج٦ ص١٠١

كُنَّا وَكَانُوا وَكَانَ الشّمْلُ مُجْتَمِعاً  وَالدَّارُ آهِلَةٌ وَالحَبْلُ مُتَّصِلُ"[١٦٩]

فاستدعى التشبيهات التي تصوِّر اللوعة والحزن عنده على فدمعه منهمرٌ كأنَّه المطر، والأسى كأنَّه النار التي يوقدها الحنين إلى ذكريات الشمل المجتمع بالأحباب و وصالهم وقربهم، ويستخدم الحَدَّاد تلك الألفاظ التي تدلُّ على حالة التوجع والألم على المَرثِيّ كالتَّأوُّهِ وحلول المرض وكأنَّه لم يَعُد يقوى على الثَّبات لفقدِهِ، يقول في رثاءِ صَدِيقِهِ:

"السَّيِّدُ الفَاضل ابنُ السَّادَةِ الفُضَلا  الصَّالحينَ بِهِمْ حَيُّ الهُدَى خَضِلُ
آهٍ عَلَيهِ وَآهٍ بَعدَهُ وَعَسَى  يُثَبِّتُ اللَّهُ إِنَّ السَّفْرَ مُرتَحِلُ
فَاللَّهُ يَرحَمُهُ وَاللَّهُ يُكرِمُهُ  وَيَرضَ عَنهُ وَجَنَّاتُ العُلَا نُزُلُ
وَالأَقْرَبِينَ وَأَهْلِ القُطْرِ أَجمَعِهِم  إِذْ فَقْدُ أَمثَالِهِ خَطْبٌ لَهُ زَعَلُ"[١٧٠]

فلقد أضفى الشاعر على أبياتهَ صورةً جميلةً من التشبيهات، فهذا الصديق الفاضل كانت الديار به ناعمة نَدِيَّة تروق لكل الناظرين، وكانت ثُلَّةُ الحق بهم قوية، أمَّا الآن فقد أقفرت الديار برحيله ورحيل أمثاله من الفضلاء عن هذه الدنيا.

ونلمح في رثائه سهولة الألفاظ وحسن التراكيب، ويندر استعماله للألفاظ الغريبة إلا في بعض الأحيان كما في لفظة (زَعَل)[١٧١] والتي أراد بها أنَّ موت المَرثِيّ خَطبٌ عظيمٌ ذو جَلَل.

---

[١٦٩] *الديوان*، قافية اللام، ص٥٧١

[١٧٠] *الديوان*، قافية اللام، ص٥٧٥

[١٧١] يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "زَعَل"، ج١١ ص٣٠٣

## القصائد الطِّوال

إنَّه لتجدر الإشارة –بعد أن مَرَرنا على الأغراض الشعريَّة الصُّغرى– قبل أن نعرض للأغراض الشعرية الكُبرى، إلى أنَّ الديوان قد ضمَّنه الشاعر أربعَ قصائد جمَّة الطول تجاوزت ثلاث منها مئة بيت وهي:

١ ـ القصيدة التَّائيَّة الكُبرى في مئتين واثنين وأربعين بيتاً ومطلعها:

"بعثتُ لجيرانِ العَقِيقِ تحيَّتي  وأودَعتُها ريحَ الصَّبَا حِينَ هَبَّتِ"[١٧٢]

٢ ـ القصيدة الرَّائِيَّة الكُبرَى في مئة وسبعة وثلاثين بيتاً ومطلعها:

"لَكَ الخيرُ حَدِّثني بِظَبيَةِ عَامِرٍ  وَمَا حَالُهَا مِن بَعدِنَا يَا مُسَامِرِي"[١٧٣]

٣ ـ القصيدة البائية في ثمانية وثلاثين بيتاً ومطلعها:

"وَصِيَّتِي لَكَ يَاذَا الفَضلِ وَالأَدَبِ  إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسكُنَ السَّامِي مِنَ الرُّتَبِ"[١٧٤]

٤ ـ القصيدة العَينيَّة الكُبرَى في مئة وسبعة وثلاثين بيتاً ومطلعها:

"يَا سَائلي عَن عَبرَتِي وَمدامعي  وَتَنَهُّدٍ تَرتَّجُ مِـنـهُ أَضَالِعِي"[١٧٥]

ولِكَونِ هذه القصائد أطول قصائد الديوان وانطوت فيها غالب الأغراض الشعرية، فإنّنا سنتناول كلَّ واحدةٍ من هذا القصائد الكبرى بشيءٍ من التفصيل والتحليل في الفِقرات التالية، لِنُبيّن الأغراض التي نُشِرَ طَيُّها في كل قصيدَةٍ.

---

[١٧٢] *الديوان*، قافية التاء، ص ٨٨

[١٧٣] *الديوان*، قافية الراء، ص ٣٠٢

[١٧٤] *الديوان*، قافية الباء، ص ٥٦

[١٧٥] *الديوان*، قافية العين، ص ٤٣٥

**القصيدة التَّائِيَّة الكبرى**

هذه القصيدة من قصائد الديوان ذات النَّفَس الطَّويل والتي تميزت بتعدد الأغراض على طول أبياتها فلا بِدْعَ أن يختارَ لها الحَدَّاد البحر الطويل ذو النَّفَس المتَأَنِّي.

وبداية يَتَوَقَّفُ النَّاظِر إلى المطلع الحسن والديباجة المتقنة في أيِّ قصيدةٍ، حيث إنَّ النقاد والشعراء أولوا مطالع القصائد اهتماماً بالغاً، وذلك لأنَّ الشَّاعر بها يجذب انتباه السامع ولبه واهتمامه إذا ما أَتقنَ المطلَعَ بكلماتٍ بَرَّاقَةٍ وَمَعَانٍ مُشرِقَةٍ وَالعَكسُ بِالعَكس يقول محمد سعد حسين مُتَحَدِّثَاً عَن المطلع إذا ما كان رديئاً: "فإنه يصكُّ[١٧٦] الآذان ويصرف السامعين وقد يجر إلى الحكم على شعر الشاعر بالرفض والاستهجان، ولا جدال في أن فحول الشعراء قد تنبهوا لذلك قبل النقاد، فجوَّدوا مطالعهم وتأنَّقوا فيها حتى جاءت مطالع بعضهم موحية بكل ما تَضَمَّنَتهُ القَصِيدَةُ ممَّا يريد الشاعر قوله"[١٧٧].

ولذا فلا غرو أن نجد تأنُّق الحَدَّاد في ديباجة تَائِيَّتِهِ الكُبرى، فقد أولاها أتمَّ العناية وانتقى كلماتها بِدِقَّة (العقيق، سحيراً، الصبا، نفحة عنبرية، الربوع الأنيسة) وبهذه الكلمات الهادئة واللطيفة التي يرتاح لها السامع ويَتَشَوَّقُ لما بَعدها مِن مَا سَيَأتِي من الأبيات، يقول:

"بَعَثْتُ لِجِيرَانِ العَقِيقِ تَحِيَّتِي ... وأودَعتُهَا رِيحَ الصَّبَا حِينَ هَبَّتِ
سُحَيراً وَقَدْ مَرَّتْ عَلَيَّ فَحَرَّكَت ... فُؤَادِي كَتَحْرِيكِ الغُصُونِ الرَّطِيبَةِ
وَأَهدَتْ لِرُوحِي نَفْحَةً عَنبَرِيَّةً ... مِنَ الحَيِّ فَاشتَاقَتْ لِقُرْبِ الأَحِبَّةِ
وَحَنَّت لِتَذكَارِ اللَّيَالِي الَّتِي خَلَت ... لَنَا بَينَ هَاتِيكَ الرُّبوعِ الأَنِيسَةِ
وإِخوانِ صدقٍ أوحَشَ القَلبَ بُعدُهُم ... فلِلَّهِ مَا لَاقَيتُ مِن حَرِّ فُرقَةِ"[١٧٨]

---

[١٧٦] صكَّ الشيء يصكه صكاً إذا ضربه، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "صَكك"، ج٤ ص ١٥٩٦

[١٧٧] حسين، محمد بن سعد، *محمد بن عبد الله بن بليهد وآثاره الأدبيَّة*، مطابع اليمامة، الرياض ط١، ١٩٧٩م، ج٢ ص ٧٧١

[١٧٨] *الديوان*، قافية التاء، ص٨٨

فهو يحمّل سلامه وتَحَايَاهُ نُسَيمَاتِ الصَّبَا إلى أهل وادي العقيق مستعملاً بذلك الكناية عن أهل المدينة المنورة وبما أنَّهم ألطف الناس فقد أرسل إليهم ألطف التحيات مع ألطف النسمات وهي نسمات الصبا التي استعار لها فعل الإهداء واستودعها سلامه في أشرف الأوقات وألطفها وهو وقت السحر، حيث طافت به تلك الأنسام الشذية فهاجت بها أشجانه وهَاضَت[١٧٩] معها مَوَاجِيده بل أثارت دفائن الشجو في لبه وروحه وعطَّرتها بشذا ذاك الحي الزاهر المعمور، وحدَته حنيناً لليالي الزاهرة في تلك المواطن النَّدِيَّة النَّدِّيَّة[١٨٠]، ومَن بها من إخوان النّدى والصدق، فاكتوى بنار بعدهم وفراقهم، ونلمح في هذه الديباجة الاستعارة المكنية والتشبيه والكناية لزيادة التحسين لها وتزيينها كونها مطلعاً لأكبر القصائد، والناظر لهذا المطلع يستطيع أن يستوحي ما سيدفق به الحَدَّاد من المعاني في هذه القصيدة، فباستطاعتنا القول إنَّ لفظة (جيران العقيق) تجعل السَّامع يعصم ذهنه من غيرهم وتمهّد لما سيطرقه الحَدَّاد من مديح نبوي، كما أنَّه بذكره لتحرُّك قلبه وحنين روحه لتلك المواطن هَيَّأَ الأذهان لما سيتناوله من دعوةٍ إلى الأخلاق التي تسمو بالرُّوح إلى أَوجِ حالات الصَّفاء والنَّقاء وتجعل القلب في أرقى مراقي الطَّهارة من الأدناس والرذائل وكذلك ما سيذكره من وصفه لروحه وأشواقها وحبّها لخالقها.

ولعلَّه في هذه الدِّيباجة بعد ما وصف وحشة خاطره واكتواءه بلهيب الفراق عن إخوان الصّدق والمحبّة أراد أن يتعدى كون هؤلاء الإخوان مُعَيَّنين ومحدَّدي الذوات، بل إنَّ كلَّ مَن صَدَق عليه هذا التشوق والتعلق بالعقيق وأهله وجيرانه ولم تأخذه المعالم الأخرى والمناهج المتفرقة فالحَدَّاد في شوق لهم وحنين أينما كانوا وحيث ما كانوا ولذلك تابع في الأبيات التي تلتها ذاكراً أوصافهم فهم يتحلون بوصف (الدعوة إلى الله) وأنَّهم على (نهج السبيل السوي) لا يحيدون عن الشريعة السمحة الغراء فقال:

---

[١٧٩] هَاضَ الشَّيء هَيضَاً أي كَسَرَه بعد جبر وهو أشدُّ في الوجع، يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "هيض" ج٧ ص٢٤٩

[١٨٠] النَّدِيَّة: الكريمة السخيَّة، النَّدِّيَّة: المعطَّرة الطيبة، ينظَر: مجموعة مؤلفين، *المعجم الوسيط*، مادة "نَدى"، ج٢ ص٩١٢، ومادة "النَّد" ج٢ ص٩١٠

"لَهُمْ هِمَّةٌ فِي دَعْوةِ الخَلْقِ جُمْـلَةً إِلَى الله عَنْ نُصْحٍ وَلُطْفٍ وَرَحْمَةِ
وَكُلٌّ عَلَى نَهْجِ السَّبِيلِ السَّوِيِّ لَمْ يُخَالِفَ أَمْـــراً آخِذاً بِالشَّرِيعَةِ"[١٨١]

ولذا عرّج الحَدَّاد بأبياتٍ بعدها ناصحاً فيها بترك تخبطات الآخرين وبدعهم وزيغهم، فعلى المرء أن يكون مع القرآن والسنة حيث هدى الله ومِنَح الأمن والفلاح والرضوان منه:

"وَخَلِّ مَقَالَاتِ الَّذِينَ تَخَبَّطُوا وَلَا تَكُ إِلَّا مَعْ كِتابٍ وَسُنَّةِ
فثَمَّ الهُدَى وَالنُّورُ وَالأَمنُ مِن رَدَى وَمِن فِتنَةٍ تُخشَى وَزَيغٍ وَبِدعَةِ
وَمُتَّبِعُو حُكمِ الكِتَابِ وَسُنَّةٍ هُمُ المُفلِحُونُ الفَائِزُونَ بِجَنَّةِ
عَلَيهِم مِنَ الرَّحمَنِ رِضوَانُهُ الَّذِي هُوَ النِّعمَةُ العُظمَى وأكبرُ مِنَّةِ"[١٨٢]

ثم يحذِّر من الحياد عن هذا المعين الصافي، مستعملاً أسلوباً بلاغياً أفادَ الاستهزاء والتَّهَكُّم، وهو أسلوب يكثُرُ في القرآن الكريم، إذ جاء الحَدَّاد بفعل البشرى الذي لا يأتي إلا بخَبَرٍ سَارٍّ، فإن جاء بغير ذلك كان استهزاءً وتَهَكُّمَاً، وكأنَّ القائم للمخاطَب مقامَ الخبرِ السَّار هو الخزيُ والعذابُ الأَلِيم[١٨٣]، وفي ذلك تَصوِيرٌ لشَنَاعَةِ الميل عن القرآن والسنَّة؛ وأتى بالإيجاز بالحذف (ورؤية) وقد أراد رؤيةَ الله يوم القيامة؛ يقول:

"وَمَن حَادَ عَن عِلمِ الكِتَابِ وَسُنَّةٍ فَبَشِّرهُ فِي الدُّنْيَا بِخِزْيٍ وَذِلَّةِ
وَبَشِّرهُ فِي العُقْبَى بِسُكنَى جَهَنَّمٍ وَحِرمَانِ جَنَّاتِ الخُلُودِ وَرُؤْيَةِ"[١٨٤]

وبعدها ينتقل الشاعر إلى غرضٍ آخر بأبياتٍ يصف فيها روحه معتنياً بالكلمات فاستعمل الجناس في وصفه لروحه التي (خامرها خمر الغرام) وكأنَّه لزم هذه الروح واستقر بها وجعلها مكاناً له، وجعل للغرام خمراً على سبيل الاستعارة التصريحيَّة، واستعار للحب فعل

---

[١٨١] *الديوان*، قافية التاء، ص٩٢، وحُرِّك الفاء في قوله (يخالف) ليستقيم الوزن وإلا فالقياس الجزم بلم.

[١٨٢] *الديوان*، قافية التاء، ص٩٤

[١٨٣] الأندلسي، أبو حيَّان أثير الدين محمد بن يوسف، *البحر المحيط*، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، ج٣ ص٧٧

[١٨٤] *الديوان*، قافية التاء، ص٩٤

المَمَازَجَة، وجاء بالجناس في قوله (صَبَت/للصَّبَابَة[١٨٥]، حبّ/الحبيب، خامرها/خمر) وكذلك طباق التَّضَاد(أصبحت/أمست) وقبل أن يسبق إلى الأذهان أي شيء يبادر الحَدَّاد بالاحتراز حيث وصف هذا النوع من الخمر بأنَّه ليسَ الخمر المعتاد، فهو لا يعني به (الخمور الأثيمة)، وحبه هو الحبُّ الإلهيّ السَّامي العلوي الخالد، وليس الحبّ الدَّنِي الدُّنيَوي الفَاني، حبُّه حبٌّ لا يصرفه إلا إلى الإله الواحد الأحد وجنانه ونعيمه التي وعد بها المؤمنين؛ فيقول:

"وَلِلَّهِ رُوحٌ خَالَطَ الحُبُّ كلَّهَا وَمَازَجَهَا حَتَّى صَبَتْ لِلصَّبَابَةِ
وّخَامَرَهَا خَمرُ الغَرَامِ فَأصْبَحَتْ وَأَمسَتْ عَلَى حُبِّ الحَبِيبِ مُقِيمَةِ
يَظُنُّ بِهَا مَن لَيسَ يَدرِي بِشَأنَهَا بِأَنَّ بِهَا سُكرَ الخُمُورِ الأَثِيمَةِ"[١٨٦]

وقلَّما نجد أحداً من الشعراء الذين أَغرَقُوا في الحديث عن هذا النوع من الحب الإلهي إلا وقد صحب أشعارَهُم شيءٌ من الغموض والإغراب سواءٌ الرموزُ و المعاني؛ والتي تخفى إلَّا على قائل ذاك الشعر على الرغم من عذوبته ونغمته الموسيقية الجذَّابة وابنُ الفَارِضِ (ت٦٣٢هـ) وَ تَائِيَّتُهُ الكُبرى[١٨٧] يمكن أن تكون شاهداً على ذلك؛ فما كان من الحَدَّاد إلَّا أن كَبَحَ جمَاحَ الخيال من أن يسرح في ميادين التشبيه والتجسيم، ودعا إلى التوحيد الصافي من مناهله العذبة غير الكَدِرَة فقال:

"وَكَم مِن قَرِيبٍ بَعَّدَتهُ عِبَارَةٌ عَنِ الفَهْمِ فَاسْتَمْسِكْ بِحَبلِ الشَّرِيعةِ
فَنَزِّهْ إِلَهَ العَالَمِينَ وَقَدِّسَنْ عَن الصُّورَةِ الحِسِّيَّةِ البَشَرِيَّةِ
وَكُنْ فِي أَحَادِيثِ الصِّفاتِ وَ آيِهَا عَلَى مَذهَبِ الأَسلافِ حيثُ السَّلامةِ"[١٨٨]

---

[١٨٥] الصَّبَابَةُ: رِقَّةُ الشَّوق وحرارته، الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "صَبَبَ"، ج١ ص١٦١

[١٨٦] *الديوان*، قافية التاء، ص٩٥

[١٨٧] القصيدة المشهورة في ديوان الشاعر عمر بن الفارض في سبعمئة بيت ومطلعها:
سَقَتني حُمَيَّا الحُبَّ راحَةَ مُقلَتي وَكَأسي مُحَيَّا مَن عَنِ الحُسنِ جَلَّتِ
ابن الفارض، عمر، *ديوان ابن الفارض*، دار صادر، بيروت، قافية التاء، ص٤٦

[١٨٨] *الديوان*، قافية التاء، ص٩٨ و١٠١

ثم تلا أبياته هذه بقصة الخلق بدءاً بآدم أبي البشر وزوجه حواء وإغواء الشيطان لهما، ونزولهما إلى الأرض وتوبة الله عليه واجتباءه بالخلافة في الأرض، وتتالي الأنبياء من بعده فخص الحَدَّاد بالذكر (الخليل ابراهيم) ومعاناته في الدعوة إلى الحق مع أبيه ومن ثم النمرود، وتابع بذكر النبي موسى وعيسى ومعجزاتهما، إلى أن وصل إلى ذكر النبي محمد فمدحه بفصل آخر يندرج ضمن غرض المديح النبوي ثم عرَّج على ذكر آله وأصحابه وتابعيهم فمن ما قاله في مدحهم وذكر أوصافهم:

"وَأَصحَابُهُ الغُرُّ الكِرَامُ أَئِمَّةٌ مُهَاجِرُهُمْ وَالقَائِمُونَ بِنُصْرَةِ
نُجُومُ الهُدَى أَهْلُ الفَضَائِلِ وَالنَّدَى لقد أحسنوا في حملِ كلِّ أمانةِ
وَمُتَّبِعُوهُمْ فِي سُلُوكِ سَبِيلِهِمْ إِلَى اللَّهِ عَن حُسنِ اقتِفَاءٍ وَأُسْوَةِ
أُولَئِكَ قَوْمٌ قَدْ هَدَى اللَّهُ فَاقْتَدِهْ بِهِم وَاستَقِمْ وَالْزَمْ وَلَا تَتَلَفَّتِ
وَلَا تَعْدُ عَنهُمْ إِنَّهُم مَطْلَعُ الهُدَى وَهُمْ بَلَّغُوا عِلْمَ الكِتَابِ وَسُنَّةِ
فَمَا بَعْدَ هَدْيِ المُصْطَفَى وَصِحَابِهِ هُدَىً، لَيسَ بَعْدَ الحَقِّ إِلَّا الضَّلَالَةِ"[١٨٩]

والملاحظ في هذه المقطوعة تأثر الحَدَّاد بالسياق القرآني، وجلبه للمحسنات البديعية المعنوية، والإطناب بالتذييل والإيجاز بالحذف.

فقوله: (أولئك قوم قد هدى الله فاقتده بهم) ما هو إلَّا اقتباس لمعنى الآية القرآنية **(أولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ)** الأنعام: ٩٠، وأتى بأسلوب الإيجاز بالحذف، عندما ذكر الفعل (استقِم/الزم/لا تَتَفَلَّت) والتقدير استقِم على ذلك والزم هذا المنهج ولا تَتَفَلَّت منه إلى غيره من المناهج.

وكذلك قوله: (ليس بعد الحق إلا الضلالة) اقتباسٌ من قوله تعالى: **(فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ)** يونس: ٣٢، وفيه أيضاً مُحَسِّنٌ معنويٌّ إذ أكَّد بهذا

[١٨٩] *الديوان*، قافية التاء، ص١١٠

الإقتباس الجملةَ التي قبله (فما بعد هدي المصطفى وصِحابه هدى) لأنَّه اشتمل على معناها ليؤَكِّدَ المفهوم في ذهن السامع، فيمَا يُسمَّى بالتَّذييل[١٩٠].

وكذلك قوله: (فلا تعدُ عنهم إنهم مطلع الهدى) اقتباس من قوله تعالى: (**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ**) الكهف: ٢٨، وبعد هذا الإقتباس قام الحَدَّاد بجلب محسِّنٍ معنويٍّ آخَر وهو ما يُعرَف بالتَّفريع[١٩١]، حيثُ أثبَتَ حُكماً آخرَ للممدوح على وجهٍ يُشعِرُ بالتعقيب فقال: (وهم قد بلَّغوا علمَ الكتاب وسنةِ).

ثم شرع من جديد بعد كل هذا بالنصح مرة أخرى، ولا بدع فهو يؤكد أن النصح (دأبه) و(مذهبه)، ويطالب السامع بأن يلقي بالاً لنصحه فيقول:

"أَلَا فَالقِ سَمْعَاً وَاعِيَاً لِقَبُولِ مَا  أُشِيرُ بِهِ تَحمَدْ أُخَيَّ مَشُورَتِي"[١٩٢]

فكانت أبياته بعد هذا تدور حول محاور (الصبر. اليقين ـ الشكر ـ الخوف ـ الرجاء ـ الإنابة ـ التقوى ـ الحث على العناية بالقرآن) وكلّ ما يُهَذِّب النَّفس ويَسمُو بالروح من الأخلاق التي دعا إليها الإسلام.

وعندما انتهى من هذا النصح أراد أن يحسن التَّذييل لقصيدته فختمها بالابتهال والدُّعاء والتَّضرع إلى الله في عشرين بيتاً كانت خاتمة متناسقة مع ما ناقشه من أغراض ونصائح، إذ كان من الحسن أن يختم كلامه عنها بلجوء إلى الله بأن يكرمه بالتَّخَلُّقِ والعَمَلِ بما يقول ويدعو إليه من أخلاق، فأحسن البدْءَ ببراعة استهلال، وانتهى ببراعة المقطَع.

---

[١٩٠] التَّفتزاني، سعد مسعود بن عمر، *مختصر المعاني*، مطبوعات صالح بيليجي، استانبول، ص٤١٢

[١٩١] *المصدر السابق*، ص٢٦٧

[١٩٢] *الديوان*، قافية التاء، ص١١٨

وهكذا يُرى تنقل الحَدَّاد في تائيّته الكبرى بين أغراض متعددة فمن وصف للمشاعر المختلجة إلى وصف للأشخاص إلى النصح والوعظ إلى المدح إلى المديح النبوي وصولاً إلى ختامها بالتضرع والدعاء.

**القصيدة الرَّائِيَّة الكبرى**

هي القصيدة التي تأتي في المرتبة الثانية بعد التائية الكبرى وقد نظمها على نفس البحر الطويل المتَأَنِّي وَابتَدَأَهَا بمقدمة غزلية.

يستهل مطلعها بمخاطبة نديمه المسامر في جنح الظلام طالباً منه خبراً عن (ظبية عامر) وأحوالها فإنَّ مُهجَتَه كادت تذوب شوقاً إليها على رغم تباعد ديارها عن مربعه، فها هو إذا ما رنَّ خبرها في مسامعه كان (المرهم) لأدواء قلبه المكلوم، كيف لا وحب (الأحبة) خيَّم في ربوع قلبه واستولى على ذرَّات روحه وجسده أجمع، فهاتِ يا نديم اذكر خبرهم إذا ما فاتني نعيم قربهم وجنة وصالهم، فإنني في شغل شاغل عن الناس كلهم لما أكابده من لظى هذا الحب والوَلَه والغَرَام والدَّنَف؛ يقول:

"لَكَ الخَيرُ حَدِّثنِي بِظَبيَةِ عَامِرِ وَمَا حَالُهَا مِن بَعدِنا يَا مُسَامِرِي
وَرَوِّحْ فُؤَادَاً ذَابَ مِنْ حَرِّ بُعدِهَا بِتَذكَارِها إِنْ كُنْتَ يَومَاً مُذَاكِرِي
فَإِنَّ أَحَادِيثَ الأَحِبَّةِ مَرْهَمٌ لِقَلْبِي مِنَ الدَّاءِ العُضَالِ المُخَامِرِ
هَوَى حَلَّ فِي قَلْبِي وَ أَوْطَنَ مُهْجَتِي وَخَالَطَ أَجْزَائِي وَ سَارَ بِسَائِرِي
إِذَا فَاتَنِي قُرْبُ الأَحِبَّةِ واللِّقَا فَفِي ذِكرِهِمْ أُنْسٌ لِوَحْشَةِ خَاطِرِي"[١٩٣]

[١٩٣] *الديوان*، قافية الراء، ص٣٠٢

ويَتَّضح من خِلال هذه الديباجة استدعائهُ للجناس الناقص (تذكار/ تَذكُّر، سارَ/ سائر) واستعماله للتشبيه البليغ فوصَفَ أحاديثَ أحبابه بالمرهَم الشافي من كلِّ داءٍ مُزمِن، ونَكَّرَهُ لِيَدُلَّ على عِظَمِه ومكانته، واستعار للقلب فعل الذَّوَبَان على سبيل الإستعارة المكنيَّة.

والّذي يبدو لي أنَّ هذه الرَّائيَّة قد قام الحَدَّاد بنظمها بعد عودته من بلاد الحرمين وتأديته لنسك الحَج وزيارته المدينةَ المنَوَّرةَ، ويَدلُّ على هذا؛ أنَّه فورَ الانتهاء من هذا المطلَع شَرعَ في غرض الغزل العُذريّ ولكنه غزَلٌ من نوعٍ آخَر إذ إنَّه لم يَكُن بالمرأة وإنَّما بالكعبَة المشرَّفة التي هَامَ بها وشُغِفَ بِحُبِّها، فصار دائِمَ الحنين إلى تلك الليالي التي قضاها في ربوعها مُستَأنِساً بالجلوس في ساحتها، مُحاطاً بِتلك المشاعر المقدَّسَة، تَتَنَعَّمُ روحُه بِلَذَّةِ المناجاة والقُرُب منها؛ ويصوِّر كل هذا بأعذب الكلمات فيقول:

"رَعَى اللهُ مَنْ هَامَ الفُؤَادُ بِحُبِّهَا  بَدِيعَةَ حُسْنٍ مُخْجِلٍ لِلزّوَاهِرِ"[١٩٤]

ويتابِعُ قائِلاً:

"شَهِدتُ مَعَانِي حُسنِهَا وَجَمَالِهَا  بِرُوحِي وَقَلبِي تحتَ جُنْحِ الدَّيَاجِرِ[١٩٦]
وَسَامَرْتُهَا[١٩٥] فِي خَلْوةٍ أُنسِيَّةٍ  بِأَلْطَفِ أَسْمَارٍ وَخَيْرِ مُسَامِرِ"[١٩٧]

فهو يَصِفُ مناجاته للكعبة المشَرَّفة والدعاء عندَها، ويأتي بالكناية (ألطف أسمار) ليكنّي بذلك عن القرآن الكريم، ويستعير لها فعل المسامَرة على سبيل الاستعارة المكنية، وكأنّه يتحدَّث معها حديثَ المحبِّ مع حبيبِه وسَمَرِه معه في جنحِ الليل عند خُلوّ الرقيب والعاذِل، وكَأنَّه في روضَةٍ

---

[١٩٤] *الديوان*، قافية الراء، ص٣٠٤

[١٩٥] السمر: هو الحديث في الليل، الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حمَّاد، *تاج اللغة وصحاح العربية*، ج٢ ص٦٨٨، مادة سمر

[١٩٦] ليلة ديجور: أي مظلمة، يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "دَجَرَ" ج٤ ص٢٧٨، وُرْقُ: واحده ورقاء وهي الحمامة التي يميل بياضها إلى سواد.

[١٩٧] *الديوان*، قافية الراء، ص٣٠٥

من رياض الجِنان يتَنَعَّمُ بكُلِّيَّته به جسماً وروحاً، ولم يُهمِل المحَسِّنات البديعيَّة كالجِناس الناقص(سَامَر/أسمار/مُسَامِر).

ولم يتوَقَّف الحَدَّاد عند الكعبة فحسب، بل انتقل من غرض الغزل بها إلى وصف المشاعر المقَدَّسة التي يتنسَّك عندها المسلمون في حَجِّهم، وصوَّر بِدِقَّة شعورَهُ تجاه كلِّ مَنسَك، فعند (الملتَزَم) قبولَ دُعاء الدَّاعي، وإذا ما تذكَّرَ (الحِجر) تنهمرُ دموعُه لأنَّ ديارَهُ نأت عنهُ ويستعير لها الفيضان على سبيل الاستعارة المكنيَّة؛ فيقول:

"وَمُلْتَزَمٍ نُجْحُ الَمطَالِبِ عِنْدَهُ وَحِجْرٍ لِبُعْدِي عَنْهُ فَاضَتْ مَحَاجِرِي"[١٩٨]

ولم يَقتَصِر الحَدَّاد في الأبيات التي تَلَت هذا البيت على المشاعر المُقَدَّسة (حِجر إسماعيل وزمزم والحجر الأسود والصَّفَا والمروة) فَحَسب؛ وإنَّما توسَّع في ذلك فَمَضَى يتَرَنَّم بشِعاب مكة ووديانها (وادي خليل الله، شِعب أَجيَاد وجَبَل أبي قُبَيس وشِعب عَامِر)، إذ يقول:

"بِأَجْيَادِهَا جَادَتْ سَحَائِبُ رَحْمَةٍ عَلَى كُلِّ ذِي قَلْبٍ مُنِيبٍ وَحَاضِرِ
وَتُقْتَبَس الأَنْوَارُ مِنْ بِي قُبَيْسِهَا وَهَا هُوَ يَرْعَاهَا بِقَلْبٍ وَنَاظِرِ"[١٩٩]

ويصوِّر حالة الوقوف على جبل عرفات ويتوسع في تصويره ليعبر عن حال الوفد القادم على ربه ومَن فيه وما به من خيرات ونفحات ونوافج[٢٠٠] قبول؛ وفي تنكيرِه للكلمات (نظرة/عواطف/نفحة)، وخروجه بالاستفهام (كم) عن مقتضاه الحقيقي؛ مَلحَظٌ يُبيّن فيه عِظَم هذه النَّظرات الإلهيَّة تفخيماً لها وتعظيماً، حيث يقول:

"وَلِلَّهِ كَمْ مِن نَظْرَةٍ كَمْ عَوَاطِفٍ وَكَمْ نَفْحَةٍ لِلإِلَهِ غَوامِرِ"[٢٠١]

---

[١٩٨] *الديوان*، قافية الراء، ص٣٠٧

[١٩٩] *الديوان*، قافية الراء، ص٣٠٨

[٢٠٠] تُسَمَّى السحابة كثيرة المطر بالنَّافجة، ونوافج المسك معرَّبة، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "نَفَجَ"، ج١ ص٣٤٥

[٢٠١] *الديوان*، قافية الراء، ص٣١٠

ويختم هذا الفصل من القصيدة بِتمنِّي العَودَة إلى مكة مرَّات وكرَّات في قادِم أيَّامِهِ، واصِفاً لها بأنّها مصدر المفاخِر، مُحَلِّيَاً مدحَها بالجِناس؛ قائِلاً:

"وَ يَا مَكَّةُ الغَرَّاءُ يَا بَهجةَ الدُّنَا وَيَا مَفخَراً مُستَوعِباً للمَفَاخِرِ
عَسَى عَودَةٌ للمُستَهَامِ وَرَجْعَةٌ إِلَيكِ لِتَقبِيلِ الثَّرَى وَالمآثِرِ"[٢٠٢]

وبعد كلامه عن البلد الحرام ومشاعره يعرّج على وصف رحلته منه إلى المدينة المنورة في فصلٍ جديد ضمَّنه أدَّق ما خالج روحه و وَرَد على مهجته من مشاعر الحب والشوق والذوق الذي أحسَّ به حينما دخل المدينة المنورة فجراً إلى المسجد النبوي و(حجرة الهادي البشير)، ليشرع في فصل آخر يندرج في روائع غرض المديح النبوي تجاوز فيها عشرين بيتاً حشد فيها المحسنات البديعية كالجناس (محمد، المحمود، أحمد، حمد) والطباق (الأرض/ السما، اليسر/ المعاسِر) ومنها قوله:

"مُحَمَّدٌ المحمُودُ فِي الأَرضِ وَالسَّمَا بِأَوصَافِ حَمْدٍ طَيِّبٍ مُتَكَاثِرِ
وَأَحْمَدُهُمْ لِلَّهِ فِي كُلِّ مَوطِنٍ وَأَشْكَرُهُمْ فِي يُسْرِهِ وَالمَعَاسِرِ"[٢٠٣]

وبما أنه التفت بعد وصف المشاعر التي زارها في الحج إلى التغنِّي بمكةَ وشِعَابِها وجبالها ووديانها، كان لا بدَّ له من أن يلتفت بعد فصل المديح النبوي إلى (طيبة) وجبالها ومآثرها فتَرَنَّم أيضاً بمآثِرِها (وادي النقا وسلع ورامة ومسجد قباء وجبل أحد) ثم ختم الفصل هذا بالدعاء للحرمين وسائرَ بلاد المسلمين فقال:

---

[٢٠٢] *الديوان*، قافية الراء، ص٣١٢

[٢٠٣] *الديوان*، قافية الراء، ص٣١٧

"وَلِلْحَرَمَيْنِ الأَكْرَمَيْنِ سُؤَالُنَا مِنَ اللهِ أَمْنَاً شَامِلاً لِلْمَظَاهِرِ
وَفِي سَائِرِ الأَقطَارِ مِن أَهْلِ دِينِنَا فَذَلِكَ فَضْلٌ مِن كَرِيمٍ وَقادِرِ
إِلَهٍ رَحِيمٍ مُحْسِنٍ مُتَفَضِّلٍ عَلَى كُلِّ بَرٍّ فِي الوُجُودِ وَفَاجِرِ
لَهُ الحَمْدُ لَا نُحصِي ثَنَاهُ وَشُكرَهُ عَلَى نِعَمٍ لَم يُحصِهَا حَصْرُ حَاصِرِ"[٢٠٤]

ونلاحظ في البيت الأخير حسن التَّخلُّص؛ حيث انتقل الحَدَّاد بعد هذا كله إلى الحمد والثناء على الله في أبيات وصل فيها إلى خمسة عشر بيتاً، تلاها بذكر عقيدته في التوحيد والتنزيه للبارئ وختمها بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

**القصيدة البائِيَّة**

هذه القصيدة تُسَمَّى أيضاً (الوصية) أو (الوصية الحَدَّاديَّة)، والغرض الرَّئيسُ منها هو الوعظ، والنّصح وتعليم الأخلاق، نظمها على وزن البحر البسيط وتقع في تسعة وأربعين بيتاً.

تضمَّنت الوصية بالتَّقوى ووجوب العناية بالأخلاق الاجتماعيَّة كالصِّدق وبرِّ الوالدين وحسن الجوار وحسن معاملة الآخرين والتَّحلِّي بالإنصاف، ودعا فيها إلى نبذ الأخلاق الذميمة من حسد وغش وعجب وكبر، كما حذَّرَ من مصاحبة الأشرار والحمقى وأخيراً بعد هذا كله (مخالفة الصبر) في الثبات على هذه الأخلاق واستدعى لتشبيه نتيجة المواظبة عليه وملازمته التشبيه المجمَل حيثُ شبَّههُ بالضَّرَب وهو العسل الأبيض أجود أنواعه، فقال:

"وَخَالِفِ الصَّبرَ واعلَم أنَّ أوَّلَهُ مُرٌّ، وآخِرَهُ كالشَّهْدِ والضَّرَبِ
يَا ربِّ إِنَّكَ مَقْصُودِي وَمُعْتَمَدِي وَمُرْتَجَايَ لِدُنْيَايَ وَمُنقَلَبِي"[٢٠٥]

[٢٠٤] *الديوان*، قافية الراء، ص٣٢٦

[٢٠٥] *الديوان*، قافية الباء، ص٦١

وبعد أن استخدم الحَدَّاد براعةَ المقطع، حيثُ خَتَمَ كل ما دعا إليه في نظمه للوصية بدعوات في ستة أبيات يلجأ فيها إلى الخالق في العفو والصفح عنه، ويُلاحَظ من خلالها تناسق خاتمة القصيدة مع ما تضمنته من نصائح ووصايا يطلب من الله أن يحققه بكل ما دعا إليه خلال كلامه فربط نهاية الكلام بأوله.

وقد لاقت هذه القصيدة عناية من المؤدِّبِين إذ تمَّ شرحها شرحاً مبسَّطاً مرَّتين في كتاب "علاج الأمراض الرديَّة"[٢٠٦] وكتاب "الموارد الروية الهنية"[٢٠٧] وقد حرص الكتابان على إيضاح الأخلاق التي دعا إليها والتي حذَّر منها وتعريفها تعريفاً دقيقاً، وَأُهمِل فيهما الجانب الأدبي في القصيدة.

## القصيدة العَينِيَّة الكُبرى

تُعَدُّ هذه القصيدة من قصائدِه الطِوال، حيث جاوزت مئةَ بيتٍ، نظمها على وزن البحر الخفيف، واستَهلَّ مطلعها بنداءِ السائل الذي يسأله عن حاله، فصوَّر عُمق مُكابَدَةِ الحزن الذي يعتلج في صدره، والأسى الذي يعتَصِرُ قلبَه، ففاضَت مَدامِعُ عينيه لما به من غربَةٍ وحسرَةٍ وشوقٍ إلى المعالي، وَ وَلَعِهِ بأهلها؛ يقول:

"يَا سَائِلِي عَنْ عَبْرَتِي وَمَدَامِعِي ... وَتَنَهُّدٍ تَرْتَجُّ مِنهُ أَضَالُعِي

وَتَأَسُّفٍ وتَلَهُّفٍ[٢٠٨] وَتَشَوُّفٍ[٢٠٩] وَتَعَرُّفٍ وَتَطَوُّفٍ بِمَرَابِعِ

وَتَجَنُّبٍ وَتَغَرُّبٍ وَتَطَلُّبٍ وَتَلَوُّعٍ[٢١٠] وَتَولُّعٍ[٢١١] بِمَطَامِعِ

---

[٢٠٦] السَّقَّاف، علوي بن أحمد، *علاج الأمراض الردية*، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٤٠م

[٢٠٧] الحبشي، أحمد بن زين، *الموارد الرَّوِيَّة الهنيَّة*، دار الحاوي، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م

[٢٠٨] التَّلهف واللَّهَف: التحسُّر والحزن على الشيء، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "لَهَفَ"، ج٤ ص١٤٢٨

[٢٠٩] تشوفت إلى الشيء أي تطلعت، يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "شوف"، ج٩ ص١٨٥

[٢١٠] التاعَ الفؤاد: احترق من الشوق، يُنظَر: *المصدر السابق*، مادة "لوع"، ج٨ ص٣٢٨

[٢١١] الولوع: المراد به هنا شِدَّة الحب، يُنظَر: *المصدر السابق*، مادة "ولع"، ج٨ ص٤١٠

يَكْفَيكَ مَسْأَلَتِي شُهُودُكَ مَا تَرىَ  مِنْ شَاهِدِي فِي وَحدَتِي وَمَجَامِعِي"[٢١٢]

لقد حاول الحَدَّاد بريشة الكلمات أن يرسمَ بِدقَّة ويصوِّر حالته النفسية الداخليَّة التي يعيشُها ويَمُرُّ بها، مستَعيناً بألوان البديع من سجعٍ مُطرَّفٍ وجناسٍ ناقص (مدامعي/أضالعي، تَلَوُّع/ تولُّع، تأَسُّف/ تَلَهُّف/ تَشَوُّف) وهو بذلك يتفنَّن بالألفاظ؛ على الرغم من أنَّه لم يكن يقصد بهذا التفنُّن المغايرة في المعاني، وجعل تنهُدّه[٢١٣] شديداً حتى إنَّ الصدر ليرتَجُّ منه كنايَةً عن شِدَّته، ثم انثَنى مخاطِباً سائلَهُ أنَّ رؤيتَك لي ولحالتي هذه تكفيك للإجابة عن سؤالِك إن كُنتَ ذَا حِجَا.

وبعد هذه الدِّيباجة يشرع الحَدَّاد بِبَثِّ شكواه في نسيبٍ على طريقة الشُّعراء العُذريّين، فقد علا نشيجه وصارت آهاته تتوالى على أحبابه الّذيَن فَرَّقَهُم الزمان، فطَفِق يُكَنِّي عنهم بالظِّبَاء والآرام ورياضها التي ترتع فيها؛ يقول:

"آهٍ عَلَى تِلْكَ الخِيَامِ وَمَا حَوَت  مِنْ كُلِّ غَانٍ[٢١٥] بِالجَمَالِ المُبْدَعِ
آهٍ عَلَى تِلكَ الرِّيَاضِ وَكُلِّ مَا  فِيهَا مِنَ الغِيدِ[٢١٦] الحِسَانِ الرُّتَّعِ
آهٍ عَلَى غِزْلَانِ حَاجِرَ وَالنَّقَا  وَظِبَاءِ وَادِي المُنْحَنَى وَالأَجْرَعِ
آهٍ عَلَى آرَامِ[٢١٤] رَامَةَ تَرتَعِي  بِسُفُوحِهَا وحِمَائِهَا المتَمَنّعِ"[٢١٧]

فيلاحظ من خلال هذه العَيّنة من الأبيات ازدحام الرموز الغزلية في هذه القصيدة، وتضمينها أسماء معالم الحجاز مثل (حاجر، رامة، وادي النقا) فقد جرى على هذا النمط في

---

[٢١٢] *الديوان*، قافية العين، ص٤٣٥

[٢١٣] التَّنَهُّد: شِدَّةُ التنفس والزفرات، يُنظَر: العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين، *شرح ديوان المتنبي*، تح: مصطفى السقا، دار المعرفة، بيروت، ج١ ص٣٢٨

[٢١٤] جمع ريم وهو الظبي الأبيض خالص البياض، يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "ريم"، ج١٢ ص٢٦٠

[٢١٥] الغانية: من استغنت بحسنها وجمالها عن الحلي، يُنظَر: *المصدر السابق*، مادة "غنا"، ج١٥ ص١٣٨

[٢١٦] جمع غادة وهي الفتاة الناعمة اللينة، يُنظَر: *المصدر السابق*، مادة "غَرَدَ"، ج٣ ص٣٢٨

[٢١٧] *الديوان*، قافية العين، ص٤٣٧

عشرين بيتاً لينتقل بعدها إلى التصريح بذكر أحبابه المشتاق إليهم فيكوِّن بذلك فصلاً ثانيَاً عدَّ فيه أحبابه الذين شتَّتهم الدهر، ليتحوَّل بعده إلى فصلٍ أخير كان قصده منه نصح إخوانه من طلبة العلم أنهاه بالدعاء والحمد والثناء على الله تعالى كعادته في غالب شعره كما سيظهر لنا في المباحث القادمة، وبذلك يكون قد طوى في القصيدة ثلاثة أغراض هي الغزل والوعظ والدعاء.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ القصيدة قد قام بشرحها أحمد بن زين الحبشي تلميذ النَّاظِم، في كتابٍ سمَّاه "شرح العينيَّة"[٢١٨] وحاول فيه فكّ بعض الرموز الغزلية التي رمَى إليها الحَدَّاد.

[٢١٨] طُبِعَ بمطبعة دار العلوم الإسلامية، سنغافورة.

# الفصل الثَّاني: الأغراض الشِّعريَّة الكُبرى

بعدَ رؤيَة الأغراض الصُّغرى عندَ الحدَّاد والَّتي أَقَلَّ منها في ديوانه –غرضا الدعاء والرِّثاء– وبعدَ رؤيَة أغراضِه في قصائِدِه الطِّوال، فإنَّه لَيُمكِن استقراء الأغراض الكُبرَى الَّتي أكثرَ منها وهي أغراض (الوعظ، المديح النَّبوي، الغزل)، وسيتناول هذا الفصل كُلَّ غَرَضٍ على حِدة، ويأتي على أهَمِّ الأشكال والمحاور الَّتي جاءَ بها كلُّ غرض، ويشيرُ إلى ما أثرى بعضَ الأغراض، وكيف كانت تراكيبها وألفاظها.

## غرض الوعظ

الوعظُ **لُغةً**: "النُّصحُ والتَّذكيرُ بالعواقب"[٢١٩]، وقال ابن سِيدَه (ت٤٥٨هـ): " الوَعْظ والعِظَة والمَوْعِظَة: تذكِرَتك الإنسان بِمَا يُليّن قلبه من ثَوَاب وعقاب، وَعَظْته وَعْظاً فاتَّعَظ"[٢٢٠]، وجاءَ في أمثال العرب "لا تَعِظِينِي وَتَعَظْعَظِي"[٢٢١] أي لا توصيني وأوصي نفسكِ، وقد وَرَدَت لفظَةُ الوعظِ إحدى عشرةَ مرَّة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى: **(فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ)** البقرة: ٢٧٥؛ وقد استُدِلَّ بهذه الآية أنَّ الموعظة تأتي بمعنى الوعظ فكأنَّه قال: فمن جاءه وعظٌ من ربه[٢٢٢]، ولذلك لم تأتِ في الآية علامة تأنيث.

وأمَّا **اصطلاحاً**: فَيُقصَدُ به نصح الناس والدعوة إلى إصلاحهم وتهذيب أخلاقهم وفق ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية، والدعوة إلى الخضوع لأوامر الله سبحانه وتعالى ونواهيه

---

[٢١٩] الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "وعظ"، ج٣ ص١١٨١

[٢٢٠] ابن سيدَه، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المخصَّص، تح: خليل إبراهيم جفَّال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٤ ص٦٣

[٢٢١] الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد، *مجمع الأمثال*. تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٩٩٦م، ج٢ ص ٢١٣

[٢٢٢] يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "وَعَظَ"، ج٧ ص ٤٦٦

قولاً وفعلاً، وقد أشار الشريف الجرجاني(ت٨١٦هـ) إلى أنَّه "التذكير بالخير في ما يرِقُّ له القَلب"[٢٢٣].

وغرض الوعظ لم يزل شائعاً في الأدب نثراً وشعراً منذ عصر بني أمية، وكان له فرسانه من أمثال الحسن البصري(ت١١٠هـ) وسفيان الثوري(ت١٦١هـ)، وامتدَّ حضوره إلى العصر العباسي خاصةً بعد انتشار المجون واللهو والحياة المترفة، فقد أدى هذا إلى ظهور غرض الوعظ مرتبطاً بفن آخر هو الزهد والدعوة إلى التزهيد في الدنيا ومتاعها الفاني ونعيمها الزائل والاشتغال بالتنسك والعبادة والاقتصار على ذلك فقط.

وإذا نظرنا إلى حياة الحَدَّاد وسيرته في الإصلاح الاجتماعي ودعوته المستمرة حتى في أولاده في الإصلاح بين القبائل، وكيف كان يرسل الرسائل إلى الحُكَّام، ويسير في خدمة مجتمعه بمنهجه القائم على الدعوة والنصح، فيمكننا القول إنَّ غرض الوعظ كان ألصق الأغراض الشعرية بديوان الحَدَّاد، لارتباطه الوثيق بالميدان والواقع الذي عاش فيه الحَدَّاد، ويتفرع منه النصائح الدينية والدعوة إلى الأخلاق والاتِّصاف بِكَرائِم السجايا والشمائل، وبالمقابل الدعوة إلى طرح الأخلاق والصفات السيئة التي استشرت في المجتمع الإسلامي آنذاك.

ويتخذ الوعظ عند الحَدَّاد شكلين أساسيين:

**الشَّكل الأوَّل:** نُتَفٌ[٢٢٤] متفرقة في ثنايا الديوان منها هذه النّتفة الَّتي كانت تحذر من الغفلة عن ذكر الإله وقد نظم كامل معناها مقتبساً من الآية القرآنية: **(وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ)** الزخرف: ٣٦؛ يقول:

---

[٢٢٣] الجرجاني، الشريف علي بن محمد، *التعريفات*، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م، ص ٢٥٣

[٢٢٤] واحده نُتْفَة وهي البيتان من الشعر أو الثلاثة، يُنظَر: الرافعي، مصطفى صادق، *تاريخ آداب العرب*، ج٣ ص ٢٩

"لَا تَعْشُ عَن ذِكرِ الإِلَهِ فَإِنَّهُ  مَن يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الإِلَهِ يُهِينُهُ
وَيُقَيِّضُ المَذكُورُ جَلَّ جَلَالُهُ  لِلغَافِلِ الشَّيطَانَ فَهْوَ قَرِينُهُ"[٢٢٥]

**الشكل الثَّاني:** مقطوعات[٢٢٦] وقصائد مختلفة الطول، تارةً استقلت الواحدة منها بغرض الوعظ، وتارةً أخرى اندمجت المقطوعة منها ضمن أغراض قصيدة طويلة ذات مقاصد متعددة (كما في القصيدتين التائية والرائية الكبرى)، وبعض القصائد لم تتجاوز عشرين بيتاً (قافية الراء)، وبعضها تجاوز طولها ثلاثين بيتاً (قافية الدال).

وفي كلا الشكلين تناول الحَدَّاد المحاور الثلاثة الآتية:

١) التحذير من هوى النفس وأمراضها التي استَشرَت في المجتمع الإسلامي منذ أزمانٍ بعيدة إلى ذلك الحين الذي عاشه الحَدَّاد.

٢) التزهيد في الدنيا من جانب، والترغيب بالدار الآخرة من جانب آخر.

٣) النصائح الدينية والترغيب بالمنهاج السماوي الإلهي والأخلاق الإسلامية التي ينبغي على المسلم التحلي بها.

ويلاحظ في قصائد الحَدَّاد الوعظية التنويع في المطالع وأشكال المقدمات واختلافه من قصيدةٍ إلى أخرى، فنراه يبتدأ بعضها بالمقدمات التقليدية المعروفة في النظام البنائي للقصيدة، كالغزل مثلاً فقد بدأ به إحداها فقال:

"غَزَالَ الحِمَى قَلْبِي بِحُبِّكِ قَد مُلِيْ  فَصُدِّي حَمَاكِ اللَّهُ إِنْ شِئْتِ أَوْ صِلِي
وَلَا تَحْسَبِي أَنِّي سَلَوْتُكِ[٢٢٧]لَا وَلَا  وَلَكِنَّنِي أَرْضَى بِحُكْمِكِ فَاعْدِلِي"[٢٢٨]

---

[٢٢٥] *الديوان*، قافية الهاء، ص٦٩٥

[٢٢٦] المقطوعة والقِطعة هي الأبيات من سبعة أو عشرة فما دون، يُنظَر: الرافعي، مصطفى صادق، *تاريخ آداب العرب*، ج٣ ص ٢٩

[٢٢٧] سَلَا الشَّيءَ يَسْلُوهُ سُلْوَانَاً إذا نسيهُ، يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "سَلَا"، ج١٤ ص٣٩٤

[٢٢٨] *الديوان*، قافية اللَّام، ص٥٣٤

فقد جاء الحدَّاد بمقدِّمَةٍ غزلية الألفاظ والتراكيب والمعاني، فالمحبوب مُكنًّى عنهُ بالغزال والمُحِبُّ مُرتَمٍ في شِبَاكِ مَحَبَّتِه لا يسلو عنهُ إن صدَّ عنهُ المحبوب أو قرَّبَهُ، ثمَّ يخلُص الحَدَّاد بعد هذه المقدِّمة إلى الترغيب بجنة الخلد ونعيمها التي وعدها الله عباده المتقين، ويحذِّر من الشهوات والمعاصي، وهو الغرض الأساس المقصود من نظم القصيدة.

وربما استغنى الحَدَّاد عن المقدمات التقليدية وطرحها جانباً مستبدِلاً بها أحد أمرين:

**الأول**: الدخول إلى المضمون على نحوٍ مباشر، مُتَخِذَاً مِن نفسِه مُخاطَباً، في قوله:

"أَلَا يَا نَفْسُ وَيحَكِ كَمْ تَوَانِي وَكَمْ طُوْلِ اغْتِرَارٍ بِالمَحَالِ
وَكَمْ شُغْلٍ بِمَا لَا خَيْرَ فِيهِ وَكَمْ حِرْصٍ عَلَى شَرَفٍ وَمَالِ
وَكَم سَهْوٍ وَكَمْ لَهْوٍ وَهَزْلٍ وَكَمْ مَيلٍ إِلَى دَارِ الزَّوَالِ"[٢٢٩]

وقد ضمّن في المطلع الآخر قول ابن السَّمَّاك (ت٣٤٤هـ): "الدنيا كلها قليل، والذي بقي منها في جنب الماضي قليل، والذي لك من الباقي قليل، ولم يبق من قليلك إلا القليل"[٢٣٠] فقال:

"تَبَلَّغْ بِالْقَلِيْلِ مِنَ الْقَلِيْلِ وَهَيِّ الزَّادَ لِلسَّفَرِ الطَّوِيلِ"[٢٣١]

**الثاني**: التمهيد للمضمون بأسلوب يدلُّ فيه المطلع على الغرض بقرينةٍ ما، إذ يُشْتَرَطُ في حسن الابتداء -كما يرى شهاب الدين محمود (ت٧٢٥هـ)- "أن يأتي الناظم أو الناثر في ابتداء كلامه ببينة أو قرينة تدل على مراده في القصيدة أو الرسالة أو معظم مراده"[٢٣٢]

---

[٢٢٩] *الديوان*، قافية اللام، ص٤٩٧، وقولُه (توانٍ) يُقال تَوَانَى في العمل إذا لم يهتَم به ولم يضبطهُ، يُنظَر: مجموعة مؤلفين، *المعجم الوسيط*، مادة "تَوَانَى"، ج٢ ص١٠٥٩

[٢٣٠] ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف، *النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة*، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر، ج٢ ص ١١٢

[٢٣١] *الديوان*، قافية اللام، ص٥١٠

[٢٣٢] الحلبي، شهاب الدين محمود، حسن *التوسل إلى صناعة الترسل*، تح: أكرم عثمان، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٨٠م، ص٢٥٠ و٢٥١

وهذا ما قام به الحَدَّاد حيث قال في مطلعٍ:

"إذا شِئتَ أَنْ تَحيَا سَعِيدَاً مَدَى العُمْرِ وَتُجعَلَ بَعدَ المَوتِ في رَوضَةِ القَبرِ
وَتُعْرَضَ مَرفُوعَاً كَرِيمَاً مُبَجَّلاً تُبَشِّرُكَ الأَمْلَاكُ بِالفَوْزِ وَالأَجْرِ
وَتَخْلُدَ فِي أَعْلَى الجِنَانِ مُنَعَّمَاً حَظِيَّاً بِقُرْبِ الوَاحِدِ الأَحَدِ الوِتْرِ
عَلَيْكَ بِتَحْسِينِ اليَقِينِ فَإِنَّهُ إِذَا تَمَّ صَارَ الْغَيْبُ عَيْناً بِلَا نُكْرِ"[٢٣٣]

وقالَ في مَطلَعٍ آخرَ:

"وَصِيَّتِي لَكَ يَا ذَا الفَضْلِ وَالأَدَبِ إِنْ شِئْتَ أَنْ تَسْكُنَ السَّامِي مِنَ الرُّتَبِ
وَتُدْرِكَ السَّبْقَ وَالغَايَاتِ تَبْلُغُهَا مُهَنَّئَاً وَتَنَالَ القَصْدَ وَالأَرَبِ
تَقْوَى الإِلَهِ الَّذِي تُرْجَى مَرَاحِمُهُ الوَاحِدِ الأَحَدِ الْكَشَّافِ لِلْكُرَبِ"[٢٣٤]

ففي المطلعين السابقين نلحظ أنّه مهَّد تمهيداً حَسَنَاً يجذب السامع ويلفت انتباهه إلى الجوهر الذي نظمت القصيدة من أجله، مستخدماً أسلوب الشرط الذي يعد من أساليب الإقناع، لما يحويه من ثنائية السبب والنتيجة، أو الطلب والجواب، فإقناع السامع بالقيام بعملٍ ما أو اجتنابه، أو التخلق بخلقٍ ما أو تركه؛ إنما يكون ببيان عاقبته إن التزم به أو نفَّذَهُ.

وقد وظَّف الحَدَّاد هذا الأسلوب في شعره الوعظي توظيفاً فاعلاً يوحي للمتلقي بمنطقية الطلبات حين يتبعها بالنتائج والعواقب.

ففي المطلع الأول: ربط سعادة الحياة الدنيوية والأخروية وما يعقبهما من حسن المآب في جنات الخلد والنعيم، كل ذلك ربطه مُهَيِّئَاً السامع لما سيلقي عليه من العِظات والنصائح.

---

[٢٣٣] *الديوان*، قافية الراء، ص٢٢٩ و ٢٣٠

[٢٣٤] *الديوان*، قافية الباء، ص٥٦

وفي المطلع الثاني: استخدم نفس الأسلوب أيضاً، منادياً السامع إذا ما أراد أن (يسكن) الرُتَب العوالي، وفي هذه الكلمة احتراز من الشاعر حيث إنَّ الكثير قد يصل إلى المعالي لكن القليل من يحافظ على الثبات فيها ولا تَزِلّ قدمه بعد ثبوتها، فجاء الحَدَّاد بلفظة (تسكن) ليحترز عن مجرَّد الوصول فقط، فكان بتقديمه لهذه النتيجة جَذبٌ للذهن وجعله متهيّئاً لاستقبال ما سيرد عليه من النصائح.

وبعد التعرُّفِ إلى طُرُق الحدَّاد في مُقَدِّمَات القَصَائد الوعظيَّة، والأشكال التي جاءت بها هذه القصائد، فإننا سنبحثُ المحاور الثلاثة، التي طرقها في شعره الوَعظِيّ.

**محور التَّحذير من هوى النَّفس**

جعل الحَدَّاد أَوَّلَ محاورِ الوعظ هو التحذير من هوى النفس والدعوة إلى مخالفتها، حيث نجده فيه قد أكَّد أنَّ مخالفة الهوى أصلٌ لقبول الموعظة وتأثيرها في السَّامع، والمواعظ لا تفيد من أُسِرَ بهذا القيد، وإلَّا فكتاب الله أعظم موعظة لمن أراد الاتعاظ، يقول:

"إِنَّ المَواعِظَ لَا تُغْنِيْ أَسِيرَ هَوَىً  مُقفَّلَ القَلبِ في حَيْدٍ عَنِ السُّنَنِ
مُستَكبِراً يَبطُرُ الحَقَّ الصَريحَ إذا  يُلْقَى إِلَيهِ لِفَرطِ الجَهْلِ وَالشَّنَنِ[٢٣٥]
يُمَنِّيَ النَّفْسَ أَمْرَاً لَيْسَ يُدرِكُهُ  إِنَّ الأَمَانِيَ مِقْطَاعٌ عَنِ المِنَنِ
يَكفِيْ اللَّبيبَ كِتَابُ اللهِ مَوعِظَةً  كَمَا أَتَى فِي حَدِيثِ السَّيِّدِ الحَسَنِ
مُحَمَّدٍ خَيْرِ خَلْقِ اللهِ قُدْوَتِنَا  مُطَهَّرِ الْجَيْبِ عَنْ عَيْبٍ وَعَنْ دَرَنِ"[٢٣٦]

ونلمح هنا أنَّ الحَدَّاد عمد إلى أسلوب التفصيل بعد الإجمال، فبعد أن بيَّن أن المواعظ لا تسري في أسير الهوى (وهو إجمال) شرع بالتَّفصيل وذكر صفات هذا المقَيَّد بهواه من زوايا

[٢٣٥] "الشَّنَن: الضعف، واشتقاقه من قولهم: تَشَنَّنَ السِّقاء إذا يبس وضعف"، ابن دريد، أبو بكر بن محمد الأزدي، *جمهرة اللغة*، ج٢ ص١٠١٠

[٢٣٦] *الديوان*، قافية النون، ص٦٧٥

متعددة فالكبر والبطر قد رَانَا[٢٣٧] على قلبه، واستعار للقلب صفة الإقفال حتى عاد لا يقبل أي شيء، واشتغلت نفسه بالأماني التي ماهي إلَّا القواطع عن العطايا الربانية فصار الإشتغال بالأماني عنوان العجز، وهو بهذا التفصيل يرسم الخطوط العريضة التي يجب أن يَتَخَلَّى عَنهَا مَن أراد الانتفاع بالموعظة والنصح قبل أن يصغي إليها.

ويحذِّر في موضع آخر من الهوى، الذي ضلَّ بسببه خَلقٌ جَم:

"فَاعْلَم هُدِيتَ وَخَيرُ العِلْمِ أَنفَعُهُ أَنَّ اتِّبَاعَ الهَوَى ضَرْبٌ مِنَ الخَبَلِ
فَكَمْ وَكَمْ ضَلَّ بِالأَهْوَا وَطَاعَتِهَا مِنْ عَاقِلٍ جَامِعٍ لِلعِلمِ وَالعَمَلِ
هُوَ الهَوَانُ كَمَا قَالُوا وَقَد سُرِقَت أَلنُّونُ مِنهُ فَجَانِبْهُ وَحِدْ وَمِلِ"[٢٣٨]

وقد استخدم الحَدَّاد في هذه المقطوعة صورةً من صور التكرار التي أدَّت دوراً مهماً في تنبيه المتلقي للدلالات المتعددة، لينبري ذهنه في تأملها بما فيها من طرفة لغوية لتؤدي دورها في التوجيه والإقناع، فأتى بالجناس الناقص (الهوى، الهوان) فالهوى مراد النفس الذي يحذر منه، والهوان هو الذل والصَّغار الّذي يؤدي إليه اتباع الهوى، وكأنّه يقول: إذا كانت صورة الهوان مستقبحة في العقول فأنا أُحَذِّرك من الهوى أيُّها السامع لأنَّه الهوان لكن سُرِقَت منه النون؛ وهنا نلمحُ أسلوب حُسنِ التَّعلِيل.

وقد يعظ الحَدَّاد المخاطب محذراً له من هوى النفس داعياً إيَّاه إلى تركه ومخالفته، ثم يعرض له العلاج، وذلك بأن يرجع السامع إلى نفسه ويخاطبها ويبين لها العواقب الوخيمة لاتباع الشهوات والهوى، وقد كرَّر الحَدَّاد مرةً أخرى أسلوب الشرط فقال: (خَالِف تُصِب) لحثِّ المخاطَب وإقناعه بالمخالفة، يقول:

---

[٢٣٧] رَانَ عَلَى قلبه أي غطَّاه وغَلَبَهُ، يُنظَر: مجموعة مؤلّفين، *المعجم الوسيط*، مادة "ران"، ج١ ص٣٨٦

[٢٣٨] *الديوان*، قافية اللام، ص٥٢٣، وقوله (الخَبَل) الجنون، يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "خَبَلَ"، ج١١ ص١٩٨

"وخَالِفِ النَّفْسَ وَاسْتَشْعِر عَدَاوَتَهَا وَارفُضْ هَوَاهَا وَمَا تَخْتَارُهُ تُصِبِ
وَإن دَعَتْكَ إِلَى حَظٍّ بِشَهْوَتِهَا فَاشْرَحْ لَهَا غِبَّ ما فِيهِ مِنَ التَّعَبِ"[٢٣٩]

ونلمح أنَّ هذا المعنى قد سُبِقَ إليه الحَدَّاد، فقد ذكرهُ قبلَه شرف الدين البوصيري (ت٦٩٦هـ) في قصيدته المشهورة "البُردَة"، حيث قال:

"وخَالِفِ النَّفْسَ والشَّيطانَ واعصِهِمَا وَإنْ هُمَا مَحضَاكَ النُّصْحَ فاتَّهِمِ
وَلَا تُطِعْ مِنْهُمَا خَصْمَاً وَلَا حَكَمَاً فَأَنْتَ تَعْرِفُ كَيدَ الخَصْمِ وَالحَكَمِ"[٢٤٠]

وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذه المخالفة التي يدعو إليها الشَّاعر الحَدَّاد لا تتعدَّى كونها ضبطاً لجمَاح الهوى بلِجَام التقوى كي لا يسرح في ميدان الشهوات فيهوي في فخ الرذيلة ومستنقع الهوان، يقول الحَدَّاد مُبَيِّنَاً ذَلِكَ:

"فَاعمَلْ لِنَفْسِكَ مِنْ قَبْلِ المَمَاتِ وَلَا تَعْجَزْ وَتَكْسَلْ فَإِنَّ المَرْءَ جَهَّادُ
لَا يَنْفَعُ العَبْدَ إِلَّا مَا يُقَدِّمُهُ فَبَادِرِ الفَوْتَ وَاصْطَدْ قَبْلَ تُصْطَادُ"[٢٤١]

## محور التَّزهيد في الدُّنيا

أمَّا المحور الثاني من غرض الوعظ فقد كان للتَّزهيد في الدُّنيا والتَّرغيب بالدَّار الآخرة، حيثُ يبين الحَدَّاد حقيقة الدُّنيا ويوضح أنَّها قنطرة الإنتقال للوصول إلى الدَّار الحقيقية الباقية وهي الآخرة، فيقول:

---

[٢٣٩] *الديوان*، قافية الباء، ص٥٨

[٢٤٠] البوصيري، شرف الدين، *بردة المديح*، دار الحديث الكتانية، ص٤

[٢٤١] *الديوان*، قافية الدَّال، ص٢١٢

"وَمَا هَذِهِ الدُّنيا بِدارِ إِقامَةٍ وَما هِيَ إِلَّا كَالطَّرِيقِ إِلى الوَطَنْ
وَمَا الدَّارُ إِلَّا جَنَّةٌ لِمَنِ اتَّقَى وَنارٌ لِمَن لَمَ يَتَّقِ اللَّهَ فَاسْمَعَنْ"[٢٤٢]

فكرَّر النفي بالأداة (ما) ثلاث مرَّات، ليقرِّر في ذهن السامع حقيقة الدنيا، ويحصر المعنى الأصلي لها ويقصره –قصراً إعلامياً ابتدائيّاً[٢٤٣]– على أنها الطريق إلى الوطن الحقيقي الذي أعَدَّ الله فيه للمتقين جنات الخلد والنعيم، وأمَّا من فارق التقوى فالجحيم مصيره ومثواه، فلا تنسَ أنَّ هذه الدنيا ليست للإقامة الخالدة وإنما الممر إلى دار الخلود الأبدي.

وحرص الحَدَّاد في شعره كله بشكل عام والوعظي منه بشكل خاص على الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف وكلام السلف الصالح، ويمكننا تعليل ذلك بأنه كان يريد أن ترسخ الموعظة وتتوثَّق في ذهن المتلقي وتكون حافزاً له على التذكُّر والمسارعة للعمل بها وتنفيذها، ومن ذلك قوله:

"وَإِيَّاكَ وَالدُّنيَا الغَرُورَ فَإِنَّهَا مَتَاعٌ قَلِيْلٌ مَا لَهَا أَبْدَاً بَقَا
وَتُلْهِيْكَ عَن جَنَّاتِ خُلْدٍ نَعِيمُهَا يَدُوْمُ وَيَصْفُو حَبَّذَا لَكَ مُلتَقَى"[٢٤٤]

ففي البيت الأول اقتباسٌ من الآية القرآنية: **(وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)** آل عمران: ١٨٥ وقوله تعالى: **(قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلاً)** النساء: ٧٧

ومن اقتباساته من الحديث الشريف قوله:

"وَازْهَدْ بِقَلْبِكَ فِي الدَّارِ الَّتِي فَتَنَتْ طَوَائِفَاً فَرَأَوهَا غَايَةَ الطَّلَبِ
تَنَافَسُوهَا وَأَعْطَوْهَا قَـوَالِبَهُمْ مَعَ القُلُوبِ فَيَا لِلَّهِ مِنْ عَجَبِ

---

[٢٤٢] *الديوان*، قافية النون، ص٦٦٩

[٢٤٣] الميداني، عبد الرحمن حسن حبنَّكة، *البلاغة العربية أسسها فنونها*، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٦م، ج١ ص٥٢٨

[٢٤٤] *الديوان*، قافية القاف، ص٤٧٣

وَهِيَ الَّتِي صَغُرَتْ قَدْرَاً وَمَا وَزَنَتْ عِنْدَ الإِلَهِ جَنَاحَاً فَالحَرِيصُ غَبِي"[٢٤٥]

فهو بعد أن أبرز تعجبه من انشغال الكثير من الناس بكلياتهم ببواطنهم وظواهرهم وانهماكهم بها وتَهافُتِهِم عليها، ضمَّن البيت الأخير قول الرسول الكريم: "لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ"[٢٤٦] في لَفتَةٍ منه لتثبيت تحقير الدنيا وتأكيد صِغر شأنها لدى السَّامِع، وبيانِ مكانتها الحقيقية لدى أهل العقول.

وقد أورد المبرّد قولاً مأثوراً عن عليّ بن أبي طالب في وصف الدُّنيا والزُّهد فيها عندما سُئِلَ عنها فقال: "أوَّلها عناء، وآخرها فناء، في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب"[٢٤٧]، فاقتبس الحَدَّاد هذا الكلام وضمَّنه في شعره ضمن أحد أبيات قصيدة طويلة في الوعظ فقال:

"وَإِيّاكَ وَالدُّنيا فَإِنَّ حَلالَها حِسابٌ وَفي مَحْظُورِها الهَتَكُ لِلسَّترِ"[٢٤٨]

ومن جملة الأساليب التي استخدمها الحَدَّاد في وعظه المزَهِّد بالدنيا أسلوب ضرب الأمثال، لما يحققه من بيان المعاني والأفكار والصور الذهنية المجرَّدة بتقريبها من الأذهان وجعلها كصورة حسية مرسومة في مخيلة المخاطب، فيكون متأثِّراً بها أكثر من الأفكار المجردة، ويبرز هذا جليَّاً في قوله:

"وَعُمْرٍ ضَاعَ فِي إِيثَارِ دَارٍ حَقِيقَتُها تُشَبَّه بِالخَيَالِ
كَظِلٍّ زَائِلٍ أَو طَيْفِ نَوْمٍ يَقُولُ بِسُرْعَةٍ لِلإِنحِلَالِ"[٢٤٩]

فهو يقنع المخاطب بطلبه مستشهداً بصورةٍ تمثيلية واضحة لا مجال للتشكيك بصحتها، ألا وهي انحسار ظل الشمس وزوال طيف الحُلُم في المنام، وهذا قياس مقصود لتحقيق القناعة

---

[٢٤٥] *الديوان*، قافية الباء، ص٥٨

[٢٤٦] الترمذي، محمد بن عيسى، *سنن الترمذي*، تح: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٩٧٥م، ج٤ ص٥٦٠

[٢٤٧] المبرّد، محمد بن يزيد، *الكامل في اللغة والأدب*، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م، ج١ ص١٢٥

[٢٤٨] *الديوان*، قافية الراء، ص٢٣٤

[٢٤٩] *الديوان*، قافية اللام، ص٤٩٩

العقلية في نفس المتلقي، وحثِّه على طرح الانبهار بنعيم الدنيا ومتاعها الزائل، وإيثار التعلق بنعيم الآخرة عليه.

## محور الدَّعوة إلى الأخلاق والنُّصح العام

لقد حرص الحَدَّاد على جعل النُّصح وَالدَّعوة إلى الأخلاق من مَهَامّ الوَعظ في أشعاره، ودعا فيها إلى الأخلاق الإسلاميَّة الكريمة، ونبذ كل ذميمٍ من الأخلاق، ونصح كلِّ مُسلمٍ بالأعمال التي تُرضي خَالِقَه.

وإنَّ أول ما دعا إليه من الأخلاق هو خلق الصبر والتحلي به، حيث كَرَّر دعوته إلى التخلق به في أكثر قصائده الوعظية، لأنَّه يرى جميع الأخلاق الحسنة عمادها الصبر على العمل بها والثبات عليها، وبنى قصيدةً كاملة في الصبر وفي مَن تحلَّى به، فجاء بمطلعها محليَّاً له بالجناس الناقص (صَبَرَ، صَابِر، اصبِر، صَبُور، صَبْر) فقال:

"يَا صَابِراً أَبشِر وَبشِّر مَن صَبَرْ  بالنَّصرِ وَالفَرَجِ القَرِيبِ وَبالظَّفَرْ
نَالَ الصَّبُورُ بِصَبرِهِ ما يَرتَجِي  وصَفَتْ لَهُ الأَوْقَاتُ مِن بَعْدِ الكَدَرْ
فَاصْبِر عَلَى المِحَنِ القَوَاصِد وَانتَظِر  فَرَجَاً تَدُولُ بِهِ دِوَلُ القَدَرْ"[٢٥٠]

ومرةً أخرى يقرنه بحسن الظن بالله، داعياً إلى التحلي به بصورة أشار إلى كمالها باستخدامه للفظة (السِّربال) فجعل من الصبر درعاً[٢٥١] ضَافِياً يُتَسَربَلُ به عند هياج المصائب واشتداد رياح الفتن فقال:

"حَسِّنْ ظُنونَكَ بالمولَى تَرَى البُشرَى  فَالرَّبُّ عِنْدَ ظُنُونِ العَبْدِ فَلْتَدْرَى
جَاءَ الحديثُ بِذَا فَاصْغِ إِلَى الذِّكْرَى  وَالبَسْ مِنَ الصَّبرِ سِرْبَالاً لَدَى الضَّجَرِ

---

[٢٥٠] *الديوان*، قافية اللام، ص٣٧٨، وقولُهُ (القواصِد) جمع قاصدة وهي صفة للمحن، إذ أنَّها تقصد الإنسان وتأتيه من حيث لم يطلبها اهـ. وقولُهُ (دِوَل) جمع دُولَة وهي العُقْبَة، يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادَّة "دَوَلَ"، ج١١ ص٢٥٢

[٢٥١] يُنظَر: *المصدر السابق*، مادة "سَربَلَ"، ج١١ ص ٣٣٥

واسأَل مِنَ اللهِ كَشفَ البُؤسِ وَالضَّرَرِ"[٢٥٢]

وفي البيت الأول اقتباس من الحديث القدسي الذي يحث على حسن الظن بالله يقول الرسول الكريم: "يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي"[٢٥٣].

وغالباً ما كانت الأخلاق التي دعا إليها محلُّها قلب الإنسان المسلم، كالشكر والقناعة والإخلاص والخوف والرجاء، وربما كان محلُّها ميادين الحياة والواقع الذي يعيش فيه المسلم، كَبِرِّ الوالِدَين وَالكَرَم وَالجود، والتي طالما حَثَّ عليها الشرع الحنيف في القرآن الكريم والأحاديث النبوية يقول:

"وَبِالجِدِّ وَالصَّبرِ الجَميلِ تَحُلُّ في فَسيحِ العُلَا فَاسْتَوصِ بِالجِدِّ وَالصَّبرِ
وَكُن شَاكِراً لِلَّهِ قَلبَاً وَقالَباً عَلى فَضلِهِ إِنَّ المَزيدَ مَعَ الشُّكرِ
تَوَكَّلْ عَلَى مَولاكَ وَارضَ بِحُكمِهِ وَكُنْ مُخلِصاً لِلَّهِ في السِّرِّ وَالجَهرِ
قَنوعاً بِما أَعطاكَ مُستَغنِيَاً بِهِ لَهُ حامِداً في حَالَيْ اليُسْرِ وَالعُسْرِ
وَكُن باذِلاً لِلفَضلِ سَمْحَاً وَلا تَخَف مِنَ اللَّهِ إِقتاراً وَلَا تَخْشَ مِن فَقرِ"[٢٥٤]

وفي هذه العينة من الأبيات نجد الحَدَّاد لم يحثَّ على الأخلاق الكريمة فقط وإنما بيَّن عاقبتها وهي الحلول في فسيح درجات المعالي، وذكر شكلها بأن تكون في الباطن والظاهر مستخدماً طباق التضاد (السر، الجهر) (اليسر، العسر) والجناس الناقص (القلب، القالب) ونبَّه مُحتَرِزَاً على أن تكون هذه الأخلاق ملازمةً للمسلم في كل حالٍ و كلِّ زَمَانٍ يُسراً وعُسرَاً.

أمَّا بالنسبة للأخلاق التي حذَّر منها فهي تلك الأمراض الأخلاقية التي استشرت في كيان المجتمع الإسلامي، بعد ابتعاده عن شفاء القرآن الكريم وهديه.

---

[٢٥٢] *الديوان*، قافية الراء، ص٢٤١

[٢٥٣] البخاري، محمد بن إسماعيل، *الجامع الصحيح*، ج٩ ص ١٢١

[٢٥٤] *الديوان*، قافية الراء، ص٢٣٣

وعلى رأس هذه الأمراض الخلقية الكِبر، كيف لا! وأوَّل معصيةٍ كانت به، عندما استكبر ابليس عن السجود لآدم وقال لربه: (أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ) الأعراف: ١٥، يقول الحَدَّاد في وصيته البائية مَستخدماً الإيجاز بالحذف إلى جانب الاقتباس:

"وَاحْذَرْ وَإِيَّاكَ مِن قَولِ الجَهُولِ (أَنَا) وَأَنْتَ دُونِيَ فِي فَضْلٍ وَفِي حَسَبِ
فَقَد تَأَخَّرَ أَقْوَامٌ وَمَا قَصَدُوا نَيلَ المَكَارِمِ واستَغنَوْا بِكَانَ أَبِي"[٢٥٥]

ويتناول في نصحه أيضاً، ترك الحسد والغش والغدر والطمع وطلب الجاه للدنيا ويشبه حقيقته بالسُّمِّ الزُّعَاف[٢٥٦] وإن بدا للناظر برداءٍ غيره، يقول:

"وَلَا تَكُ عَيَّاباً وَلا تَكُ حَاسِدَاً وَلا تَكُ ذا غِشٍّ وَلا تَكُ ذا غَدرِ
وَلا تَطلُبَنَّ الجاهَ يا صاحِ إِنَّهُ شَهيٌّ وَفيهِ السُّمُّ مِن حَيثُ لا تَدْرِي
وَإِيّاكَ وَالأَطمَاعَ إِنَّ قَرِينَهَا ذَليلٌ خَسِيسُ القَصدِ مُتَّضِعُ القَدْرِ"[٢٥٧]

وفي موضع آخر يحذِّر من اللسان وآفاته، ويدعو إلى الوقار والخشوع ونبذ الانهماك باللهو والإفراط في الضحك واللعب فيقول:

"واحفَظْ لِسَانَكَ مِن طَعْنٍ عَلَى أَحَدٍ مِنَ العِبَادِ وَمِن نَقلٍ وَمِن كَذِبِ
وَكُن وَقُوراً خَشُوعَاً غَيرَ مُنهَمِكٍ فِي اللَّهوِ وَالضِّحْكِ والأَفْرَاحِ وَاللَّعِبِ"[٢٥٨]

وأما ما يتعلق بالنصائح الدينية بشكل عام فقد ركَّز الحَدَّاد على القرآن الكريم والعلم الشرعي واعتبره الأصل في كل شيء في حياة الفرد المسلم، وحثَّ على تلاوته وسمَّاها (الإكسير)[٢٥٩] إذا كانت بالتدبر والتفكر، ودعا إلى أن يستفيد المسلم من القرآن بأن يكون

---

[٢٥٥] *الديوان*، قافية الباء، ص٥٨

[٢٥٦] الموتُ الشديد هو الزُّعاف، يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "زعف"، ج٩ ص١٣٤

[٢٥٧] *الديوان*، قافية الراء، ص٢٣٤

[٢٥٨] *الديوان*، قافية الباء، ص٥٧

[٢٥٩] "مَادَّة مركبة كَانَ الأقدمون يَزْعمُونَ أَنَّهَا تحول الْمَعْدن الرخيص إِلَى ذهب وشراب فِي زعمهم يُطِيل الْحَيَاة"، مجموعة مؤلفين، *المعجم الوسيط*، ج١ ص٢٢

راغباً في ما وعد راهباً من ما أوعد، مواظباً على أوامره مجتنباً لكل ما نهاه عنه في كل أحواله، يقول:

"وَخُذْ مِن عُلومِ الدِّينِ حَظّاً مُوَفَّراً فَبِالعِلمِ تَسمُو في الحَيَاةِ وَفي الحَشْرِ
وَواظِب عَلى دَرسِ القُرانِ فَإِنَّ في تِلاوَتِهِ الإِكْسِيرَ وَالشَّرحَ لِلصَّدرِ
أَلا إِنَّهُ البَحرُ المُحِيطُ وَغَيرُهُ مِنَ الكُتْبِ أَنهارٌ تُمَدُّ مِنَ البَحرِ
تدَبَّرِ مَعَانِيهِ وَرَتِّلْهُ خَاشِعَاً تَفوزُ مِنَ الأَسرارِ بِالكَنزِ وَالذُخرِ
وَكُن رَاهِباً عِندَ الوَعيدِ وَراغِباً إِذا ما تَلَوتَ الوَعدَ في غايَةِ البِشْرِ
بَعيداً عَنِ المَنهيِّ مُجتَنِباً لَهُ حَرِيصَاً عَلى المَأمورِ في العُسرِ وَاليُسرِ"[٢٦٠]

ونرى التشبيه البليغ للقرآن الكريم بالبحر المحيط وغيره من الكتب شبهها بالأنهار، واستخدم أسلوب التقديم والتأخير في البيت الثاني عندما أخَّر اسم إنَّ (الإكسير) وقدَّم عليه شبه الجملة (في تلاوته) ليؤكِّد ذلك في نفس المتلقي ويقنعه بأهمية التلاوة، وثنَّى بأسلوب الطلب ليقنعه أكثر ويرسِّخ في ذهنه المعنى المطلوب وهو التدبر حيث قال (تَدَبَّر مَعانيه ورتِّله تفُوز).

ومن أكثر ما نصح به في شعره الوعظي، تقوى الله والتي عرَّفَها في قصيدته البائية بأنها التزام الأوامر واجتناب المناهي، واعتبرها خير الزاد للقدوم على الله، مصحوبةً بالطاعة الخالصة لوجهه سبحانه، يقول:

"وَخَيرُ الزَّادِ تَقوَى اللَّهِ فَاعلَمْ وَشَمِّرْ وَاعْدُ عَن قَالٍ وَقِيلِ
وَطَاعَتُه غِنَى الدَّارَينِ فَالزَمْ وَفِيهَا العِزُّ لِلعَبدِ الذَّلِيلِ
وَفِي عِصْيَانِهِ عَارٌ وَنَارٌ وَفِيهِ البُعْدُ مَعْ خِزيٍ وَبِيلِ"[٢٦١]

---

[٢٦٠] *الديوان*، قافية الراء، ص٢٣١

[٢٦١] *الديوان*، قافية اللام، ص٥١١، وقولُهُ (وبيل) أي وَخيم، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "وَبَلَ"، ج٥ ص١٨٣٩

ويلاحظ استعماله بعض المحسنات البديعية مثل المقابلة، حيث قابل الطاعة وما فيها من غنى الدنيا والآخرة وما في لزومها من العزّ، بالمعصية وما فيها من العار والذل وما في لزومها من الهوان.

ولم يُغفِل الحَدَّادُ مِن جملة نَصَائِحِهِ الشِّعرية أساليب معاملة المسلم لمن حوله من الناس ابتداءً بالوالدين فالأقرب، فالأقرب، من دائرته ليتعدَّى ذلك إلى المجتمع كلِّه، ويشير إلى إنصافِهِم وعدم الانتصاف منهم ومسامحتهم والرفق بهم، ويحث على رفقة الأخيار أهل العلم والتقوى ويحذِّر من رفقة أضدادهم الأشرار أهل الجهل والحسد، فيقول:

"وَالوَالِدَانِ لَهُمْ حَقٌّ يَقُومُ بِهِ مَن يَتَّقِ اللَّهَ والمُدلُونَ بِالنَّسَبِ
وَالجَارُ والصَّحبُ لَا تَنْسَ حُقُوْقَهُمُ وَاخْتَرْ مُصَاحَبَةَ الأَخْيَارِ وَانتَخِبِ
وخالِقِ النَّاس بالخُلْقِ الكَرِيمِ وَلَا تَعْتِبْ عَلَى أَحَدٍ مِنهُمْ وَلَا تَعِبِ
وَانصِفْ ولا تَنتَصِفْ مِنْهُمْ وَنَاصِحَهُمْ وَقُمْ عَلَيهِم بِحَقِّ اللَّهِ وَانتَدِبِ
وَاحْذَرْ مُصَاحَبَةَ الأَشْرَارِ وَالْحُمَقَى وَالحَاسِدِينَ وَمَنْ يَلْوِي عَلَى الشَّغَبِ"[٢٦٢]

ونرى براعة الحَدَّاد في استخدام المحسنات البديعية المعنوية منها كالطباق (الأخيار، الأشرار) (أنصِف، لا تنتصف)، واللفظية منها كالجناس الناقص (اختر، احذر) (خالق، خلق) (تعتب، تَعِب).

ولا ينسَ الحَدَّاد الحَثَّ على حفظ الأوقات، فيحدو المَسامِعَ داعياً إلى اغتنام العمر والإفادة من الأوقات وطرح التَّسويف ونبذ التَّراخي، وتجريد سيف العزيمة ليقطع كل القواطع من الأوهام والعادات المانعة عن أعمال البرِّ والخير، فهي الأعمال التي يجدر بالمسلم التَّشمير في طلبها والصَّبر على المداومة عليها والسَّعي في ميادينها، مُغتَنِماً لِعُمرِهِ مبادراً بالباقيات

[٢٦٢] *الديوان*، قافية الباء، ص٦٠، والشَّغْبُ بالتَّسكين هو تهييج الشَّر، يُنظر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "شغب"، ج١ ص١٥٧

الصَّالِحَات قبل هجوم الموت والبلايا عليه، ولا يعتذر فلجامُ الخَيار في يده فليختر ما يشاء، وليُطلِق خيلَ الإرادة حيثما كانَ النَّفع والصواب؛ يقول:

"فَدَعِ الْعَجْزَ وَالتَّكَاسُلَ وَاسْلُلْ صَارِمَ الْعَزْمِ يَا لَهُ مِنْ حُسَامِ
وَاقْطَعِ القَاطِعَاتِ مِنْ كُلِّ وَهْمٍ وَاعْتِيَادٍ يُشِيرُ لِلْإِحْجَامِ
وَتقَدّمْ فَالْبِرُّ وَالْخَيْرُ أَحْرَى مَا يُعَانَى بِالجِدِّ وَالإِقْدَامِ
وَاغْتَنِمْ مِنْ بَقِيَّةِ الْعُمْرِ مَا أَمْ كَنَ وَالإِخْتِيَارُ طَوْعُ الزِّمَامِ
وَانْتَهِزْ فُرْصَةَ الزَّمَانِ وَبَادِرْ بَغَتَاتِ الحِمَامِ وَالأَسْقَـــــــــامِ"[٢٦٣]

وقد استدعى الحَدَّاد للمعاني المجردة التي دعا إليها صوراً حسية ملموسة، فالعزم استعار له فعل الاستلال فجعل من العزم كالسيف البتار، وجعل للخيار زماماً في يد الإنسان ولجاماً كبح به جماح النفس إلى الشهوات، واستعمل الجناس الناقص (اقطع، القاطعات/ تقدّم، الإقدام)

وبعد أن تناولنا -بكلامنا على غرض الوعظ- المقدمات التي بدأ بها الشاعر قصائده، وبسطنا المحاور التي طرقها في شعره الوعظي، ينبغي أن نشير إلى الخواتيم التي ختم بها ما نظمه، وإنَّه ليمكننا أن نقول إن غالب قصائده ختمها بخواتيم دعائية يدرج معها الصلاة والسلام على الرسول وآله وأصحابه، وقد يجمعهما معاً أو يكتفي بأحدهما عن الآخر.

ومن الشواهد الجيدة التي جمعت بين الدعاء بطلب المغفرة والعافية وحسن الخِتام والتوفيق، والصلاة والسلام على الرسول، وقام بتضمينها الاستعارة المكنية (بكت السحب) والمحسنات البديعية كطباق التضاد (واجد، خَلِي) يقول:

---

[٢٦٣] *الديوان*، قافية الميم، ص٦٠٦

"وَاسْأَلهُ مَغفِرَةً وَاسأَلهُ خَاتِمَةً حُسنَى وعافيةً والجَبرَ لِلْخَلَلِ
وَأَنْ يُوَفِّقَنَا لِلصَّالِحَاتِ وَمَا يُرْضِيهِ عَنَّا وَيَحْفَظْنَا مِنَ الخَطَلِ[٢٦٤]
وَأَنْ يُصَلِّي على المختارِ سَيِّدِنَا محمَّدٍ مَا بَكَتْ سُحْبٌ بِمُنهَمِلِ
والآلِ والصَّحبِ مَا غَنَّت مُطَوَّقَةٌ عَلى الغُصُونِ فأشْجَت وَاجِدَاً وَخَلِي"[٢٦٥]

ومن خير الشواهد على ما ختمه بالصلاة دون الدعاء، مع تضمين هذه الخاتمة أسلوب براعة المقطع، إذ ختم الكلام بما يُجمِل ما حكَاه من مواعظ في القصيدة؛ يقول:

"يَكفي اللَبيبَ كِتابُ اللَّهِ مَوعِظَةً كَمَا أَتَى في حَديثِ السَّيِّدِ الحَسَنِ
مُحَمَّدٍ خَيرِ خَلقِ اللَّهِ قُدوَتِنا مُطَهَّرِ الجَيبِ[٢٦٦] عَن عَيبٍ وَعَن دَرَنِ
عَلَيهِ مِنّا صَلاةُ اللَّهِ دائِمَةً ما سارَتِ الرّيحُ بِالأَمطارِ وَالسُّفُنِ
وَالآلِ وَالصَّحبِ ما غَنَّت مُطَوَّقَةً وَما بَكَت عَينُ مُشتاقٍ عَلَى وَطَنِ"[٢٦٧]

ونلمح عنده حسن التخلص حيث انتقل من الموعظة إلى الصلاة على الرسول الكريم وآله وأصحابه، بعد تنوينه للاسم (محمَّدٍ) تعظيماً له وتمهيداً لما سيسرده من بعض صفاته والصلاة عليه وعلى آل بيته وصحابته ختاماً للقصيدة.

ومن خلال جميع ما مرَّ ذكره في ما سبق، فإننا نستطيع أن نلحظ في غرض الوعظ عند الحَدَّاد عدَّة أمور:

أوَّلُها حرصه على أن تكون ألفاظه سهلة غير غريبة، وتَجَنَّبَ التراكيب الغريبة في أشعاره الوعظيَّة ولعلَّ ذلك لكونِ الوعظ عندَه موَجَّه لجميع الناس على اختلاف طبقاتهم.

---

[٢٦٤] الخطل: الكلام المضطرب الفاسد، يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "خَطَلَ"، ج١١ ص٢٠٩

[٢٦٥] *الديوان*، قافية اللام، ص٥٢٧، وقولهُ (أشجَت) من شَجَاهُ الغناء وأشجاه: هيَّج حزنه وشوقه، يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "شَجَا"، ج١٤ ص٤٢٢

[٢٦٦] مُطَهَّر الجيب: إذا قيل فُلانٌ ناصح الجيب أي أنَّه أمين، يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "جوب"، ج١ ص٢٨٨؛ والدَّرَن: الوسخ، الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حمَّاد، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "دَرَنَ"، ج٥ ص٢١١٢

[٢٦٧] *الديوان*، قافية النون، ص٦٧٥

ومنها أنَّ شعر الحَدَّاد في الوعظ ودعوته فيه إلى الزهد نابع عن حقيقة صادقة تُؤيِّدها سيرة حياته، وهذا أمرٌ مهم فمؤرخو الأدب ونقَّاده المتقدمين منهم والمعاصرين يدققون على صدق الشاعر في شعره الوعظي والزهدي، فقد نَفَوا حقيقةَ الزُّهدِ عندَ أبي العتاهية(ت٢١١هـ)، واتَّهمُوه أنَّهُ كَانَ يَصطَنعُ القولَ اصطِنَاعَاً حَتَّى قَالَ فيه سُلَّمَ الخاسر(ت١٨٦هـ):

"مَا أقبَحَ التَّزهيدَ مِن واعِظٍ  يُزَهِّدُ النَّـاسَ وَلا يَـزهَدُ
لَو كانَ في تَزهيدِهِ صَادِقاً  أَضحَى وَأَمسَى بَيتَهُ المَسْجِدُ"[٢٦٨]

وحملهم على هذا الشك كما يرى عمر فروخ أنَّه "كان بخيلاً مقتراً على أهله وعلى نفسه حتى بعد انتقاله إلى القول في الزهد"[٢٦٩] أمَّا الحَدَّاد فقد حفلت حياته بما يؤكد صدق ما قاله في نظمه الشعري، أو في كتاباته النثرية في مؤلفاته جميعها.

كما أنَّ شعر الوعظ عند الحَدَّاد لا يجنح إلى الإفراط المُخِلِّ الَّذي يدعو إلى طرح الدنيا بالكلِّيَّة والانشغال عنها وعدم عمارتها والانقطاع الكامل للعبادة والنسك، بل إنه سلك سبيل الاتِّزان بين الإفراط والتفريط فدعا إلى عمارة الأرض والقيام بحسن حق الخلافة التي أوكلها الله إلى الإنسان فقال:

"وخُذْ بَلَاغَكَ مِن دُنيَاكَ وَاسْعَ بِهِ  سَعيَ المُجِدِّ إِلَى مَولَاكَ وَاحتَسِبِ"[٢٧٠]

فهو يدعو هنا بصراحة إلى أخذ الكفاية من الدنيا والاجتهاد في جعل هذه الكفاية مطيَّةً للوصول إلى الدَّار الآخرة.

---

[٢٦٨] الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، *معجم الأدباء/إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*، تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٣ م، ج٣ ص ١٣٨٣

[٢٦٩] فروح، عمر، *تاريخ الأدب العربي "العصر العباسي"*، ج٣ ص ١٩٢

[٢٧٠] *الديوان*، قافية الباء، ص٥٩

ونستطيع القول إنَّ الحَدَّاد قد ارتبط شعر الوعظ عنده والتحم التحاماً وثيقاً بالزهد إلى جانب الدعوة والنصائح الدينية، وبإمكاننا القول إنَّ الحَدَّاد بقوله:

"وخُذ بَلَاغَك مِن دُنيَاكَ وَاسْعَ بِهِ  سَعيَ المُجِدِّ إِلَى مَولَاكَ وَاحتَسِبِ
وازهَد بِقَلبِكَ فِي الدَّارِ الَّتِي فَتَنَتْ  طَوَائِفَاً فَرأَوهَا غَايَةَ الطَّلَبِ"[٢٧١]

قد رسم لنا حدود الزهد الإسلامي وبيَّنَ أنَّ مكانه الصحيح إنما هو القلب برأيه، ولا يعني أن تُترَكَ الدنيا كلها بما فيها، بل هو أن لا تُسْكِرَك زهرتُهَا وَزينَتُهَا فتُسِدلَ هيَ بذلك غشاوتَهَا عَلى قلبك، ولذلك فصورة الزهد عنده ليست تلك الصورة المُشَوِّهَة للدُّنيا والقاسية حتى في المعاني التي تقرع النفوس وترهب القلوب، والتي نجدها في شعر أبي العتاهية الذي قال في تزهيده للدنيا:

"لِدُوا لِلمَوتِ وَابنُوا لِلخَرابِ  فَكُلُّكُمُ يَصيرُ إِلى ذَهابِ
لِمَن نَبنِي وَنَحنُ إِلى تُرابٍ  نَصيرُ كَمَا خُلِقنَا مِن تُرابِ"[٢٧٢]

وفي بيان جوهر الزهد في الأدب الإسلامي يقول شوقي ضيف: "ينبغي أنَّ يستقرَّ في نفوسنا أن الزهد الإسلامي يختلف عن الزهد المسيحي في جوهره إذ الزهد عند المسيحيين ورهبانهم يقوم على أساس من فكرة الخطيئة، والإسلام لا يقرّ هذه الفكرة، ولا ما تؤدي إليه من تعذيب الجسد، فإنَّ لبدن المسلم عليه حقّاً"[٢٧٣].

---

[٢٧١] *الديوان*، قافية الباء، ص٥٩

[٢٧٢] أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم، *ديوان أبي العتاهية*، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٦م، قافية الباء، ص ٤٦

[٢٧٣] ضيف، شوقي، *تاريخ الأدب العربي*، ج٣ ص ٨٦

# غرض المديح النَّبويّ

المدحُ **لغةً**: هو الثَّناء الحَسَن[٢٧٤] الَّذي هو أعَمُّ من الحمد[٢٧٥]، وهو نقيضُ الهِجاء، والفعلُ منهُ مَدَح يمدحُ مَدحَاً ومديحاً، ومثلُ هذا الفعل بالمعنى امتَدَحَ كما يرى الزَّمخشَري(ت٥٣٤هـ)[٢٧٦]، ويرى ابن منظور أنَّ المدحَ مصدَرٌ والمِدحَةُ اسمٌ وجمعه مدائح وأماديح، والتَّمَدُّحُ تَكَلُّفُ المديح[٢٧٧].

وأمَّا **اصطلاحاً**: فَيُمكِنُنَا القول إنَّه استقلال المدح وحصره في ذاتِ الرَّسول الكريم وذكر أوصافه وشمائله الشَّريفة التي خصّه الله تعالى بها خَلْقيَّةً كانت أو خُلُقيَّة، فهو "لونٌ من التَّعبير عن العواطف الدِّينيَّة وبابٌ من الأدب الرَّفيع"[٢٧٨].

وقبل أن نخوض في أشعار الحَدَّاد في المديح النَّبوي، فمن المهم أن نعلمَ أنَّ الرَّسولَ صلَّى اللهُ عليهِ وَسلَّم مُدِح من ثلاثة أصنافٍ مِنَ الشعراء:

١) شعراء ماتوا على غير دين الإسلام ومنهم الأعشى(ت٧هـ)-الذي أسلم ونظم قصيدةً في مدح الرسول الكريم ثمَّ ثَنَاهُ عن إنشادِها أمامَه مُشركو قُرَيش[٢٧٩] فعاد من حيث أتى- ومنهم من لم يُسلِم أصلاً كعمِّه أبي طالب(ت٣ قبل الهجرة).
٢) شعراء مسلمون في حياة الرَّسول الكريم والعصر القريب الذي لَحِقَ انتقاله إلى الرَّفيق الأعلى.
٣) الشُّعراء الذين جاءوا في العصور اللَّاحقة إلى زمان الحَدَّاد.

---

[٢٧٤] يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربيَّة*، مادة "مدح"، ج

[٢٧٥] يُنظَر: الزبيدي، أبو الفيض محمد مرتضى، *تاج العروس من جواهر القاموس*، مادة "مدح"، ج٧ ص١١١

[٢٧٦] يُنظَر: الزمخشري، جار الله محمود، *أساس البلاغة*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٨م، ج٢ ص١٩٩

[٢٧٧] يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "مدح"، ج٢ ص٥٨٩

[٢٧٨] مبارك، زكي، *المدائح النبوية في الأدب العربي*، ط١ المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ١٩٣٥م، ص١٧

[٢٧٩] خوفاً من أن تزيد في سرعة انتشار الإسلام، يُنظَر: فروخ، عمر، *تاريخ الأدب العربي*، ج١ ص٢٢٢

أمَّا **القسم الأوَّل** من الشعراء: فقد كان مدحهم للرسول هو مدح للذات الإنسانية التي اتصفت بالصفات والأخلاق الكريمة من (كرم وشجاعة ورأفةٍ وحِلمٍ وغيره) ونجد في طليعتهم عمه أبا طالب وهو القائل:

"وَأَبيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجهِهِ ثِمالُ[٢٨٠] اليَتامى عِصمَةٌ لِلأَرامِلِ
يَلُوذُ بِهِ الهُلَّافُ مِن آلِ هاشِمٍ فَهُمْ عِندَهُ في رَحمَةٍ وَفَواضِلِ"[٢٨١]

والقائل أيضاً:

"إذا اجتَمَعَت يَوماً قُرَيشٌ لِمَفخَرٍ فَعَبدُ مَنافٍ سِرُّها وَصَمِيمُهَا
فَإِنْ حُصِّلَت أَشْرَافُ عَبدِ مَنافِها فَفي هَاشِمٍ أَشرافُها وَقَديمُهَا
فَإِنْ فَخَرَتْ يَوماً فَإِنَّ مُحَمَّداً هُوَ المُصطَفى من سِرِّهَا وَكَرِيمُهَا"[٢٨٢]

فأبو طالب بهذه الأبيات يمدحُ ابنَ أخيه بأنَّه الرَّجل الكريم الذي يعتصم به الأرامل والعاجزون ويجدون عنده الرِّعاية والعطف والإشفاق، وهو يراه الرَّجل الَّذي تفتخر به كلُّ قريش إذ هو أكرمُها؛ فنَجِدُ هذا الطِّرزَ من المدح يُشرَكُ فيه أيُّ رجلٍ ممدوح مع الرسول الكريم، فهو لم يُمَيِّزهُ بشيءٍ من الخصوصيَّة بالرِّسالة السَّماويَّة أو العطاء الإلهيّ الَّذي أُكرِمَ بِه.

أمَّا **القسم الثاني** منهم: فمن المُلاحَظ أنَّه بعد مجيء الإسلام بعقيدة التَّوحيد القائمة على ركنين أساسيين هما الإيمان بالله والإيمان برسوله محمَّد صَلَّى الله عليه وسَلَّم وكان على عاتق المسلمين الدِّفاع عن هذه العقيدة –أعني ركنَيهَا– فلِذا كان المدح للرَّسول الكريم جزءاً من هذا الدفاع بل نوعاً من أنواع الجهاد ضد عقيدة الكفر وشعراءها، فلا غَروَ أن ينبري لهذا الميدان

---

[٢٨٠] أي هو غياثٌ لهم، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "ثمل"، ج٤ ص١٦٤٩

[٢٨١] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، *البداية والنهاية*، ج٤ ص ١٣٨، وينظَر أيضاً: بحرق، محمد بن عمر، *حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار*، تح: محمد عزقول، دار المنهاج، جدَّة، ط١، ١٤١٩هـ، ص١٨١، وقولهُ (هُلَّاف) جمع مفرده هِلَّوف، أي المسِنُّ الكَبير، يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "هلف"، ج٩ ص٣٥٠

[٢٨٢] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، *البداية والنهاية*، ج٣ ص٣٦٨

فرسانه من شعراء المسلمين أمثال عبد الله بن رواحة والعباس بن عبد المطلب وكعب بن زهير وحسان بن ثابت وهو القائل:

"ومُسْتَشْعِري حَلَقِ الماذِيّ يقدُمُهُمْ جَلْدُ النَّحِيزَةِ مَاضٍ غيرُ رِعْدِيدِ[٢٨٣]
أعْني الرَّسولَ، فإنَّ اللهَ فَضّلَهُ عَلَى البَرِيَّةِ بالتَّقوى وبالجودِ
ماضٍ عَلَى الهَوْل، رَكّابٌ لِمَا قَطَعُوا، إذا الكُمَاةُ تَحَامَوْا في الصَّنَادِيدِ
وَافٍ، وَمَاضٍ، شِهَابٌ يُستضاءُ بهِ، بدرٌ أنارَ عَلَى كُلِّ الأَمَاجِيدِ
مُبَارَكٌ، كَضِيَاءِ البَدْرِ صُورَتُهُ، مَا قَالَ كَانَ قَضَاءً غيْرَ مَرْدُودِ"[٢٨٤]

فالناظر إلى هذه الأبيات من المديح النبوي يجد أنها تزخر بالكلمات القتالية ولباس المجاهد البطل المِقدام في المعارك ودرعَه وسِلاحه، وتذكر النصر ولوازمه وتصف النبي محمد بأنه الشجاع الجَلِد وصاحب مِضاء العزيمة وصاحب دعوة الحق المؤيَّدة من الله وهو البدر الذي تستنير به الخلائق، والذَّات الإنسانيَّة المفَضَّلة على كل الخلق باصطفاء الله له برسالته ونبوته.

فهنا كان طور المدح طوراً تُمدَحُ فيه الذات الإنسانية إضافةً إلى شيءٍ آخر لم يكن في الطَّورِ الأوَّل وهو مدحها بالاختصاص الإلهيّ لها بالوحي والنَّصر والتَّأييد الرَّبَّانِيّ.

وهذا الطور من الشعر لقيَ عنايةً خاصَّة، حيثُ جُمِعَت نماذجٌ من قصائده التي نظمها الصحابة في كتاب مِنَح المِدَح[٢٨٥] عندما جاء فتح الدين محمد بن سيد الناس اليعمري (ت٧٣٤هـ) وجمع فيه ما ينوف على مئتي صحابي وصحابية مدحوا النبي محمد في أشعارهم.

---

[٢٨٣] قوله (الماذِيّ) أي الدّروع البيضاء، ويُقال أيضاً للسِّلاح كله من الحديد، يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "مذي"، ج١٥ ص٢٧٥؛ وقوله (النَّحِيزَة) هي طبيعة الرَّجل وتجمع على النَّحَائِز، يُنظَر: *المصدر السابق*، مادة "نحز"، ج٥ ص٤١٥؛ وقولُه (ماضٍ) إذا قيل للرجل ماضي العزيمة أي أنَّه مُجِدٌّ في أموره، يُنظَر: ابن دريد، أبو بكر بن محمد الأزدي، *جمهرة اللغة*، ج٢ ص٨١٧؛ وقوله (غير رِعدِيد) يعني غير جبان، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حمَّاد، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "رعد"، ج٢ ص٤٧٥

[٢٨٤] ابن ثابت، حسان، *ديوان حسان بن ثابت*، تح: عبده مهنَّا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م، قافية الدال، ص٥٥

[٢٨٥] ذكر ابن حجر هذا الكتاب باسم "شعراء الصحابة"، يُنظَر: العسقلاني، أحمد ابن حجر، *الإصابة في تمييز الصحابة*، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ج٤ ص١٥١

أمَّا **القسم الثالث** من الشعراء: نلاحظ أن المديح النبوي كان حاضراً أصلاً في شعرهم منذ العصور الأولى التي تلت القرن الهجري الأول على أقل تقدير.

ونستطيع أن نقول أنَّه منذ بداية العصر المملوكيّ كان المديح النبويّ قد تحول إلى ظاهرة فنية متميزة ، إضافة إلى ملاحظة دخول نقاط في المديح زادت على ما كانت عليه في العصور السابقة لهذا العصر، وبرزت الدواوين المستقلة التي خُصِّصَت لهذا الغرض مثل "أهنأ المنائح في أسنى المدائح" لشهاب الدين محمود بن فهد الحلبي(ت٧٢٥هـ)، و"المطالع الشمسية في المدائح النبوية" لشمس الدين النَّواجي(ت٨٥٩هـ)، ولمعت أسماء شعراء بالمديح النبوي لا غيره كشرف الدين محمد بن سعيد البوصيري، وفي الأندلس لسان الدِّين الخطيب(ت٧٧٦هـ) في نثره وشعره، والشَّاعر اليماني عبد الرحيم البرعي(ت٨٠٣هـ)، والإنتاج الشعري للحَدَّاد يقترب من الإنتاج الشِّعري للبُرَعِي وهذا ما ستشير إليه السُّطور القادمة.

وقد صارت القصائد النَّبويَّة تُكتَبُ مصحوبةً بالشَّكوى والتَّشفُّعِ إلى رسول الله وَ وَصفِ حال الأمَّة وما أَلَمَّ بها من المصائب والتَّشتُّت وتسلُّط الأعداء ولعلَّ هذا ما دفع الأديب عمر موسى باشا أن يحدد أسباب ازدهار المديح النبوي عندما تحدث عنه وقال: "فاضطرابُ الحياة السِّياسيَّة في معظم الأحيان بسبب النِّزاع بين السَّلاطين والأمراء وسوء الحياة الاجتماعيَّة في مختلفِ مظاهرها وتدهور الأوضاع الاقتصاديَّة لأسباب كثيرة وجثوم الخطر على البلاد من قِبَل الأعداء الطَّامعين في الشَّرق والغرب"[٢٨٠] كل ذلك أدّى أن يهرع الأدباء والشُّعراء إلى الله عَزَ وَجَلَّ ولرسوله الكريم بطلب الشَّفاعة.

وإذا أردنا –بعد استطلاع الأقسام الثلاثة من الشُّعراء– تحديد الطَّور الذي يندرِج تحته شعر الحَدَّاد في المدائح النبويَّة، فإنَّنا نستطيع القول إنَّ شعر الحَدَّاد يشمل كِلا الطَّورَينِ الأخيرَين في مدح الرَّسول الكريم فهو في شعره يراهُ الذَّات الإنسانيَّة المخصوصة بخصائصَ مُسبَلَةٍ عليها

[٢٨٠] باشا، عمر موسى، *الأدب في بلاد الشام*، المكتبة العباسية، دمشق، ط٢، ١٩٧٢م، ص ٤٠٨

من يد العناية الإلهية كالمعجزات الظاهرة وعلى رأسها القرآن، وكالتَّأييد بالملائكة وغيرها من الخصائص التي أولاها الله إيَّاه.

أمّا بالنسبة للعوامل التي دفعته للمديح النبوي فنجد تظافر كل العوامل التي ذكرها عمر موسى باشا، ويضاف إليها عامل آخر هو عامل شخصي بل وأساسي عند الحَدَّاد هو: ثبوت نسبه إلى آل البيت، فشعوره الدائم بحقيقة هذه النسبة كان حاضراً في غالب قصائده بأنه قريب إلى الرسول الكريم ومن قرابته وتأكيده على ذلك مرات عديدة ضمن قصائده كقوله:

"أَلا يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا قَرَابَةٌ وَذُرِّيَّةٌ جِئنَاكَ لِلشَّوق وَالحُبِّ"[٢٨٦]

وكقوله أيضاً:

"فإنَّ لِي نَسَبَاً فِيكُم وَلِي رَحِمَاً مِنكُم وَإِنْ كُنتُ ذَا ذَنبٍ وَذَا غَرَرِ"[٢٨٧]

وقوله في خاتمة إحدى قصائده:

"وَقَد تَحَقَّقْتُ أَنَّ الخَيْرَ أَجمَعَهُ ضِمْنَ اتِّبَاعِيْ لِجَدِّيْ المصْطَفَى الهَادِي

عَلَيهِ أَزْكَى صَلَاةِ اللهِ يَتْبَعُهَا مِنْهُ السَّلَامُ بِآزَالٍ وَآبَادِ"[٢٨٨]

فالحَدَّاد مُتأكِّد من صِلَتِه بالرسول الكريم، واثقٌ أشدَّ الثِّقة من نسبته الحسينيَّة إليه، ويؤكِّد ذلك بألفاظ (قرابة، رحم، جدِّي المصطفى الهادي) وقد أثرى هذا السَّبب قصائدَ الحَدَّاد بصدق العاطفة وجمال الأسلوب وتزيين المعاني مع عمقها وطرح التَّكلُّف فيها.

---

[٢٨٦] *الديوان*، قافية الباء، ص٣٧

[٢٨٧] *الديوان*، قافية الراء، ص٤٠٩

[٢٨٨] *الديوان*، قافية الدَّال، ص١٩٥

ويتَّخذ هذا الغرض في ديوان الحَدَّاد شكلين هما:

**الأوَّل**: قصائد كاملة نظمها أساساً من أولها إلى آخرها للغرض ذاته وهي ثلاث قصائد متقاربة الطول فتارةً نجد القصيدة تصل أبياتها إلى أربعين بيتاً (قافيتي الباء والراء)، وتارةً أخرى نجد القصيدة لا يتجاوز عدد أبياتها خمساً وعشرين بيتاً (قافية الفاء)

**الثاني**: مقطوعات أو أبيات في نفس الغرض لكنه قالها ضمن القصائد الكبرى (التائية والرائية) أو غيرها من القصائد الأخرى في الديوان والتي تعددت فيها الأغراض وتنوَّعَت وكان من بينها الغرض الذي نحن بصدده، وكانت أبياتاً تطول في موضع لتتعدى خمسين بيتاً كما نجد ذلك في (الرائية الكبرى) وقد تقصر في موضع آخر لتصل إلى عشرين بيتاً كما في (قافيتي التاء والراء)، وقد تتوسط بين القصر والطول فتصل إلى أربعين بيتاً كما في (قافية الراء).

أما فيما يتعلق بالشكل الأول من قصائده فيلاحظ فيه أنَّ الحَدَّاد قد بدأ بعضها بمقدمة جميلة الألفاظ رائقة المعاني، يُلمح من ورائها نار شوقه المتقدة وتلهفه لزيارة المدينة المنورة، وتكلفه المشاق وركوبه المخاطر وقطعه المفاوز مستلِّذاً ومُسْتَعذِباً مُرَّ التَّعب لما قد كَمَنَ في لُبِّهِ وَفؤاده من خَالِصِ حَالِي المحَبَّةِ وجمال الذوق وصِدقِ الشَّوق لتلك الدِّيار وساكنيها، فيقول:

"سَلَكْنَا الفَيَافِي[289] وَالقِفَارَ عَلَى النُّجْبِ تَجِدُّ بِنَا الأَشْواقُ لا حَادِيَ الرَّكْبِ
فَنَهْوِي عَلَيهَا بِالعَشِيَّةِ وَالَّذِي يَلَيها مِن اللَّيل البَهيمِ عَلى القُتْبِ[291]
يَلَذُّ لَنَا أَن لَا يَلَذُّ لَنَا الكَرَى لِمَا خَالَطَ الأَروَاحَ مِن خَالِصِ الحُبِّ
وَيَبرُدُ حَرٌّ بِالهَجِيرِ[290] تَمُدُّهُ سَمُومٌ إِذَا هَاجَت تُزَعْزِعُ لِلْكُثْبِ

[289] جمعٌ مفرده الفَيْفَاءُ وهي الصَّحراءُ المَلْسَاء، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "فيف"، ج٤ ص١٤١٣

[290] الهَجِيرُ والهاجرة: انتصاف النهار وشدة الحر فيها، يُنظَر: ابن دريد، *جمهرة اللغة*، مادة "هجر"، ج١ ص٤٦٨

[291] القَتَب والقِتْب هو إِكَافُ البعير ورَحْلُهُ، يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "قتب"، ج١ ص٦٦٠

وَمَا زَالَ هَذا دَأْبَنَا وَصَنِيعَنَا إِلى أَن أَنَخْنَا العِيْسَ[٢٩٢] بِالمَنْزِلِ الرَّحْبِ

نَزَلْنَا بِخَيرِ العَالَمِينَ مُحَمَّدٍ نَبِيّ الهُدَى بَحرِ النَّدى سَيِّد العُرْبِ"[٢٩٣]

ويجذِبُ النَّظَر في هذا المطلع استطاعة الحَدَّاد أن ينتقل بالسَّامع و يرجع به إلى ذاك الزَّمان البعيد وتلك الطَّريق الطَّويلة الشَّاقَّة بين بلدته الضَّاربة في عمق إقليم حضرموت وبين الدِّيار المقدسة بتصوير دقيق، حتى للصَّحَاري التي قطعوها وكثبانها ولفح حرِّ سَمُومها وهيلان الرمال على وجوههم وركائبهم، وكيف لم يثني عزمهم كل هذا وواصلوا سيرهم ليلاً ونهاراً يهيج بهم صدق شوقهم وتلهُّفهم لتلك الديار حتى فارق الكرى أجفانهم، ويستخدم لذلك حُسنَ التعليل فهو يقول: أنّى للنَّوم أن يسري في الأجفان وقد امتزجت محبة الرَّسول بأفئدتهم وسرائرهم وأرواحهم فصار التعب لا يجد إليهم أيَّ سبيل و ما له معنى عندهم لما مازجهم من خالص الحب ، ولم يزل حالهم على هذا حتى حطُّوا رحالهم في رحاب الرَّحمة المرسلة للعالمين ومسجده الشَّريف.

وبما أنَّنا لا زلنا نبحث في الشَّكل الأول من مدائح الحَدَّاد النبوية، فلا بدَّ من الإشارة إلى أنّ المقدِّمات الأخرى للقصائد التي نظمها في ذات الغرض قد خلت من أي تمهيد، ونجد أن الحَدَّاد بدأها مباشرة بالمديح النَّبويّ ولم يوطّئ لها، ومن ذلك ما استَهَلَّ به مطلع قصيدةٍ له التي ضَمَّنها الجناس (أمين، مأمون) والسَّجع (نَبيّ الهدى، بحر النَّدى)، مُطنِباً في مدح الرَّسول الكريم؛ إذ قال:

---

[٢٩٢] العِيسُ جمعٌ مُفرَده أَعيَس والعيساء للمؤنَّث ويُرادُ بِه الإبل البيض التي خالط بياضها شقرة، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "عيس"، ج٣ ص٩٥٤

[٢٩٣] الديوان، قافية الباء، ص٣٤

"بِنَفْسِيَ أَفْدِيْ خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الثَّرَى  نبيَّ الهُدَى بَحرَ النَّدَى سَيِّدَ الوَرَى
خِتَامَ النَّبِيّينَ الكِرَامِ جَمِيعِهِمْ  حَبِيبَ إِلهِ العَالَمِينَ بِلَا مِرَا
أَمِينٌ وَمَأمُونٌ عَلَى وَحْيِ رَبِّهِ  وَتنزِيلِهِ القرآنِ عِصْمَةِ مَن قَرَا"[٢٩٤]

وإذا كان قد بدأ في هذه القصيدة بتفدية رسول الهدى بروحه، فإنَّه في موضع آخر بدأ قصيدته بمخاطبة الرَّسول بأداة النِّداء وشرع على الفور بالثَّناء عليه ومدحه بأوصافه الكريمة وشمائله المنيفة وكأنَّه يُكلِّم شخصاً أمامَه فقال:

"يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا أَهلَ الوَفَا  يا عَظيمَ الخُلقِ يَا بَحرَ الصَّفَا"[٢٩٥]

ويتابع فيقول:

"أنتَ حَبلُ اللَّهِ مَن أَمسَكَهُ  فَازَ بِالخَيرِ وَبِالعَهدِ وَفَا
يَا رَسولَ اللَّهِ يا بحرَ النَّدَى  كُلُّ جُودٍ مِنْكُمُ قَد عُرِفَا"[٢٩٦]

ولعل السبب الكامن وراء هذا الدخول المباشر للشَّاعر في غرض المديح واستعمال أسلوب النِّداء وتتابع الخطاب المباشر للرسول الكريم، هو ما كان يختلج في صدر الشاعر من الهموم والأكدار التي يقاسيها في زمانه والمجتمع الَّذي عايشه في مُدَّةٍ من حياته. ويؤيد هذا القول ما تضمنته كلتا القصيدتين اللتين بُدِأَتا على هذا المنوال، فكلاهما احتوت أبياتاً تعكس بشكل واضح المعاناة التي عاناها الحَدَّاد في تلك الفترة التي نظمهما فيها من تَكُدِّر العيش وحلول القحط وعموم الجدب وغلاء الأسعار وبخل الأغنياء وعدم جودهم على

[٢٩٤] *الديوان*، قافية الرَّاء، ص٢٧٦
[٢٩٥] *الديوان*، قافية الفاء، ص٤٦٤
[٢٩٦] *الديوان*، قافية الفاء، ص٤٦٦

الفقراء وتسلّط الوُلاة الجائرين وظلمهم وفسادهم اللَّذين أَضَرَّا بالرَّعِيَّةِ، ومن جملتهم الحَدَّاد، وقد أكَّد الزركلي على معاناته من حكام تريم اليافعيّين الذين اضطهدوه وظلموه[٢٩٧]؛ يقول الحَدَّاد:

"فَسَلْهُ لَنَا وادْعُهْ لَنَا أَن يُغِيثَنَا وَيرحَمَنا إنَّ المَعَاشَ تَكَدَّرَا
بجَدْبٍ وَقَحْطٍ قَد تَمَادَى وَفِتنةٍ وجَورِ وُلَاةٍ أَلصَقَ الكُلَّ بِالعَرَا
فَسَلهُ تَعَالَى يُبدِلُ الجَدبَ وَالغَلَا بِخَصبٍ وَرُخصٍ فِي المَدَائِنِ وَالقُرَى
وَيُصلِحْ وُلَاةَ الأمرِ عِندَ فَسَادِهِمْ وَيوقِظُهُمْ لِلعَدْلِ مِن سِنَةِ الكَرَى
فيَا ربُّ يَا رَحمنُ شَفِّعْ نَبِيَّنَا رسولَكَ فِينَا وَاكفِ مَن جَارَ وَاجتَرَى"[٢٩٨]

فهو في البيتين الأخيرين يؤكِّد على فساد الحُكَّام ويشتكي إلى الله من جورِهِم وكأنَّهُم نائمون في غفلةٍ عن العدل والشفقة على الناس، ويطلب من الله أن يكفَّهُم عنه لأنَّهم جاروا على العِباد واجترؤوا على الله، مُستخدِماً الجناس الناقص(جار، اجترئ)

ويقول في قصيدته الأخرى، التي ابتدأها بأسلوب النداء، مصوِّراً أنَّ الناس صاروا على شَفَا جُرفِ الهلاك من القحط لا سيما وقد قبض الأغنياء ما عندهم ولم ينفقوا على الفقراء فاستعار لهذه السنين فعل الطحن على سبيل الاستعارة المكنية فقال:

"طَحَنَتْهُمْ سَنَوَاتٌ عُجُفٌ صارَ فِيهَا الكُلُّ مِنهُم لِشَفَا
وَ ذَوُوُ الأَموَالِ مِنهُم وَالغِنَى بَخِلُوا بُخلاً قَبِيحَاً مُتلِفَا
لَم يَدَعْهُمْ بُخلُهُمْ أَنْ يُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُعطِي الخَلَفَا"[٢٩٩]

أمَّا ما يتعلق بالمحاور التي دار في فلكها الحَدَّاد خلال مديحه للنبي الكريم فيمكننا تقسيمها إلى ثلاثة محاور:

---

[٢٩٧] يُنظَر: الزركلي، خير الدين، *الأعلام*، ج٤ ص١٠٤

[٢٩٨] *الديوان*، قافية الراء، ص٢٧٨

[٢٩٩] *الديوان*، قافية الفاء، ص٤٦٧

١) محور مدح الشَّمائل النَّبويَّة سواء الخَلْقيَّة أم الخُلُقيَّة وعباداته وعاداته

٢) محور مدح جهاده للكافرين ورفعه لرايات التَّوحيد ونشرها

٣) محور ذكر معجزاته الخارقة وآياته وخصائصه التي خَصَّه الله بها

وستتناول المباحث التَّالية كلَّ محورٍ على حِدَة.

## محور مدح الشمائل النبوية

يظهر لنا من خلال شعره في المديح النبويّ، مدحَه للشَّمائل النبويَّة والإشارة إلى الرَّسول بأنّه الشَّخص الذي وصل إلى أعلى مرتبة من مراتب الكمال الإنسانيّ وأعظمها ولا مجال لمخلوق أن يصل إلى مرتبته هذه بعد أن أثنى عليه خالقه العظيم، وهو الرَّسول العظيم الكريم فكلُّ مَن قَصَد كَرَمَ يده فقد انكشفت فاقته وكروبه فيقول:

"وَأَخلَاقُهُ مَحمُودَةٌ وَصِفَاتُهُ وَأَعدَاؤُهُ مَقْهُورَةٌ بِالدَّوَائِرِ"[٣٠٠]

ويقول أيضاً:

"كَرِيمٌ حَلِيمٌ شَأنُهُ الجُودُ وَالوَفَا يُرَجَّى لِكَشفِ البُؤسِ وَالضُّرِّ وَالكَربِ
رَحِيمٌ بَرَاهُ اللَّهُ للخَلْقِ رَحمَةً وَأَرسَلَهُ دَاعٍ إِلَى الفَوزِ وَالقُربِ
نَبِيٌّ عَظِيمٌ خُلْقُهُ الخُلُقُ الَّذِي لَهُ عَظَّمَ الرَّحمَنُ في سَيِّدِ الكُتْبِ"[٣٠١]

وفي هذه الأبيات أتى بالإطناب (كشف/البؤس، الضر، الكرب) لتأكيد المعنى الذي استقرَّ بنفسه ولتوكيده لدى السامع، كما جاء باقتباس من القرآن الكريم من قوله تعالى: (**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**) الأنبياء: ١٠٧، واستخدم بعد هذا الاقتباس التفريع حيثُ عطَف على مدحه للرسول بالرحمة حُكماً آخرَ يُشعِر بالتعقيب وهو أنَّ الرسول الكريم داعية الفوز والتقريب،

---

[٣٠٠] *الديوان*، قافية الراء، ص٣٢١

[٣٠١] *الديوان*، قافية الباء، ص٣٥ و٣٦

واقتبس مدحه للرسول بالعظمة والخلق العظيم من قوله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) القلم: ٤، وتجدر الإشارة إلى أنَّ البيت الأخير من هذه الأبيات لشدة روعته وجماله وصدق معناه جعلت السلطان العثماني يأمر بنقش هذا البيت في أعلى جدار المواجهة النبوية الشريفة ولا يزال حاضراً مُشَاهَدَاً إلى يومنا هذا.[٣٠٢]

ويمدح وجه الرسول فهو أبيض مبارك ميمون الطلعة ونَفسُه مُطَهَّرَة مُبَارَكَة وَأَخلَاقُه زَاكِيَة ولا مثيل له في كل العوالم؛ فهو الَّذي جاء بدين الإسلام الناسِخ لجميع الأديان، فيقول:

"وأظهرَ اللهُ دينَ الحَقِّ وَانطَمَسَـــتْ  في نورِهِ سائِرُ الأَدْيَانِ فَادَّكِرِ
بِوَجْهِ أبيَضَ مَيمُونِ النَّقِيبَةِ مَحْـ  ـمُودِ الشَّمَائِلِ وَالأَفعَالِ وَالأَثَرِ
مُهَذَّبٍ هَاشِمِيٍّ لَا نَظِيرَ لَهُ  فِي العَالَمِينَ بِلَا شَكٍّ وَلَا نُكُرِ"[٣٠٣]

وإذا ما نظرنا بِدِقَّة في البيتين الأخيرَين نجد اقتراب ألفاظه ومعانيه من بيتي الشاعر اليماني عبد الرحيم البُرَعِيّ وهو القائل في قصيدةٍ له:

"نَبِيٌّ تَقِيٌّ أَرِيحِيٌّ[٣٠٤] مُهَذَّبٌ  بَشِيرٌ لِكُلِّ العَالَمِينَ نَذِيرُ
عُدِمنَا عَلى الدُّنيَا وُجُودَ نَظِيرِهِ  لَقَد قَلَّ مَوجُودٌ وَعَزَّ نَظِيرُ"[٣٠٥]

فالحَدَّاد والبُرَعي كلاهما أكّدا على عدم وجود نظير لهذا النبي الكريم في العالمين، ومدحا أخلاقه الزكية، وقد استُخدِم في هذين البيتين نفس الألفاظ (مهذب، العالمين، نظير)، إلَّا أن الحَدَّاد زاد بمدح النبي أنه صاحب النفس المباركة (مأمون النقيبة) والبُرَعِي مَدَحَهُ بِصَفَةِ البَشِيرِ النَّذِير.

---

[٣٠٢] يُنظَر المُلحَق، ص١١٤

[٣٠٣] *الديوان*، قافية الراء، ص٤٠٣

[٣٠٤] رجلٌ أَريحي: هو المهتَزُّ لِلنَّدَى وَالمعروف والعطيَّة الواسع الخلق، يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "روح"، ج٢ ص٤٦٠

[٣٠٤] البرعي، عبد الرحيم، *ديوان البرعي*، تح: عبد الرحمن محمد، المطبعة البهية المصرية، مصر، ١٣٥٧هـ، قافية الراء، ص١٣٢

وقد مَدَحَ الحَدَّاد النبيَّ محمدَاً في عباداته الخالصة لربه، ومدح زهدَه بالدنيا الدَّنِيَّة وصبرَه عَلَى الجوع وشَظَفِ العيش خلال حياته في الدَّعوة إلى الإسلام، حتى أنّه ربط على بطنه الحجر من الجوع، مع مقدرته أن يعيش في أعلى درجات الرَّفاه في الدنيا، ثمَّ يُعَرّجُ على كَرَمِهِ الدَّفَّاق والذي فَاقَ الحَيَا الهَطَّال والدِّيمَةَ المِدرَار مستَعيناً بالتَّشبيه المُرسَل المُفَصَّل (بكفٍّ نداها كالسَّحاب)، مضمّناً أبياته الجناس (محمد، المحمود، حمد) وطِّباق الإيجاب (الأرض، السَّمَا) والاستعارة المكنيَّة (فسل ورم الأقدام) والكناية عن تَقَلُّلِ الرَّسول من دُنياه وتعبيره عنه بزاد المسافر فيقول:

"محمدٌ المحمُودُ في الأَرضِ وَالسَّمَا  بِأَوصَافِ حَمدٍ طَيِّبٍ مُتكَاثِرِ
هُوَ القَائِمُ السَّجَّادُ فِي غَسَقِ الدُّجَى  فَسَل وَرَمَ الأَقدَامِ عَن خَبِرِ صَابِرِ
هُوَ الزَّاهِدُ المُلقِيْ لدُنيَاهُ خَلفَهُ  هُوَ المُجتَزي[٣٠٦] مِنهَا بِزَادِ المُسَافِرِ
وَبَاذِلُهَا جُودَاً بِهَا وَسَمَاحَةً  بِكَفٍّ نَدَاهَا كَالسَّحَابِ المَوَاطِرِ
ومِن سَغَبٍ شَدَّ الحِجَارَةَ طَاوياً  لِأَحشَائِه أَلطَّيِّبَاتِ الضَّوَامِرِ"[٣٠٧]

ونلحظُ أَنَّ الحَدَّاد يكرّرُ مدح كرم الرسول وسخاءه ويصفه بأنه بحر الندى الزاخر بعطاءه وإنفاقه ويكرر هذا اللفظ في غير ما موضع مثل قوله:

"نَزَلْنَا بِخَيرِ العَالَمِينَ مُحَمَّدٍ  نَبِيّ الهُدَى بَحرِ النَّدَى سَيِّدِ العُرْبِ"[٣٠٨]

ويقول أيضاً:

"المُجتَبَى المُنتَقَى مِن هَاشِمٍ  بَحرِ النَّدَى وَالفَضلِ وَالإِيثَارِ"[٣٠٩]

---

[٣٠٦] تخفيف لاسم الفاعل: المجتزئ، وهو هنا بمعنى المكتفي.

[٣٠٧] *الديوان*، قافية الراء، ص٣١٧؛ وقولُهُ(الضوامِر) من الضُّمْرُ والضَّمُرُ هو الهزال وقلَّة اللَّحم، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "ضمر"، ج٢ ص٧٢٢

[٣٠٨] *الديوان*، قافية الباء، ص٣٥

[٣٠٩] *الديوان*، قافية الراء، ص٣٤٠

وفي قصيدة أخرى:

"نَبِيَّ الهُدَى بَحرَ النَّدَى مُجلِيَ الصَّدَا  مُبِيدِ العِدَا مِن كُلِّ غَاوٍ وَغَادِرِ"[٣١٠]

وفي أبياته هذه ووَصفِه للرَّسول بالبحر تشبيه بليغٌ إذ حُذِفَ منه وجه الشبه (الكرم)، كما أنَّه استَخدم التَّسجيع (بحر النَّدى، مُجلِي الصَّدا، نبيّ الهدى)؛ وقد دارت أبياته بشكل عام في هذا المحور على مدح شمائل الكرم والجود والسخاء والوفاء وطلاقة الوجه وكثرة العبادة والإيثار والسَّماحة والزُّهد بالدنيا، وهي شمائلُ لم يكُن للرَّسول الكريم نظيرٌ له في التَّحلي بها.

## محور مدح الجهاد النَّبويّ

مدح الحَدَّاد جهاد النبي وقتاله مع الكفار الذين رفضوا دعوته فقوم مُعوَجَّهُم وعدَّل مائلهم وأخضعهم كلهم تحت رايته راية التوحيد، ولا غرو في ذلك فهو المؤيد بالنصر والرعب مسيرة شهر، حيث يقول الرَّسول الكريم: "وَأُعْطِيتُ الرُّعْبَ مَسِيرَةَ شَهْرٍ يَكُونُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ مَسِيرَةُ شَهْرٍ، فَيَقْذِفُ اللهُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ "[٣١١].

وأمّدَه الله بالملائكة تقاتل معه كما حدث ذلك في غزوة بدر الكبرى، والرسول الكريم هو المجاهد الحقيقي الذي خلصت نيته في جهاده ولم يشغله جهاده عن اجتهاداته وعباداته آناء الليل والنهار، فدانت له الأعداء في بلاد العرب والعجم، يقول مُستعمِلاً الجِناس(مجاهد، مجتهد) والطباق(الآصال، البُكَر):

"مُجَاهِدٍ في سَبيلِ اللهِ مُجتَهِدٍ  في طَاعَةِ اللهِ في الآصَالِ والبُكَرِ
ذلَّت لوَطأتِهِ غُلْبُ الرِّقابِ مِنَ الـ  أَعرَاب والعُجْمِ مِن خوفٍ ومن حَذَرِ"[٣١٢]

---

[٣١٠] *الديوان*، قافية الراء، ص٣١٥

[٣١١] البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، *السُّنن الكبرى*، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٣م، ج٢ ص٦٠٧

[٣١٢] *الديوان*، قافية الراء، ص٤٠٤

وضمَّ إلى المحَسِّنات البديعيَّة استعمالَهُ لأسلوب التقديم والتأخير، فقدَّم شبه الجملة (لوطأته) على الفاعل غُلْبُ الرِّقَابِ، ولعله أتى به على هذا الشكل ليؤكد غلبة الرسول الكريم وعزته التي ذلت لها الرقاب وهو معنى تقدم في نفس الشاعر وأراد له أن يكون مقدماً في نفس السامع فقدم لفظه حتى في كلامه، ولهذا يقول الجرجاني: "فإذا وجبَ المعنى أن يكون أوَّلاً في النفس، وجبَ للفظ الدّال عليه أن يكون مثله أولاً في النُّطق"[٣١٣]، وفي قوله (غُلْبُ الرِّقَابِ) أسلوبُ احتراز، كي لا يتبادر إلى الذِّهن أنها رقاب عاديَّة بل هي أعزُّ رقاب أعدائه وأقواها وأمنعها جاءت إليه ذليلة أمام عزَّته وغلَبَتِه ونصره.

ويقول في موضعٍ آخر، مكَرِّراً ذكر تأييد جيش النَّبيّ بالملائكة:

"وأنكرَ أَقْوَامٌ وَصَدُّوْا وَأَعْرَضُوا فقَوَّمَهُم بالمُرْهَفَاتِ البَواترِ
وَسَارَ إِلَيهِمْ بِالجُيُوشِ وَبَعْضُهُمْ مَلَائِكَةٌ أَكرِم بِهِم مِن مُؤَازِرِ[٣١٤]
وَأدخَلَهُم في الدِّينِ قَهرَاً وَعُنوَةً بِحَدِّ المَوَاضِي والرِّمَاحِ الشَّوَاجرِ
لِسَطْوَتِهِ تَخْشَى الُملُوكُ وَتَتَّقِي وَمِنْ بَأسِهِ خَافَتْ كُمَاةُ العَشَائِرِ "[٣١٥]

ويتابع مادحاً رايات الرسول رايات التوحيد والإسلام التي أمدّها الله بالنصر والظفر على كل مُنَاوِئِيهَا، ويذكر ريح الصبا التي أيَّد الله نبيَّه بها فكان الرعب يتسَلَّلُ إلى قلوب أعدائه على بعد المسافات بينهم وبينه، يقول الحَدَّاد:

---

[٣١٣] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، *دلائل الإعجاز*، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م، ص٤

[٣١٤] الأزر القوة، قال تعالى على لسان موسى: "**هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي**" وآزر فلانٌ فلاناً أي عاونه، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "أزر"، ج٢ ص٥٧٨

[٣١٥] *الديوان*، قافية الراء، ص٣١٩؛ وقوله (الشَّواجِر): صفة الرماح القوية الطاعنة، شَجَرَه بالرمح أي طعنه، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "شجر"، ج٢ ص٦٩٤

"تَسيرُ الصَّبَا وَالرُّعبُ شَهْرَاً بِنَصْرِهِ تُزَلزِلُهُم مِن قَبْلِ غَازٍ وَغَائِرِ
فَرَايَاتُهُ مَعقُودَةٌ وَجُنُودُهُ مُؤَيَّدَةٌ بِالنَّصرِ مِنْ خَيرِ نَاصِرِ"[٣١٦]

وفي ذكره لاسم (الصَّبَا) إشارةٌ إلى الحديث الشريف وهو قول الرسول الكريم: "نُصِرْتُ بِالصَّبَا، وَأُهْلِكَتْ عَادُ بِالدَّبُورِ"[٣١٧]، وقوله في الحديث الآخر: "نُصِرتُ بِالرُّعبِ مَسيرَة شَهرٍ"[٣١٨].

وإذا كان هذا المحور يتعلَّق بجهاد الرَّسول وشجاعته، فلا بِدع أن ينطوي ضمنه مدح الصَّحابة الكرام الَّذين آزروه في جهاده وخاضوا معه معاركه وأثبتوا فيها بسالتهم واستبسالهم[٣١٩] وإقدامهم وشِدَّة بأسهم، سواء المهاجرين منهم أم الأنصار فهم أئمَّة الدين ولولاهم لما قامت للتَّوحيد قائمة، يقول:

"لمَّا دَعَاهُم إلى الإِسلَامِ فامتَنَعُوا كُفرَاً وَبَغيَاً دَعَاهُم بِالقَنَا السُّمُرِ
وبالسُّيوفِ المَوَاضِي البِيضِ يَحمِلُهَا مُهَاجِرونَ وَأنصَارٌ مِن الغُرَرِ
أئِمَّةُ الدِّينِ أصحابُ السَّوَابِقِ في الـ إِسْلامِ وَالقَدَمِ المَشكُورِ وَالأَثَرِ"[٣٢٠]

وقد استخدم الحَدَّاد الكناية عن الحرب بقوله (دعاهم بالقَنَا وبالسُّيوف)، ثمَّ عطفَ على ذلك مدح صحابة الرَّسُول؛ وبعد هذا كُلِّه يُرى أنَّ محوَر المديح هذا قام على مدح جهاد الرَّسول وشجاعته وقوَّته وتأييد الله له بالملائكة تارةً وبالرُّعب تارةً أُخرى فكانت جيوشه تُزَلزِلُ الأعداء وتُقَوِّم مُعوَجَّهم وتُعدِّلُ مائِلَهُم.

---

[٣١٦] *الديوان*، قافية الراء، ص٣٢٠

[٣١٧] الفارسي، علاء الدين بن علي، *الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان*، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ج ١٤ ص ٣٣١

[٣١٨] *المصدر السابق*، ج١٤ ص٣٠٨

[٣١٩] استبسل فلان أقدم على الحرب مُوَطِّناً نَفسَهُ على الهَلَكَة والموت، مجموعة مؤلفين، *المعجم الوسيط*، مادة "استبسل"، ج١ ص٥٧

[٣٢٠] *الديوان*، قافية الراء، ص٤٠٥

## محور مدح المعجزات

ومن المحاور التي نظم فيها الحَدَّاد مدائحَهُ النبويَّة، محور المدح للمعجزات الخارقة والآيات الباهرة، والخصائص التي امتنّ الله على رسوله بها، وإنَّ أولها وأرفعها قدراً القرآن الكريم المحفوظ بموجب النص القرآني إلى آخر أيّام الدنيا، يقول الحَدَّاد في ذكر المعجزات:

"وَأَيَّدَهُ بِالْوَحْيِ وَالنَّصْرِ وَالصَّبَا وَأَمْلاَكِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَبالرُّعْبِ
وَبِالمُعجِزاتِ الظَّاهِرَاتِ الَّتِي نَمَتْ عَلَى القَطرِ عَدَّاً بَعدَمَا كَلَّ[٣٢١] مَن نُبِّي
وَآتاه قُرْآناً بِهِ أَعجَزَ الوَرَى جَميعاً عَلى التَّأبِيدِ يا لَكَ مِن غَلْبِ"[٣٢٢]

فمدح الرَّسول بالمعجزات التي أيّدَه الله بها وهي كثيرة، ثم ذكر منها القرآن الكريم وهو من باب ذكر الخاص بعد العام للدِّلالة على عظيم شأنه وجليل قدره، وقد تعرَّض لذكر القرآن الكريم في معرض مدحه للنَّبي وذكر معجزاته أكثرَ من مرَّة وأشار إلى شرف الرَّسول الكريم بأن أقسم الله بعمره في كتابه العزيز إذ قال (**لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ**) الحجر:٧٢ فقال الحدَّاد مُعَظِّماً لهذا القَسَم:

"ودعوتُه عَمَّ الإِلَهُ بِحُكمِهَا جَميعَ البَرَايَا مِنْ قَدِيمٍ وَآخِرِ
وَمُعْجِزَةُ القُرآنِ في عُظْمِ شَأنِهَا مُؤَبَّدةٌ حَتَّى قِيَامِ المَحَاشِرِ
وَأَقْسَمَ رَبُّ العَالَمِينَ بِعُمرِهِ فأعظِم بِهَا مِن مَالِكِ المُلْكِ قَادِرِ"[٣٢٣]

وهو يشير في هذه الأبيات إلى خصوصيَّة أخرى هي من خصائصه عليه السلام، وهي عالميَّة دعوته وشمولها جميعَ الخَلق وقد كان الأنبياء يُرسَلون إلى قبيلتهم أو قريتهم خاصَّة، وفي هذا

---

[٣٢١] كَلَّ فلانٌ من الشيء إذا أعيى وتَعِب، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر ، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "كلل"، ج٥ ص١٨١١

[٣٢٢] *الديوان*، قافية الباء، ص٣٧

[٣٢٣] *الديوان*، قافية الراء، ص٣٢١

البيت اقتباس من الحديث الشَّريف: "وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً"[٣٢٤].

وكما أن من خصوصيات الرسول عالمية رسالته ودعوته دعوة التوحيد وكان رأس أمرها وعموده القرآن الكريم، فإن من خصوصياته التي مدحه بها فضله على المؤمنين أجمع إلى قيام الساعة، ولا ريب فقد دعاهم إلى الإسلام وأنقذهم من مَهَاوِ الشِّرك وأخرجَهُم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ونقلهم من مُستَنقَعَات الخبائِثِ وَرِجْزِهَا إلى سَاحَاتِ الطُّهْر والنَّقاء فيقول:

"فحمداً لربٍّ خَصَّنا بمحمَّدٍ وَأَخرَجَنَا من ظُلمَةٍ وَدَيَاجِرِ[٣٢٥]
إلى نورِ إسلامٍ وعلمٍ وحِكمَةٍ ويُمنٍ وإيمانٍ وخَيرِ الأَوَامِرِ
وَطَهَّرَنا مِن رِجزِ كُفرٍ وَخُبثِه وشركٍ وظلمٍ واقتحامِ الكبائرِ"[٣٢٦]

وإذا كان هذا المحور مدح فيه الحَدَّاد معجزات الرسول الكريم فيمكننا القول إن معجزة الإسراء والمعراج قد حَظِيَت منه بالنصيب الأَوفَى أثناء المديح النبوي، كما قد نالت –سابقاً– هذه المعجزة اهتماماً كبيراً من أرباب هذا الفن –فن المديح النبوي–، حتى أنَّ البوصيري صاحب قصيدة البردة[٣٢٧] عقد لها فصلاً خاصَّاً في قصيدته.

وربما يرجع اهتمام الشعراء بمعجزة الإسراء والمعراج، كما يرى ابن حجر الهيتمي(ت٩٧٣هـ) في شرحه لهمزيَّة البوصيري[٣٢٨] إلى أنَّ: "قصة الإسراء والمعراج من أشهر المعجزات وأظهر البراهين والبينات وأقوى الحجج وأصدق الأنباء وأعظم الآيات، ومن ثم قال بعض المفسرين إنَّها أفضل من ليلة القدر لكن بالنسبة للنبي صلى الله عليه وسلم لأنَّه أوتي فيها

---

[٣٢٤] البخاري، محمد بن إسماعيل، *الجامع الصحيح*، ج١ ص٧٤

[٣٢٥] الدَّيْجُورُ هو الظَّلام، وليلةٌ دَيْجُور أي مُظلِمَة، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "دجر"، ج٢ ص٦٥٥

[٣٢٦] *الديوان*، قافية الراء، ص٣١٨

[٣٢٧] من أشهر قصائد المديح النبوي أسماها البوصيري: "الكواكب الدريَّة في مدح خير البرية" تنوف على مئةٍ وستين بيتاً.

[٣٢٨] هي القصيدة التي مطلعها: كَيفَ تَرقَى رُقيَّكَ الأَنبيَاءُ يَا سَمَاءً مَا طَاوَلَتهَا سَمَاءُ

ما لا يحيط به الحد"[٣٢٩]، ويؤيّد كلام ابن حجر ما ذكره قبله أبو العباس ابن تيمية(ت٧٢٨هـ) في إحدى فتاواه مُؤَكِّدَاً أفضلِيَّة ليلة الإسراء على ليلة القدر بالنسبة للرَّسول الكريم[٣٣٠].

والشَّاعر تحدّث عن هذه الحادثة العظيمة، ذاكراً خصوصيةَ مَنَاجَاةِ الرَّسولِ لربه وَقُربِهِ منه إلى أن كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى له مولاه ما أوحى من أسرارٍ وعلوم ولطائف، ازدادَ بها رُقيَّاً على رقِيّه، وعَلَا بها عُلُوَّاً على عُلُوّه إلى أعلى معالي الرُّتَب والفضائل والمناقب الرفيعة، حيث شاهد عياناً النار والجنة والملائكة فتَمَكَّنَ اليَقِينُ مِن قَلبِهِ وَصَارَ ذلك عوناً له في تبليغه رسالات ربه؛ يقول الحَدَّاد:

"قَدْ خَصَّهُ الرَّبُّ الكَرِيمُ بِقُربِهِ وَرِضَاهُ وَالغُفرَانِ وَالأَسرَارِ
وبليلةِ المِعرَاجِ لَمَّا أَنْ رَقَى أعلَى الذُّرَى في حَضرَةِ القَهَّارِ
وَمَرَاتِبٍ وَمَنَاقِبٍ وَفَضَائِلٍ وَوَسَائِلٍ مَرفُوعَةِ المِقْدَارِ"[٣٣١]

وقد حرصَ الحَدَّاد على تنوين كلٍّ من (مراتب، مناقب، فضائل، وسائل) ونَكَّرَهَا ليدلَّ على الزيادة في شرفها وعِظمِ قدرها من خصائصَ أكرمَ الله بها نبيَّه.

وأتى الحَدَّاد في موضع آخر من قصيدة أخرى؛ بالاقتباس من الآيات القرآنية التي وصفت حادثة الإسراء والمعراج وهي (**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى*فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى* فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى**) النجم: ٨ فقال:

"وكانَ بِهِ الإِسرَاءُ مِن خيرِ مَسجدٍ إلى المسجِدِ الأَقصَى إلى أَوجِ ذِرْوَةِ
من المُستَوَى والقَابِ قَوسَيْنِ قُرْبُهُ منَ اللَّهِ أَو أَدنَى وَخُصَّ برؤيَةِ
وَأوحَى الَّذِي أَوحَى إِلَيهِ إِلَهُهُ عُلُومَاً وَأَسرَارَاً وكَمْ مِنْ لَطِيفَةِ

---

[٣٢٩] الهيتمي، أحمد ابن حجر، *شرح متن القصيدة الهمزية للبوصيري*، المطبعة الخيرية، مصر، ط١، ١٣٠٧هـ، ص٧٩

[٣٣٠] يُنظَر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، *مجموع الفتاوى الكبرى*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، ج٢ ص٤٧٧

[٣٣١] *الديوان*، قافية الراء، ص٣٤٠

وشَاهَدَ جَنَّاتٍ وَنَاراً وَبَرْزَخاً وَأَحوَالَ أَملَاكٍ وَأَهْلَ النُّبُوَّةِ
وَصَلَّى وَصَلَّوا خَلفَهُ فإِذَا هُوَ الـــْـــ مُقَدَّمُ وهوَ الرَّأسُ لَاهْلِ الرِّيَاسَةِ"[٣٣٢]

ويرى الحَدَّاد أنَّه إذا كان الرَّسول قد رقى إلى أوج العُلَا إلى السَّمَاوات السَّبع ونال كلَّ هذا القرب والتَّقريب والمشاهدة واليقين فلا شكَّ عنده أنَّ الرَّسول هو المقدَّم في كل مكان من أمكنة القرب والعطاء الإلهيّ والكمال الإنسانيّ، ويؤكِّد هذا المعنى في كل مدائحه في النبيّ محمَّد مُستَوحِياً ذلك كلَّه من حادثة الإسراء والمعراج فيقول:

"وَأسرَى بِهِ الرَّبُّ العَظِيمُ إِلَى العُلَا فسُبحَانَ مَن أَسرَى وَبُورِكَ مِن سَرَى
إِمامٌ لَهُ التَّقدِيمُ فِي كُلِّ حَضرَةٍ مُعَظَّمَةٍ مَرفُوعَةِ القَدْرِ وَالذُّرَى"[٣٣٣]

ويكرِّر مدح الرَّسول بالتَّقديم في كل مراتب الكمال الإنسانيّ والإيمان اليقينيّ وأنَّه به خُتِمَت الرِّسَالات السَّماوية، وأرسله الله رحمة للعالمين فيقول في قصيدةٍ أخرى:

"وقد جَمَعَ الأَسْرَارَ والأَمرَ كلَّهُ محمَّدٌ المبعوثُ للخَلقِ رَحمةِ
وإنَّ رَسولَ اللهِ مِن غَيرِ رِيبَةٍ إِمَامٌ عَلَى الإِطلَاقِ في كُلِّ حَضرَةِ
وَجِيهٌ لَدَى الرَّحمَنِ فِي كُلِّ مَوْطنٍ وَصَدْرُ صُدُورِ العَارِفِينَ الأَئِمةِ"[٣٣٤]

وبعد أن عرفنا في ما مرَّ ذكرُهُ، أهمَّ المحاور التي دار الحَدَّاد حولها في صلب مدائحه النبوية، واتَّضح لنا أيضاً كيفَ قام بالتَّوطئة لبعضها بالمقدِّمات اللَّطيفة وترك ذلك في بعضها الآخر، كان لا بُدَّ من أن نُعَرِّجَ على ما يتعلَّق بحسن التَّخلُّص والخواتيم التي ختم بها هذه المدائح النبويَّة.

---

[٣٣٢] *الديوان*، قافية التاء، ص١٠٨

[٣٣٣] *الديوان*، قافية الراء، ص٢٧٦

[٣٣٤] *الديوان*، قافية التاء، ص١٠٧

فنلاحظ أنَّ الحَدَّاد في بعض قصائده قد وفّق في حسن التخلص، والانتقال من غرضٍ إلى آخر، فمن الأمثلة التي تدلُّ على براعة انتقاله من الوصف إلى المديح النَّبوي قوله:

"وَما زالَ هَذا دَأبَنَا وَصَنيعَنا إلى أَنْ أَنَخْنَا العِيسَ بِالمنزل الرَحْبِ
نَزَلنا بِخَير العَالَمِينَ مُحَمَّدٍ نَبيّ الهُدى بَحرِ النَّدى سَيّد العُرْبِ
رَسولٌ أَمينٌ هَاشِمِيٌّ مُعَظَّمٌ وَسَيدُ مَن يَأتي وَمَن مَرَّ في الحُقْبِ"[٣٣٥]

فقد انتقل الحَدَّاد من وصف رحلتهم إلى الديار المقدسة في مقدمة القصيدة إلى الغرض الأساسي منها وهو مدح الرسول الكريم ثم شرع في مدحه إلى انتهت الأبيات.

ولم يقتصر حسن تخلصه وبراعته على مقدمات مدائحه، بل نجد الحَدَّاد قد نظم قصيدة في رثاء أحد الفضلاء، ومن الرثاء انتقل بكل سلاسة إلى المديح النبوي معلِّلاً قلبه الكئيب أن الدواء يكمن في مدح الرسول ذو المقام والجاه الواسع وهو المصطفى الهادي إلى الدين القويم، يقول:

"يا قلبُ لَا تَجزَع وكُنْ مُتَصَبّرَاً مُتَوَقّرَاً في كُلِّ خَطْبٍ طَارِي
وَإِذَا الحَوَادِثُ أظلَمَتْ وَتَنَكَّرَت فَافْزَع إِلَى جَاهِ النَّبِي المُختَارِ
المُصطَفَى الهَادِي الأَنَامَ إِلى الهُدَى زينِ الوُجُودِ وَخِيرَةِ الأَخْيَارِ"[٣٣٦]

والمُلَاحَظ أنَّ الجمل الدُّعَائيَّة تكاد تسود أغلبَ خَواتِيم قصائد المديح النَّبويّ عند الحَدَّاد، حيث يوجّه الدُّعاء فيها للرَّسول صلَّى الله عليه وسلم أو للرسول وأصحابه وآل بيته، ومن الشَّواهد الجيّدة التي تدل على حسن الختام قوله:

---

[٣٣٥] *الديوان*، قافية الباء، ص٣٤، وقوله (الحقب) الحِقْبَة هي الدَّهر أو المدة الطويلة من الزمان، يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "حقب"، ج١ ص٣٢٤

[٣٣٦] *الديوان*، قافية الراء، ص٣٣٩

"وصلاةُ اللهِ تَغشَى أحمداً مَن لِنَارِ الشِّركِ وَالكُفرِ طَفَا[٣٣٧]

وسلامُ اللهِ مَعْ بَرَكَاتِه وَعَلَى الآلِ الكِرَامِ الشُّرَفَا

وَعَلَى الأَصحَابِ مَعْ أَتبَاعِهِم دَائمَاً مَا بَرْقُ نَجْدٍ رَفرَفَا

وَسَرَى مِنهَا نَسِيمٌ طَيِّبٌ لِعَلِيلِ القَلبِ أَبرَأ وَشَفَا"[٣٣٨]

ومن المُلَاحَظِ أيضاً أنَّ الحَدَّاد في مدائحه النَّبويَّة لم يسرف في الصِّناعة البلاغيَّة كثيراً، رغم أنَّه لم يتركها جملةً فالاقتباس من القرآن الكريم أو الحديث الشَّريف يكاد أن يكونَ حاضراً في أغلب الأبيات، كذلك الاستعارات والمحسِّنات البديعيَّة معنويَّةً كانت أو لفظيَّة[٣٣٩].

[٣٣٧] مطاوع أفعل، بمعنى أطفأ.

[٣٣٨] *الديوان*، قافية الفاء، ص٤٧٠

[٣٣٩] ومن الأمثلة الأخرى على غرض المديح النبوي، *الديوان*، قافية الراء، ص٣٢٢، وص٣١٣.

## غرض الغزل

الغَزَلُ **لغةً**: قال ابن سِيده: هو"تَحْدِيث الفِتْيان الجَوارِيَ"[٣٤٠] ، وقولهم غَزِلَ الرَّجلُ يَغزَلُ غَزَلاً، أي أنَّهُ شُغِفَ بِمُحادَثَةِ النِّساء، أو أنَّهُ لَهَا مَعَهُنَّ، ومُغازَلَةُ النِّساء مُحادَثَتُهُنَّ ومُرَاوَدَتُهُنَّ[٣٤١] ومُفاكَهَتُهُنَّ[٣٤٢]، ولو قيلَ للرَّجل غَزِلٌ فهذا يعني أنَّهُ صاحِبُ غَزَل[٣٤٣]، وإذا قيلَ تَغزَّلَ الرَّجل فالمعنى تَكَلَّفَ الغَزَل[٣٤٤] وجاء في أمثال العرب: فلانٌ "أغزَلُ من امرئ القيس"، وذلك لأنَّه أغزَل من شبَّبَ بالنِّساء في الشِّعر [٣٤٥].

وأمَّا **اصطلاحاً**: فإنَّ الكلام عن الغَزَل يُفضِي بنا إلى مصطلحٍ يرادفه بالمعنى الأخصّ[٣٤٦]، فلو ذُكِرَ الغزل يردفه النسيب، وقد فَرَّق قدامة بن جعفر(ت٣٣٧هـ) بين هذين المصطلحين بقوله: "الغَزَل هو المعنى الذي إذا اعتقده الإنسان في الصَّبوة إلى النِّساء نَسَبَ بِهِنَّ من أجله، فكأنَّ النَّسيبَ ذكرُ الغَزَل، والغَزَل المعنى نفسه، والغَزَل إنَّما هو التَّصَابي والاستهتار بمَوَدَّاتِ النِّسَاء"[٣٤٧].

وقد كان الغزل وارداً في الشِّعر العربيّ منذ بزوغ فجره في الجاهلية، فكان جارياً على ألسنة الشُّعراء حاضراً عند قيامهم على الطُّلول وآثارها، ورؤيتهم البروق في السَّماء ولمعانها، وهبوب الأنسام وجريانها، فكان منه الغَزَلَ الطَّبيعيّ الجاري على الفطرة، ومنه الفاحش البذيء، ومنه المأخوذ من طرف اللِّسان الجاري كسُنَّةٍ دَرَجَ عَلَيها العَرَب وتكون الغاية من ذكره والإتيان

---

[٣٤٠] ابن سيدَه، أبو الحسن علي بن إسماعيل، *المخصَّص*، ج١ ص٣٧٥

[٣٤١] ينظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادَّة "غزل"، ج٥ ص١٧٨١

[٣٤٢] يُنظَر: ابن دريد، أبوبكر الأزدي، *جمهرة اللغة*، مادة "زغل"، ج٢ ص٨١٩

[٣٤٣] يُنظَر: الزبيدي، أبو الفيض محمد مرتضى، *تاج العروس من جواهر القاموس*، مادة "غزل"، ج٣٠ ص٩٣

[٣٤٤] يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "غزل"، ج١١ ص٤٩٢

[٣٤٥] يُنظَر: الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد، *مجمع الأمثال*، ج٢ ص٦٥

[٣٤٦] يُنظَر: الرافعي، مصطفى صادق، *تاريخ آداب العرب*، ج٣ ص٧٥

[٣٤٧] ابن قدامة، أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي، *نقد الشعر*، ص٤٢

به إنما هي تَوطِئةُ القلبِ والطِّبَاعِ لتستأنس بما سيلقيه الشَّاعر كي يأتي مقبولاً في نفوس السَّامعين، وإلى هذا النَّوع أشار مالك بن زغبة بقوله:

"وَمَا كَانَ طِبِّي حُبُّها غَيرَ أَنَّهُ  يُقَامُ بِسَلمَى لِلْقَوَافِي صُدُورُهُا"[٣٤٨]

فالغزل في هذا النوع كالمقدمة لما يطرحه الشاعر ويخلص إليه من الأغراض، وليس لزاماً أن يكون حقيقيَّاً، ولهذا النوع من الغزل استمع الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يُروَ عنه كراهته له، نجد دِلالةً على هذا قصيدةَ كعب بن زهير(ت٢٦هـ) اللَّامية المشهورة فقد أنشدها أمام الرسول الكريم وابتدأها بغزله بسعاد وعيونها وقدِّها وجمالها الأخَّاذ[٣٤٩]، ثمَّ انتهى إلى الغرض الرئيس من القصيدة وهو المديح النبوي، فكان أن خلع الرسول صلى الله عليه وسلم بردته.

وبإمكاننا القول إنَّ شعر الحَدَّاد يَسْتَظِلُّ بهذا النَّوع الأخير إذا طرق باب الغَزَل في شعره، حيث اعتبره حجر الأساس الذي عليه تُبنى القصائد وعليه جرت العرب منذ القدم في أشعارها، ولذلك أورده في شعره[٣٥٠]؛ غيرَ أنَّه يمكن تقسيم غزله هذا إلى ثلاثة أشكال

## غَزَل المطالِع

لما كان الغزل مُحَبَّباً إلى النفس البشرية، فقد طاب للشعراء منذ القدم أن يفتتحوا به قصائدهم، ولهذا فإنه بإمكاننا أن نرى الشكل الأول لغزل الحَدَّاد هو المقدِّمات الغزليَّة التي رصَّع بها قصائده فجعلها ديباجةً لما يتناوله بعدها من أغراض متنوعة، أو ما خصَّصها أصلاً

---

[٣٤٨] القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*، ج٢ ص١٢٢

[٣٤٩] يقول في مطلعها:

بانَت سُعادُ فَقَلبي اليَومَ مَتبولُ  مُتَيَّمٌ إِثرَها لَم يُجزَ مَكبولُ

يُنظَر: ابن زهير، كعب، *ديوان كعب بن زهير*، تح: علي الفاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م، قافية اللام، ص٦٠

[٣٥٠] يُنظَر: الشجَّار، أحمد بن عبد الكريم، *تثبيت الفؤاد*، ج١ ص٣٨٨

للغزل وحده لا سِواه، فرفع فيها محبوبه إلى أوج الكمال وأرفع مراتب الجمال التي برئ الله عليها خلقَه، ومن ذلك قصيدته التي استهلَّها بقوله:

"سَقَتْكَ غَوَادِي السُّحْبِ رَبْعَ الأَحِبَّةِ فَكِمْ بِكَ مِنْ خُودٍ[٣٥١] وَكَمْ مِنْ خَرِيدَةِ
وهَيْفَاءَ مِثْلِ الغُصْنِ رَنَّحَهُ الصَّبَا وَغُرَّتُهَا كَالْبَدْرِ تَحْتَ الدُّجُنَّةِ[٣٥٢]
وَثَغْرٌ بِهِ دُرٌّ وَجِيْدٌ مُمَسَّكٌ وصَدْرٌ بِهِ مِنْ لُؤْلُؤٍ كُلُّ دُرَّةِ
وَغَانِيَةٍ بِالحُسنِ تَحْسَبُ أَنَّهَا مِنَ القَاصِراتِ السَّاكِنَاتِ بِجَنَّةِ
سَبَتْنِي بِأخلاَقٍ وَخَلْقٍ مُبَارَكٍ لَطِيفٍ كَأَنْفَاسِ السُّحَيْرِ الزَّكِيَّةِ"[٣٥٣]

فهو يستمطر لديار أحبابه أغدق الدِّيَم الهطَّالة، ولا بِدعَ فَهو يَتَخَيَّلُهَا الديارَ التي حَوَت كم من الغواني الحسناوات ربَّات الحياء والجمال البديع، ويمضي ذاكراً وصفهُنَّ، فكم في هذا الربع من فتاةٍ كلؤلؤةٍ حوَت هَيَفاً جعلها كالغصن الذي تمايلت به الريح وأيُّ ريح! إنَّها ريح الصبا الرقيقة، ويستخدم الحَدَّاد تشبيهات بليغة أخرى متتابعة، فثغر المحبوبة حوى الدرر وصدرها اللؤلؤ، وعُنُقها لكأَنَّه عجن بالمسك حتى يُخَيَّلُ لناظرها أنَّها من قاصرات الطرف أهل جنان الخلد، ثمَّ يمضي في وصف خُلُقها اللطيف لطفَ نسمات السحر الشذيَّة، ونرى الحَدَّاد في تشبيهاته هذه قد كَرَّر ما سبقه إليه الشعراء من قبل، ولم يأتِ هنا إلَّا بما سُبِقَ إليه، وقد قام بإعادة ذلك غيرَ ما مرَّة في شعره الغزلي، فعلى سبيل المثال، تشبيهه للوجه بالبدر تحت جنح الليل الداجي، وكذلك تشبيهه للقَدِّ بغصن البان الذي حَرَّكته الريح، وكون المحبوبة من قاصرات الطرف المقصورات في الخيام، كل هذه التشبيهات تكرَّرت في أكثر من موضع، كقوله:

---

[٣٥١] جمع خَوْد وهي الجارية الناعمة، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "خود"، ج٢ ص٤٧٠

[٣٥٢] الظلمة وجمعها دُجُنَّات ودُجَن، يُنظَر: *المصدر السابق*، مادة "دجن"، ج٥ ص٢١١٠

[٣٥٣] *الديوان*، قافيَة التاء، ص١٤١

"وَقَدٍّ[٣٥٤] كَغُصْنِ البَانِ يَحْكِي اعْتِدَالَهُ وَوَجْهٍ كَبَدْرِ التِّمِّ تَحْتَ ظَلاَمِ
فَلاَ تَغْرَقَنْ فِي وَصْفِ حَوْرَا[٣٥٥] كَأَنَّهَا مِنَ الْقَاصِرَاتِ الطَرْفِ جَوْفَ خِيَام"[٣٥٦]

وقوله أيضاً:

"خَرِيدَةُ حُسْنٍ غَادَةٌ أَرْيَحِيَّةٌ[٣٥٧] مِنَ الْغَانِيَاتِ الطَّاهِرَات عَنِ الأَسْوَا
لَهَا مَنْظَرٌ كَالْبَدْرِ عِنْد تَمَامِهِ وَثَغْرٌ بِهِ كَالشَّهْدِ يَشْفِي مِنَ الأَدْوَا
وَقَدٌّ كَغُصْنِ الْبَانِ عِنْدَ اعْتِدَالِهِ يَمِيسُ إِذَا هَبَّتْ رِيَاحُ الصَّبَا زَهْوَا"[٣٥٨]

ويلاحظ في غزل الحَدَّاد –رغم تَغَزُّله بما يدرك بحاسَّة البصر– أنَّ جزءاً منه انصرف إلى الحواسِّ الأخرى كالشَّم واللَّمس والذَّوق، فيتضِّح من خلال هذا شيءٌ من أثر فقده لحاسَّة البصر، فهو لايفتئ يُصَوِّر المتغَزَّل بها في كلماته، فجسَدُهَا فضَّةٌ نقيَّةٌ، والعطر يفوح من جَنَباتها مسكاً ذكيَّاً ويتَنَعَّم بحسنها وجمالها بتذوُّقِهِ شَهْدَاً صافياً، وريقُهَا يرتشفه كسَلْسَبيلٍ حَكَى حُمَيَّا[٣٥٩] المُدام، يقول الحَدَّاد مكَنّياً بريم الرَّقمتين في مطلع إحدى قصائده:

"عَلَى رِيمِ وَادِي الرَّقْمَتَيْنِ سَلاَمِي وَحَسْبِي بِهِ فِي رِحْلَتِي وَمُقَامِي
مِنَ الغَانِيَاتِ القَاصِرَاتِ مُحَجَّبٍ بَعِيدِ المَرَامِي لاَ يُرَامُ لِرَامِ
عَزِيزَةِ وَصْلٍ قَدْ سَبَانِي جَمَالُهَا بِحُسْنٍ وَإِحْسَانٍ وَرَعْيِ ذِمَامِ
وَخَدٍّ شَقِيقِ الْوَرْدِ فِي وَجَنَاتِهِ وَطَرْفٍ بِهِ سِحْرٌ وَرَشْقُ سِهَامِ

---

[٣٥٤] القَدُّ هو القَامَة، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "قدد"، ج٢ ص٥٢٢

[٣٥٥] الحوراء من النساء من كانت عينها شديدة السواد مع شدة البياض، يُنظَر: *المصدر السابق*، مادة "حور"، ج٢ ص٦٣٩

[٣٥٦] *الديوان*، قافية الميم، ص٥٩٣

[٣٥٧] قولُه (خريدة) الخريدة من النساء الحَيِيَّة، والخريدة أيضاً اللؤلؤة التي لم تُثقَب، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "خرد"، ج٢ ص٤٦٨؛ وقوله (أريحَيَّة) أي واسِعة الأخلاق، يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "روح"، ج٢ ص٤٦٠

[٣٥٨] *الديوان*، قافية الواو، ص٧٣٠؛ وقولُهُ (يَميسُ) من المَيْس وَهوَ التَّبَخْتُر، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "ميس"، ج٣ ص٩٨٠

[٣٥٩] حُـمَـيَّا الخمر شدته وحِدَّته، يُنظَر: *المعجم الوسيط*، مادة "حميا"، ج١ ص٢٠١

وَثَغْرٍ يَفُوحُ المِسْكُ مِنْ لَهَوَاتِهِ بِهِ سَلْسَبِيلٌ خَيْرُ كُلِّ مُدَامِ
وَجِيدٍ كَإِبْرِيقٍ مِنْ الوَرْقِ خَالِصٍ وَصَدْرٍ بِهِ رُمَّانَةُ المُتَنامِي"[٣٦٠]

وهكذا نلمح في غزل الحَدَّاد إكثاره من ذكر أوصافٍ معيَّنة، تجعله مطبوعاً بطابعٍ خاص فقد كان يكرر في أكثر من موضع أن محبوبه "قاصر الطَّرف" والوصول إليه ليس من السُّهولة بمكان، ونادراً مَا تخلو غزليَّاته من إضفاء صفة الطُّهر والنَّقاء وحسن الخلق على المحبوبة، مما يدفعنا إلى القول إنَّه تَغَزَّل بالجمال الحسِّيِّ ولم يُغفِل الجَمَالَ المعنويَّ.

كما أنَّ تكرار الحَدَّاد لما سبقه إليه الشُّعراء من أوصاف المحبوب الجماليَّة، ترجع إلى تَشَابُه هذه الأوصاف والنُّعوت التي عُرضت من قبل الشُّعراء السَّابقين عَرْضَاً مُوجَزاً أو مُستَفِيضَاً، إلى "أن استوى فيها السَّابقون واللَّاحقون من مُحدَثِينَ ومُوَلَّدين وَمُتَأخِّرين"[٣٦١] كما يرى عمر موسى باشا.

## غَزَل الكَعبَة المشرَّفة

وهو ما تفرَّد به الحَدَّاد، وحاول أن يبثَّ فيه لَاعِجَ[٣٦٢] أشواقه وَأُوَارَ[٣٦٣] أَشْجَانِهِ المُتَأَجِّجَة إلى الحرمين، فخاطب بلسانه الشِّعريِّ الغزليِّ (كعبة الحسن البديع)، وعَدَّها مركز الجمال والسَّنَا والسَّنَاء التي تحنُّ إليها قلوب المسلمين وأرواحهم، وممَّا نسجه على هذا المنوال قوله في رائيته الكبرى:

"فَيَا كَعْبَةَ الحُسْنِ البَدِيعِ الَّذِي غَدَا بِهَا كُلُّ صَبٍّ وَالِهَ الْقَلْبِ حَائِرِ
ويَا مَرْكَزَ الأَسْرَارِ وَالنُّورِ وَالْبَهَا وَلُطْفِ جَمَالٍ رَاقَ فِي كُلِّ نَاظِرِ

---

[٣٦٠] *الديوان*، قافية الميم، ص٥٩٣

[٣٦١] باشا، عمر موسى، *الأدب في بلاد الشام*، ص٤٨٨

[٣٦٢] الهوى المُحرِق، يُنظَر: *المعجم الوسيط*، مادة "لعج"، ج٢ ص٨٢٨

[٣٦٣] حَرُّ الشَّمسِ والنَّار، يُنظَر: *المصدر السابق*، مادة "استَأْوَرَ"، ج١ ص٣٢

تَحِنُّ إِلَيْكِ الْمؤْمِنُونَ قُلُوبُهُمْ وَأَرْوَاحُهُمْ مِنْ وارِدٍ مثلِ صَادِرِ"[٣٦٤]

وإذا ما رأيناه صرَّح باسمها في الأبيات الآنفة، فإنَّه قد يعود في موضعٍ آخر ليُكَنّيهَا بالكنايات المعهودة في الغزل العُذري؛ كي يُعَبّرَ من خلال ذلك عن فائق حبه وهيامه، فتراه يُسمّيهَا "ظبيةَ عَامِر"، ويعود مرَّة أخرى ليسمّيها "سلمى" وهي صاحبة الخال الأسود على خدّها، وبهذا استعمل الكناية عن الحجر الأسود ذاك الذي لم يَرْتَوِ من وِرده و وِصَالِه؛ فيقول:

"وهل تَنقَضِي في البُعدِ آرَابُ طَالِبٍ وَلَكنَّهُ يَدنُو فَيُدْنَى مِنَ القَصْدِ
وقدْ كنتُ وافيتُ الأباطِحَ[٣٦٥] مَرَّةً ولكنَّني لَم أُرْوَ مِن ذَلِكَ الوِرْدِ
ولم أَشتَفِيْ مِن قُرْبِ سَلمَى ووَصْلِهَا وتَقبِيلِ خَالِ الخَدِّ مُستَودَعِ العَهدِ"[٣٦٦]

ويبوح بحبها متغزلاً، ويُكَنّيها بسُوَيكِنَةِ النَّقا، تلك المحبوبة التي حُجِبَت إلا على مَن يستحق وصالها، يقول في مطلع قصيدةٍ له:

"شُغِفَ المُحِبُّ بِحُبِّ ظَبْيَةِ عَامِرِ وَصَبَا إِلَيْهَا بِالفُؤَادِ وَنَاظِر
مَحْبُوبَةٍ مَحْجُوبَةٍ إِلَّا عَلَى ذِي عِفَّةٍ وَتُقىً كَتُومٍ صَابِرِ
لِمُتَيَّمٍ حِلْفِ الصَّبَابَةِ وَالجَوَى[٣٦٧] يَرْعَى النُّجُومَ بِجُنْحِ لَيْلٍ دَاجِرِ
أَفْدِي سُوَيْكِنَةَ النَّقَا وَمُحَجَّرٍ بِبَقِيَّةٍ مِنْ رَسْمِ جسْمٍ دَاثِرِ
مَنْ لِي وَهَلْ لِي أَنْ أَرَاهَا زَائِرَاً سَحَراً وَقَدْ نَامَ الرَّقِيبُ العَاثِرِ
هِيَ بَهْجَتِي هيَ وِجْهَتِي هِيَ قِبْلَتِي فِي حِينِ أَسْجُدُ لِلإِلَهِ الغَافِرِ"[٣٦٨]

---

[٣٦٤] *الديوان*، قافية الراء، ص٣١١

[٣٦٥] جمع واحده أبطح وهو المسيل الواسع، ويقصد الحدَّاد هنا بطحاء مكة، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "بطح"، ج١ ص٣٥٦

[٣٦٦] *الديوان*، قافية الدال، ص١٨٠

[٣٦٧] الجَوى: هو شدَّة الوَجْد من العشق أو الحزن، يُنظَر: ابن منظور، لسان العرب، مادة "جوا"، ج١٤ ص١٥٨

[٣٦٨] *الديوان*، قافية الراء، ص٢٩٣

فاستعمل ألفاظ المحبَّة متدرّجاً بها من الحبِّ، إلى الشَّغف[٣٦٩]، إلى الصَّبابة، إلى التَّيم[٣٧٠] ليعبّر عن شدَّة تعلُّقه وكَلَفِهِ[٣٧١] بالكعبة المشرَّفة، التي حجبَت معاني محبَّتها إلا عن الصَّابرين على حبِّها والباذلين شروطها من التَّقوى والعِفَّة الَّتي تُعمي المحبَّ وتجعله بطَرْفِهِ غَضِيضَاً عمَّا سواها، والكعبة –كما يراها الحَدَّاد– تلك المحبوبة التي تدفع محبَّها إلى الوقوف في ظلمات اللَّيل الدَّاجي راعياً نجوم الليل بقلبه المغرم قياماً بحق الوصال وشؤون الحب والهيام بها، ثم ينثني الحَدَّاد إلى تفديتها بروحه وبما بقي من جسمه الذي أضناه هواها، ويتمنى على الزمان أن يجود له بزيارتها سُحَيراً، على حين غفلةٍ من الوشاة في وقتٍ يخلو فيه كلُّ محبٍ بمحبوبه.

وعندما رحلَ الحَدَّاد إلى الحرمين قاصداً تَأْدِيَةَ نسك الحجِّ، قُدِّرَ له الوصال بمحبوبه الذي يتغنَّى به –الكعبة–، فراح يصوِّر ساعات الوصال التي جاد له الدَّهر بها يوماً، فذاق من كأس الوصال، وشَمَّ مسك التَّدَانِ، وراحَت روحه ترشُفُ الرَّشفةَ تِلْوَ الرَّشْفَةِ من خمر تلك الدِّنَان؛ ويلمح في أبياته الجناس والكناية؛ حيث يقول:

"سَمَح الزَّمَانُ بِوَصلِ رِيَم ٱلأَجْرِعِ ذَاتِ المِحَاسِنِ وَالجَمَال المُبْدَعِ
مِسْكَيَّةِ ٱلأَنْفَاسِ فِي لَهَوَاتِها[٣٧٢] كَالشَّهْدِ يَشْفِي كُلَّ قلبٍ مُوجَعِ
تَسْبِي القُلوبَ بِحُسْنِها وَجَمَالها بِتَلَطُّفٍ وَتَعَطُّفٍ وَتَمَتُّعِ
وَتُرَوِّحُ ٱلأَرْوَاحُ فِي صَبَواتِهَا وَكَأَنَّها مَدْهُوشَةٌ لَيْسَتْ تَعِي"[٣٧٣]

ويلتفت للعاذل وأضرابه من الوشاة المكدرين لوقت الصفاء، فيخاطبه قائلاً: إنَّك لو ذقتَ ماذُقتُهُ أنا، ولو كنت معي في تلك الربوع لما كان لك إلا التولُّه بجنابها، يقول:

---

[٣٦٩] الشِّغَاف غلاف القلب، وشغفه حباً أي بلغ شغافه، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "شغف"، ج٤ ص١٣٨٢

[٣٧٠] تَيَّمَهُ الحبُّ أي عبَّده وصيَّره ذليلاً فهو مُتَيَّم، ويقال أيضاً تَامَتْهُ فلانة، يُنظَر: *المصدر السابق*، مادة "تيم"، ج٥ ص١٨٧٩

[٣٧١] كلف بالشيء إذا أحبه وصار لَهِجَاً بذكره، يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "كلف"، ج٩ ص٣٠٧

[٣٧٢] جمعٌ واحده لَهَاةٌ وهي اللَّحمة المشرفة على الحلق، وتقع أقصى اللسان؛ يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "لها"، ج١٥ ص٢٦٢

[٣٧٣] *الديوان*، قافية العين، ص٤٢٧

"أَفَدي سُوَيكِنَةَ النّقَا وَمُحَجَّرٍ إن أطَمَعَت فِي الوَصَل أَو لَمْ تُطْمِعِ
حَسَبي هَوَاهَا وَالنُّزُولُ بِسُوْحِهَا مَعْ فِتْيَةٍ نَزَلَتْ بأَشْرَفِ مَوْضَعِ
تَسَبي القُلوبَ بِحَسَنها وَجَمَالها بِتَلَطُّفٍ وَتَعَطُّفٍ وَتَمَتُّعِ
قُلْ لِلْعَذُولِ أطَلَت لَومَكَ فِي الَّتي لَو كُنْتَ ثمَّ مَعِي لَكُنتَ هُنَا مَعِي"[٣٧٤]

ونلمح أنَّه في أبياته قد جلب المحسِّنات البديعيَّة من جناسٍ (تُرَوَّحُ الأَرَوَاحُ)، وسجع مُطَرَّف (تَلَطُّف، تَعَطُّف)، وشبَّه طهارة أنفاسها ورائحتها بالمسك، وعندما ذكر فمها وحلاوة شهده الشَّافي كنَّى بذلك عن الحجر الأسود، مثلما كَنَّى عنها بريم الأجرع[٣٧٥]، واستعار لها فعلَ السَّبْيِ للقلوب والأرواح.

## الغَزَلُ الرَّمزِيّ

لَعَلَّ الكلام على هذا الشَّكل يجعلنا محتاجين إلى شيء من التَّوطئة للغَزَلِ الَّذي يرمي برموزه وموسيقاه الجذَّابة إلى معانٍ أخرى اختلجت في صدر الشَّاعر عند فيضان شعوره بالحبِّ الإلهيّ، فلم يشئ هذا الشَّاعر إلا أن أرسل من قيثارة قلبه بعض النَّغماتِ إلى قلم لسانه ليُتَرجِمَ هذه الأنغام إلى أبياتٍ من الغَزَل بسلمى وليلى وسُعَاد وَسُعدَى، وماهُنَّ إلا رموز تَنمُّ عن ما في دواخلهم من ارتطام أمواج الحبِّ الإلهيّ، وفي ذلك يقول أشهر أرباب هذا الصِّنف من الشُّعراء والذي ارتبط اسمه بالحبِّ الإلهيّ[٣٧٦] عمر بن الفارض(ت٦٣٢هـ) في تائيَّتِهِ الكُبرى:

"وَعَنّيَ بِالتَّلويحِ يَفهَمُ ذَائِقٌ غَنِيٌّ عَنِ التَّصرِيحِ لِلمُتَعَنِّتِ
أَشَرتُ بِمَا تُعطِي العِبَارَةُ وَالَّذِي تَغَطَّى فَقَدْ أَوضَحْتُهُ بِلَطِيفَةِ"[٣٧٧]

---

[٣٧٤] *الديوان*، قافية العين، ص٤٢٨، وقوله (العذول) العَذْلُ: اللَّوْمُ، يُنظَر: ابن منظور، *لسان العرب*، مادة "عذل"، ج١١ ص٤٣٧

[٣٧٥] الأجْرَع: الأرض ذات الحزونة التي تُشَاكِلُ الرَّمل، يُنظَر: مجموعة مؤلفين، *المعجم الوسيط*، مادة "جرع"، ج١ ص١١٨

[٣٧٦] يُنظَر: حلمي، محمد مصطفى، *ابن الفارض والحبّ الإلهيّ*، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ص١١

[٣٧٧] ابن الفارض، عمر بن علي، *ديوان ابن الفارض*، قافية التَّاء، ص٥٢

وقد فسَّر هذه الظَّاهرة عمر فروخ، حيثُ أوضَحَ أنَّ الواحد من هؤلاء الشُّعراء إذا ما أورد في شعره الغزليّ شيئاً من هذه الرُّموز الغزليَّة كالخمر والمرأة وديارها فإنَّه: "يقصد العزَّة الإلهيَّة (الله تعالى) إذا هو ذكر المرأة على جهة التَّغزل، أما الكلام على الخمر فرمزٌ عن المعرفة الإلهيَّة (الواقعة في قلب الإنسان من غير طريق الحواس أو طريق العقل بل من طريق الإلهام)"[٣٧٨]، غير أننا نجد في كلام الحَدَّاد ما ينافي هذه الرؤية ويفسرها بكلام آخر، فبعد أن عرفنا كلامه في الحب الإلهي وتعريفه له بأنَّه "ميلٌ وتعلُّقٌ، يجده العبد في قلبه إلى ذلك الجناب الأقدس الرفيع، مصحوباً بنهاية التقديس والتنزيه، وغاية التعظيم والهيبة لله تعالى، لا يخالطه شيء من خواطر التشبيه، ولا يمازجه شيء من أوهام التكييف، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً"[٣٧٩]، نراه يعقِّب أنَّ حمل معاني هذا الغزل على أنَّه تغزُّل بالله ورسوله أمرٌ لا يجوز وقد يؤدِّي –حسب ما يرى هو– إلى الكفر[٣٨٠] لأن الذات الإلهية منزَّهة عن ما يوهم ذلك.

وإذا نتج من كلامه هذا تساؤلنا أنَّه على أيِّ وجه نستطيع حمل المعنى في مثل هذا النوع من الغزل، فإن الحَدَّاد يجيب قائلاً أنَّه: "يحمل على مخاطبة النَّفس للرُّوح، ولا يُحْمَل على الأمور الإلهية"[٣٨١]، ويرى أنَّ الغَزَل ما إن ذُكِرَ فيه المَطل والجفا وخلف العهود يُعلَم أنَّ مقصده النَّفس لأنَّها موضع القساوة؛ وما إن ذُكِرَ فيه الوصال والأنس يعلم أنَّ مقصده الرُّوح لأنَّها موضع اللَّطافة[٣٨٢].

وبناءً على هذا الكلام نستطيع القول أنَّ هذا الشكل من الغزل عند الحَدَّاد يُقصد بقسمٍ منه مخاطبة الروح والكلام عن حالها وما تطمح إليه وتتطلع للوصول إلى مرافئه، والقسم الآخر يقصد به مخاطبة النفس وما تنطوي عليه من أشياء مانعة للوصال المطلوب بالمحبوب.

---

[٣٧٨] فروخ، عمر، *تاريخ الأدب العربي*، ج٣، هامش ص ٥٢٤

[٣٧٩] الحداد، عبد الله بن علوي، *النصائح الدينيَّة*، ص٤٠١

[٣٨٠] يُنظَر: الشجَّار، أحمد بن عبد الكريم، *تثبيت الفؤاد*، ج١ ص٣٨٤

[٣٨١] الشجَّار، أحمد بن عبد الكريم، *تثبيت الفؤاد*، ج١ ص٢٠٧

[٣٨٢] يُنظَر: الشجَّار، أحمد بن عبد الكريم، *تثبيت الفؤاد*، ج١ ص٣٨٤

ومن بديع الأمثلة على هذا النَّوع من الغزل قصيدته التي أراد أن يعبّر بها عن لوعة الوجد التي يُحسُّ بها مستخدماً لغة الشُّعراء العذريّين في غَزَلِهِم بمحبوباتهم وذكر معاهدهنَّ وديارهنَّ، وهو يصرّح بذكر "الأبطحيَّة" وهو موضعٌ بمكة التي كانت مهداً لنور الإيمان، ويبعث -على نهج العذريين أيضاً- مع النُّسَيمَاتِ سلامَه وحبَّه المترامي في القِدَم من عهد (**أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ**) الأعراف: ١٧٢ الذي أسماه يوم القضيَّة إلى أحبابه الَّذين صبا قلبه إلى مرابعهم وديارهم، وعرَّج على ذكر ليلاه، فهي ليست تلك التي شُغِفَ بها المجنون[٣٨٣]، ولذلك فصبوته بها و وَلَهُهُ، ليس كما يخطر على بال أحد، فما كان توهُّه لأيّ شيءٍ فانٍ دنيويٍّ أرضِيٍّ، وإنما كان للأمور العالية الرَّاقية السَّماوية المقدَّسة حيث تَتنَعَّم الأرواح في ضيافة المليكِ المقتدر، يقول الحَدَّاد:

"لِجِيرَانٍ لَنَا بِالأَبْطَحِيَّة  بَعَثْتُ مَعَ النسُّيَمْاتِ التَّحِيَّةْ
وَأَوْدَعْتُ النَّسِيمَ حَدِيثَ حُبٍّ  قَدِيمٍ كَانَ مِن يَوْمِ الْقَضِيَّةْ
تُزَمْزِمُ لِي الْحُدَاةُ بِذِكْرِ لَيْلَى  وَمَا هِيَ يَا فَتَى بِالْعَامِرِيَّةْ
فَأَصْبُو ثُمَّ أَصْبُو ثُمَّ أَصْبُو  وَلاَ كَالصَّبَوَاتِ العُذْرِيَّةْ"[٣٨٤]

ويتابع مبيّناً إلى أيّ شيءٍ صَبَا قلبُه، ويَعقِلُ الفِكْرَ مِن أن يشطَّ به الخيال إلى أنَّه يصبو للزَّائلات من هذه الدُّنيَا الفَانِيَة، فيقول:

"وَلَيْسَتْ لِلْغَوَانِي وَالأَغَانِي  وَلاَ لِلشَّهَوَاتِ الدُّنْيوِيَّةْ
وَلا لِلْفَانِيَات بِأَيِّ مَعْنَى  وَلَكِنْ لِلأُمُورِ العُلْوِيَّةْ
حَقَائِقُ من رَقَائِقَ قَدْ تَسَامَتْ  بِأَوْجِ الْحَضَرَاتِ القُدُسِيَّةْ
وَأَرْوَاحٌ تَطِيرُ إِلَى عُلاَهَا  بِأَجْنِحَةِ الغَرَامِ الْمقْعَدِيَّةْ"[٣٨٥]

---

[٣٨٣] المراد بهِ قيس بن الملوّح العَامريّ من شعراء الغزل النَّجديين، لم يكن مجنوناً وإنما لُقِّب بذلك لشدَّة حبّه لليلى بنت سعد، يُنظَر: الزركلي، *الأعلام*، ج٥ ص٢٠٨

[٣٨٤] *الديوان*، قافية الياء، ص٧٤٨

[٣٨٥] *المصدر السَّابق*، قافية الياء، ص٧٤٩

ويلمح في المقطعين السابقين حسن استخدامه للأساليب البلاغيَّة والمحسِّنات البديعيَّة من طباق (أصبو، أصبو) وجناس (أصبو/الصَّبوات، الأغاني/الغواني، نسيم/النُّسَيمَات) وسَجْعٍ مُطَرَّف(حقائق، رقائق) وأطنب بتكرير لفظة (أصبو) لمعنى زائدٍ يفيد شدَّة الصَّبوةِ الَّتي خالطت روحه ولُبَّه، واستعار للغرام أجنحةً يطير بها في روضات العُلَا، واقتبس لهذه الأجنحة وصف "المقعديَّة" من القرآن الكريم وهو قوله تعالى (**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**) القمر:٥٤ ، ولذلك أشار بعد ذلك إلى تشوّق روحه إلى رياض الجِنان والعَيش في فراديسها العَليَّة فقال:

"فَوَا شَوْقَ الفُؤَادِ لِخَيْرِ عَيْشٍ  مَعَ الأَحْبَابِ فِي الغُرَفِ الْعَلِيَّةْ"[٣٨٦]

وقد استطاع الحَدَّاد في هذه الأبيات أن يبرز فيها شيئاً من صفاء الروح ونقائها، وما ترنو إليه من الترقي في مراقي السمو والقرب (**عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**) القمر:٥٥، وإلى ذلك أشار فخر الدين الرَّازي(ت٦٠٦هـ) في تفسيره حيث يقول: "الأرواح القُدسيَّة البشريَّة إذا تَطَهَّرَت عَن دَنَسِ الأوصاف البدنيَّة والقاذورات الجسدانيَّة، أشرقت بأنوار الجلال وتجلَّى فيها أضواء عالم الكمال وتَرَقَّت من العبديَّة إلى العِندِيَّة، ولذلك قال الله تعالى: (**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً**) الإسراء:١"[٣٨٧]

وبعد رؤية حمله للغزل على مخاطبة الرُّوح وتشوُّقها إلى النَّعيم الأبديّ، تجدر الإشارة إلى الغَزَل الَّذي يمكن حمله على مخاطبة الشَّاعر للنَّفس، ومحاولته إبراز تَشَوُّقِهِ إلى معاني السُّموّ الرُّوحيّ الَّذي يرجوه، فمن ذلك قوله:

---

[٣٨٦] *الديوان*، قافية الياء، ص٧٥٠

[٣٨٧] الرازي، فخر الدين، *التفسير الكبير*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ج١٦ ص١٤

"أَقُومُ بِفَرْضِ الْعَامِرِيَّةِ وَالنَّفْلِ وَأَصدُقُهَا فِي الْقَصْدِ وَالْقَوْلِ وَالفِعْلِ
وَآتِي إِلَى مَا تَشْتَهِيهِ وَإِنْ يَكُنْ مَرِيراً وَجَدْتُ المُرَّ مِثْلَ جَنَى النَّحْلِ"[٣٨٨]

فهو يشير في غزله هنا إلى المحبوبة العامرية التي قام بأداء كل واجبات محبتها، حيث استعذب المرَّ في سبيل هواها حتى إنَّه ليذوقه حالياً كالشَّهدِ، لكنَّه يعود ليوضح أنَّه مَا رَأَى منها إلَّا القطيعة والنفور والجحود فيقول:

"قَضَيْتُ شَبَابِي فِي قَضَاءِ حُقُوقِهَا وَهَذَا مَشِـــــيبِي قَدْ تَهَيَّأَ لِلنُّزْلِ
وَلَمْ أَرَ مِنْهَا مُذْ عَلِقْتُ بِحَبْلِهَا سِوَى الغَمْطِ[٣٨٩] وَالإِصْرَارِ وَالبُخْلِ بِالْوصْلِ
سَأَمْضِي لِشَأْنِي وَاطَّرِحْهَا وَشَأْنَهَا فَشُغْلِي بِهَا قَدْ بَانَ مِنْ أَقْبَحِ الشُّغْلِ
وَأُصْلِتُ مِنْ غِمْدِ السَّجِيَّةِ مُرْهَفاً مِنَ الْعَزْمِ مَاضٍ قَدْ تَحَاشَى عَنِ الفَلِّ"[٣٩٠]

فإنَّ الناظر إلى هذه القطعة الغزليَّة يستطيع أن يدرك ما قصده الحَدَّاد بها من مخاطبته لنفسه، فهو أدرك بحلول مشيبه أنَّه أمضى عمره في تحقيق حظوظ النَّفس وشهواتها، إلَّا أنَّه يقول: ها قد دَنَت أيَّام الرَّحيل، فَحَرِيٌّ بي أن ألتفت إلى الشَّأن المنوط بي من تزكيتها وتطهيرها من شوائبها، ولن يكون ذلك إلَّا بإشهار مُهَنَّدِ العزيمة الَّذي لا يعرف الانكسار والتَّواني.

وممَّا يُحمَل على مخاطبته لنفسه في غزله أيضاً قوله في مُوشَّحٍ:

"عَسَى عَسَى يَا سَاكِنِينْ نَعْمَانْ[٣٩١] أَنْ يَنَثَني حَالُ الصَّفَا الَّذِي كَانْ
ويَنكَشف حَالُ ٱلأَسَى وَالأَشْجَانْ بِوَصَلْ لَيَلى بَهْجَةِ المَسَامِرْ

---

[٣٨٨] *الديوان*، قافية اللام، ص٤٩١

[٣٨٩] غَمَطَ النِّعمَةَ يَغْمِطُهَا غَمْطاً أي جَحَدَهَا وَكَفَرَهَا، يُنظَر: ابن دريد، أبوبكر الأزدي، *جمهرة اللغة*، مادة "طغم"، ج٢ ص٩١٨

[٣٩٠] *الديوان*، قافية اللام، ص٤٩١؛ وقولُهُ (أصلت) من أَصْلَتَ السَّيفَ بمعنى جَرَّدَه من غمده، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "صلت"، ج١ ص٢٥٦؛ وقولهُ (الفَلّ) هو مُفرد فلول وهي الكسور التي تصيب حدّ السَّيف، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "فلل" ج٥ ص١٧٩٢

[٣٩١] في الحديث:" أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ بِنَعْمَانَ، يَعْنِي بِعَرَفَةَ"، يُنظَر: النَّيسابوري، أبي عبد الله الحاكم، *المستدرَك على الصَّحيحين*، تح: مصطفى عبد القادر عطايا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٠م، ج٢ ص٥٩٣

أَنَا الَّذي فِي حُبِّها مُتَيَّمْ مَحْزُوَنْ مُشْجُونُ الفُؤَادْ مُغْرَمْ
فَهَلْ تَرَاهَا يَا نَدَيمْ تَعَلمْ بِمَا بِقَلْبِي مِنْ هَوىً مُخَامِرْ"[٣٩٢]

فقد كنَّى بذكر وادي نَعْمَان الأَرَاك[٣٩٣] المكان الَّذي تَحِنُّ إليه الأرواح، ووصف نفسه بالحزن والأسى والشَّوق للوصال والتَّلاق، ولعله أراد من هذه المخاطبة تشويق نفسه إلى حالات السُّمُوِّ والنَّقاء والطُّهر الرُّوحي الَّتي يُرِيدها ويرنو إليها بتلهُّف.

على أنَّنا نستطيع أن نلمح بين ثنايا شعره الغزليّ ما يُحْمَل على الكلام على"المعرفة والحبِّ الإلهيِّ" وليست الحقيقة الإلهيَّة –التي أشارَ إليها عمر فَرُّوخ– ويُلَاحَظ تكنيته عن هذا الحبِّ والمعرفة المقدَّسة بليلى ونشوة الرَّاح؛ حيث يقول:

"أَنا مَشْغُولٌ بِلَيْلَى عَنْ جَمِيعِ الْكَوْنِ جُمْلَةْ
فَإِذَا مَا قِيلَ مَنْ ذَا قُلْ هُوَ الصَّبُّ الـمُوَلَّهْ
أَخَذَتْه الرَّاحُ حَتَّى لَمْ تُبقِّيْ فِيهِ فَضْلَةْ"[٣٩٤]

فانشغاله بهذه المعرفة وهذا الحب الإلهي جعله في شغلٍ شاغل عن ظلمات هذا الكون أجمع، حتى لكأنَّه ذاك المحب الذي أخذته نشوة الراح فغاب بها ولم تأخذه سكرة الدنيا وما فيها من متاعٍ زائل، واحترز الحَدَّاد أن يتبادر إلى الأذهان تلك الخمر المحرمة مهيع الضلال والفجور، فقطع خيوط الأوهام وبيَّن أنَّ النشوة التي سَرَت في كُلِّه وكُلِّيَّته ليست من تلك بل هي من دَنِّ الأنس والطهارة والقدس، فقال:

---

[٣٩٢] *الديوان*، قافية الراء، ص٣٥٠

[٣٩٣] وادي قريب من مكة، يُنظَر: الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، *معجم البلدان*، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م، ج٥ ص٢٩٣

[٣٩٤] *الديوان*، قافية اللام، ص٥٠٦؛ وقولُهُ (الرَّاح) أي الخمر، يُنظَر: الجوهري، أبو نصر، *تاج اللغة وصحاح العربية*، مادة "روح"، ج١ ص٣٦٨

"رَاحُ أُنْسٍ رَاحُ قُدْسٍ لَيْسَتِ الرَّاحَ المُضِلّة"[٣٩٥]

وبشكل عام يُلَاحَظ في غَزَلِ الحَدَّاد –بأشكاله الثَّلاثة– أنَّ ألفاظه كانت أقرب للسُّهولة واللِّين خالية من التَّنافر والصُّعوبة ويرجع ذلك إلى ذاتِ الغرض الَّذي هو الغزل فهو يستدعي الرِّقَّة والعذوبة بالضَّرورة ليدل على الصَّفاء والجمال الذي بين المحبِّ وحبيبه، ولذلك جاءت الألفاظ في غزله مُتناسبة مع المعاني العذبة الَّتي طرقها، كما أنَّه استطاع في غزله أن يجمع بين الوصف الحسِّيّ للجمال وبين إبراز الجانب العاطفيّ، فنشعر أمام غزله بالمشاركة الوجدانية أيضاً، فلا غَرْوَ أنَّنا إذا تأمَّلنا التَّصويرات البديعيَّة الَّتي استخدمها في غزله نجد أنَّها كانت ترجماناً عن تصوُّراته العاطفيَّة الصَّادِقة ولساناً عن التأمُّلات النَّفسيَّة والفكريَّة عنده، كما يُلاحَظ أيضاً على غزله بكلِّ أشكاله بُعدَهُ عن التَّفَحُّش والتَّدَنِّي في الألفاظ والكلام أو التَّصوير البذيء.

[٣٩٥] *الديوان*، قافية اللام، ص٥٠٦

## الخاتمة والنتيجة

مما سبق أن رأيناه في هذا البحث من الأشعار وأغراضها وما تطرقت إليه من الأفكار ودارت عليه من المحاور نستطيع أن نستنتج:

إنَّ الشَّاعرَ الحَدَّاد في تَنَاوُلِهِ لِلأَغرَاضِ الشِّعريَّة قَد أَكثَرَ مِن (المديحِ النَّبويّ والوَعظِ والغَزَلِ) وأقلَّ مِن (الدُّعاء والرِّثاء)؛ لكنَّهُ أَهمَلَ باقي الأَغراضِ الشِّعريَّة ولم يأتِ بها، سَوَاءٌ ما كانَ مُنتَشِراً مِنَ الأَغرَاضِ في عَصرِهِ بِشَكلٍ خَاصٍّ -كَأغراضِ التَّوَارِيخِ وَالأَلغازِ والأَحَاجِي و وَصْفِ الطَّبيعَة- أَم مَا كَانَ منَ الأَغراضِ الشِّعريَّةِ الأَسَاسِيَّةِ بِشكلٍ عَامٍّ -كَغَرَضَي الفَخر وَالهِجَاء-.

كَانَت شَاعِرِيَّةُ الحَدَّادِ تَتَدَفَّقُ فِي أغلبِ الأَغرَاضِ الشِّعرِيَّة الَّتِي طَرَقَهَا -كَغَرَضَي الغَزَل وَالمديحِ النَّبويّ-، لَكِنَّه فِي بعضِ المَوَاضِعِ لَم تَكُن أبياتُهُ إلَّا نَظمَاً خَالِيَاً مِن وَصْفِ الشِّعرِ الدَّقيق-كَمَا فِي بَعضِ المَوَاضِعِ فِي غَرَضِ الوَعظِ-.

أَثْرَت وَأَثَّرَت في أَغْرَاضِهِ الشِّعريَّة عِدَّةُ عَوَامِلَ:

أَوَّلُها: القُرآنُ الكَرِيمُ وَالحَدِيثُ الشَّريفُ، حَيثُ تَرَكَا أَثَرَاً جَليَّاً فِي لُغَتِهِ وَأُسلُوبِهِ، وَكَأنَّ مُعجَمَهُ اللُّغويَّ مُسْتَمَدٌّ مِنهُمَا، وَكَانَت لهُمَا بَصْمَةٌ وَاضِحَةٌ فِي شِعْرِهِ، وَهَذَا شَيءٌ طَبِيعِيٌّ إِذَا مَا نَظَرْنَا إلى طَبيعَةِ التَّكوينِ الثَّقَافِيّ لَدَى الحَدَّاد؛ -وَقَد ظَهَرَ هَذا الأَثَرُ فِي كُلِّ أَغرَاضِهِ الشِّعرِيَّة-.

وَثانِيهَا: اضطِهَادُ الحُكَّامِ لِلحَدَّادِ وَفَسَادُهُمُ الَّذي اسْتَشْرَى فِي ذَلِكَ الزَّمَان وَظَهَرَت آثَارُه في العِبَادِ وَالبِلَادِ، وَما رَافقَهُ مِن سُوءِ الأَحْوَالِ الاقتِصَادِيَّةِ وَالاجتِمَاعِيَّة؛ -ظهرَ هَذَا الأَثَرُ خُصُوصَاً فِي غَرَضَي الدُّعَاءِ والمدِيحِ النَّبَويّ-.

وَثَالِثُهَا: نِسْبَةُ الحدَّادِ المُثبَتَةِ إِلَى آلِ البَيت، إِضَافَةً إِلَى مَنهَجِ الأُسرَةِ الَّتي يَنتَمي إِلَيهَا -القَائِمِ عَلَى الدَّعوة-، جَعَلَا مِنهُ مُكثِراً من النُّصحِ في غَرَضِ الوَعظِ، كَمَا زوَّدَت شِعْرَه فِي غَرَضِ

المَديحِ النَّبَوِيّ بِمشَاعرَ مُفْعَمَةٍ بالصِّدقِ وَالمحَبَّةِ جَعَلَتهُ طارِحاً التَّكلُّفَ وَالإسرافَ فِي الصِّناعَةِ البَلَاغيَّة.

كَانَ للدِّيارَ المقدَّسَةِ (مكَّة والمدينَة المنَوَّرة) بِمَآثِرِهَا وَآثَارِهَا وَجِبَالهَا وَأَوْدِيَتِهَا حُضُورٌ بَارِزٌ فِي أَكْثَرِ أَغرَاضِهِ الشِّعريَّة – الغَزَل والمدِيح النَّبويّ والدُّعاء–، وكَذَلكَ أَغرَاض قَصَائِدِهِ الطِّوال –التَّائيَّة الكبرى والرَّائيَّة الكبرى–.

إنَّ الشَّاعرَ الحَدَّاد – لِكَونِهِ عَالماً فِي العُلُومِ الإسلَامِيَّة مُتَبَحِّراً بها–، قَد وَظَّفَ حَيَاتَهُ كلَّهَا لِخِدمَة الشَّرِيعَةِ، وَكَان من جُملةِ مَا سَخَّرَهُ في ذلك لِسَانه الأَدَبِيّ ومَلَكَتَه الشِّعريَّة، فجاءت أغراضُهُ الشِّعريَّة نتيجةً لهذا التَّسخِير، بِشَكلٍ أسَاسيٍّ أوَّلاً، ومِن ثمَّ للتَّعبير عن المشَاعِرِ والعَوَاطِفِ بالدَّرَجة الثَّانية.

وإذا كانت خدمةُ الإسلامِ والدَّعوةُ إِلَيهِ هُمَا الغَايةُ وَالهَدَفُ عِندَهُ، فإنَّ شِعرَهُ كان الوَسيلةَ لِلوصولِ إِلَى تلكَ الغَاية، فَكَانَت أغراضُهُ الشِّعريَّةُ تَصُبُّ فِي غَالِبِهَا –إِن لَم نَقُلْ كلَّها– في خِدمةِ الدَّعوَة.

إِنَّنَا لَنَسْتَطيعُ القَولَ إنَّ شعرَ الحَدَّاد جاءَ مُتكامِلاً، إِذَا مَا نَظَرْنَا بعينِ الاهتِمَامِ إِلَى الرَّأيِ القَائِلِ بِأنَّ الشِّعرَ هوَ لُغَةُ الرُّوحِ وَعَلَاقَاتَهَا الثَّلاث مِن حيث عَلَاقَتِهِ بالنَّاس (وذلكَ في غَرَض الوَعظِ والمدِيحِ النَّبويّ والرِّثَاء) وبسائر الموجودات (وَذلكَ في غرضِ الغَزَل بالكَعبة، ووَصْفِهِ لِلمَشَاعرِ المقدَّسَة في الحَرَمَين) وبما وَرَاء المادَّة (كما في غَزَلِهِ الرَّمزِيّ، وَحَدِيثِهِ عنِ الرُّوح وعالَمِهَا الَّذِي تَرنُو إِلَيهِ).

وبعد هذا يمكِنُنا القَول إنَّ ديوانه الشِّعريّ بشكلٍ عام جَاءَ ذا صِبغةٍ وطَابِعٍ دِينِيٍّ، فِي غَالِب زَوَايَاهُ وَأَغرَاضِهِ ومَوضُوعَاتِه واقتِباسَاتِهِ، واتَّسَمَت لُغَتُهُ الشِّعريَّةُ بِالسُّهُولَةِ فَكَانَت أَلفَاظُهُ عَذْبَةً وَتَرَاكِيبُهُ سَمْحَةً مُسْتَسَاغَةً، وَابتَعَدَ فِي أُسلُوبِهِ عن الأَلفَاظِ وَالتَّراكيبِ الغَرِيبَةِ.

أمَّا **التوصيات**: فاستناداً إلى ما تمَّت مناقشته ودراسته في هذا البحث أُوصِي بما يلي:

إعَادة تَحقيقِ ديوَان الحدَّاد مَرَّة أخرَى والانتِباه إلى الأَخطاء العَرُوضِيَّة والإملائيَّة فِيه والإِشَارَة إليهَا وَتَصحِيحِها.

النَّظر في التُّراث الحضرميِّ الأَدَبيِّ قُبَيلَ عَصر الحدَّاد إلى نِهَاية العَصرِ العثماني، ودِرَاسَتِه لاستِخرَاجِ مَا فيهِ من النَّماذج الجَيِّدة من شعر الحضارِمة وتَسليط الضَّوءِ عَلَى هَؤلاءِ الشُّعراء وَدَوَاوِينِهِم ودراسةِ مَا طَرَقُوهُ من أغراضٍ تُثرِي المكتبةَ الأَدَبِيَّة الشِّعرِيَّة.

# مُلحَق

*صورة يظهر فيها البيت الشعري الذي قاله الحدَّاد في غرض المديح النبوي، والذي لا يزال إلى اليوم منقوشاً فوق الحجرة النبويَّة الشريفة*

# المصادر والمراجع


القرآن الكريم (*مصحف المدينة النبوية*)، مجمع الملك فهد ط ١٤٢٦هـ

ابن الجوزي، عبد الرحمن بن محمد (ت٥٩٧هـ)، *تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر*، دار البشائر الإسلاميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ

ابن الفارض، عمر (ت٦٣٢هـ). *ديوان ابن الفارض*. بيروت، دار صادر

ابن تغري بردي، أبو المحاسن جمال الدين يوسف (ت٨٧٤هـ). *النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة*، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، مصر.

ابن تيمية، أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم (ت٧٢٨هـ)، *مجموع الفتاوى الكبرى*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م

ابن ثابت، حسان *ديوان حسان بن ثابت*، تح: عبده مهنَّا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٩٤م ١٤١٤هـ

ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد(ت٢٤١هـ)، *مسند الإمام أحمد بن حنبل*، تح: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ١٤٢١هـ ٢٠٠١م

ابن دريد، أبو بكر بن محمد الأزدي ت(٣٢١هـ). *جمهرة اللغة*. تح: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.

ابن زهير كعب، *ديوان كعب بن زهير*، تح علي الفاعور دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٩٧م/١٤١٧هـ

ابن عاشور، الطاهر، *تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد*، الدار التونسية للنشر، تونس ط١٩٨٤م

ابن قدامة، أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي ت(٣٣٧هـ). *نقد الشعر*، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١م

ابن سيدَه، أبو الحسن علي بن إسماعيل، المخصَّص، تح: خليل إبراهيم جفَّال، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت٧٧٤هـ)، *البداية والنهاية*، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط١، مصر ١٤١٨ هـ ١٩٩٧م

ابن معصوم، صدر الدين علي(ت١١١٩هـ)، *سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مِصر*، مكتبة محمد ناجي، مصر، ط١، ١٣٢٤هـ

ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم ت(٧١١هـ). *لسان العرب*، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ

أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم ت(٢١١هـ). *ديوان أبي العتاهية*، دار بيروت للطباعة، بيروت، ١٩٨٦م

أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي(ت٢٣١هـ)، *ديوان الحماسة*، تح: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، ط٣، دار المعارف، القاهرة، مصر

أبو نواس، الحسن بن هانئ ت(١٩٨هـ). *ديوان أبي نواس*. بيروت، دار صادر للطباعة والنشر ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م

الأحسائي أبو بكر الملا بن محمد، *نبذة من مجالس الحَدَّاد*، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، الأردن.

إسماعيل، تحية عبد العزيز(t.a.ismail)، *classic Arabic as the ancestor of indo-europian languages*، مطابع الإهرام، مصر، ١٩٨٩م

الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب (ت ٢١٦هـ)، *الأصمعيَّات*، تح: أحمد محمد شاكر / عبد السلام هارون، دار المعارف القاهرة مصر، ط٧، ١٩٩٣م

الأعلم، أبو الحجاج يوسف بن سليمان(ت٤٧٦هـ)، أشعار الشعراء الستة الجاهليين، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، المطبعة المنيرية بالأزهر، القاهرة، مصر، ط١، ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م

الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر (ت٣٧٠ هـ)، *الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري*، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط٤.

الأندلسي، شهاب الدين أحمد ابن عبد ربه، *العقد الفريد*، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ

الأندلسي، أبو حيَّان أثير الدين محمد بن يوسف، *البحر المحيط*، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٢٠هـ

باذيب، د.محمد أبوبكر *إسهامات علماء حضرموت في نشر الإسلام وعلومه في الهند*، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، الأردن.

باذيب، د.محمد أبوبكر *جهود علماء حضرموت في خدمة الفقه الشافعي*، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، الأردن.

باشا، عمر موسى. *الأدب في بلاد الشام*. المكتبة العباسية، دمشق سوريا، ط٢، ١٩٧٢م
باكثير، عبد الله بن محمد بن سالم، *رحلة الأشواق القوية*، مع تعليق عبد الله السقاف، مطبعة العلوم بشارع الخليج، ١٣٥٨هـ
البخاري، محمد بن إسماعيل ت(٢٥٦هـ). *الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه / صحيح البخاري*، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ
بحرق، محمد بن عمر(ت٩٣٠هـ)، *حدائق الأنوار ومطالع الأسرار في سيرة النبي المختار*، تح: محمد غسان نصوح عزقول، دار المنهاج، جدة المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨هـ
البدوي، مصطفى حسن. *الإمام الحَدَّاد منهجه سيرته*. دار الحاوي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م
البرعي، عبد الرحيم (ت٤٠٣هـ). *شرح ديوان البرعي*. تحقيق وتعليق: عبد الرحمن محمد، المطبعة البهية المصرية، مصر، ١٣٥٧هـ
البصري، صدر الدين علي بن أبي الفرج(ت٦٥٩هـ)، *الحماسة البصريَّة*، تح: مختار الدين أحمد، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان
البوصيري، شرف الدين(ت٦٩٦هـ)، *بُردة المديح*، دار الحديث الكتانية
البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين (ت٤٥٨هـ)، *السنن الكبرى*. تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣م
التبريزي، يحيى بن علي(ت٥٠٢هـ)، شرح مقصورة ابن دريد، تح فخر الدين قباوة، ص١٣ مكتبة المعارف، بيروت، لبنان،١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م
الترمذي، محمد بن عيسى ت(٢٧٩هـ). *سنن الترمذي*، تح: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م
التفتزاني، سعد مسعود بن عمر(ت٧٩٢هـ)، *مختصر المعاني*، (مُصَوَّر عَن مخطوطة)، دار صالح بيليجي للكتب، استامبول، تركيا
الثعالبي، عبد الملك أبو منصور(ت٤٢٩هـ)، *تحسين القبيح وتقبيح الحسن*، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان
الجبوري، يحيى، *الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه*، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٥، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م
الجرَّاوي، أبو العباس أحمد بن عبد السلام(ت٦٠٩هـ)، *الحماسة المغربية*، تح: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٣
الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ت(٤٧١هـ). *دلائل الإعجاز*، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٩٩٨م
الجرجاني، الشريف علي بن محمد ت(٨١٦هـ). *التعريفات*. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣م
الجمحي، محمد بن سلّام(ت٢٣٢هـ)، *طبقات فحول الشعراء*، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، المملكة العربية السعودية
الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حمَّاد ت(٣٩٣هـ). *تاج اللغة وصحاح العربية*. تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧م.
الحبشي، أحمد بن زين(ت١١٤٤هـ)، *الموارد الرَّوِيَّة الهنيَّة*، دار الحاوي، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م
الحبشي، أحمد بن زين، *شرح العينية*، دار العلوم الإسلامية، سنغافورة
الحَدَّاد، عبد الله بن علوي(ت١١٣٢هـ)، *الحِكَم*، دار الحاوي، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م
الحَدَّاد، عبد الله بن علوي، *الدعوة التامة والتذكرة العامة*، دار الحاوي، بيروت، ط٤، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م
الحَدَّاد، عبد الله بن علوي، *النصائح الدينية والوصايا الإيمانية*، دار الحاوي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م
الحَدَّاد، عبد الله بن علوي، *سبيل الإدِّكار والاعتبار بما يمر بالإنسان وينقضي له من الأعمار*، دار الحاوي، بيروت، ط٢، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م
الحَدَّاد، عبد الله بن علوي، *مكاتبات الحَدَّاد*، دار السنابل ودار الحاوي، بيروت، دمشق، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م
الحَدَّاد، علوي بن طاهر(ت١٣٨٢هـ)، *مدخل إلى التاريخ الإسلامي في الشرق الأقصى*، تح: محمد ضياء شهاب، دار المعرفة، جدة، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م
الحَدَّاد، عبد الله بن علوي ت(١١٣٢هـ)، *الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم* " *ديوان شعر*"، دار الحاوي، بيروت، ط٢
حسين، محمد بن سعد، *محمد بن عبد الله بن بليهد وآثاره الأدبيَّة*، مطابع اليمامة، الرياض، ط١، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م
الحلبي، شهاب الدين محمود ت(٧٢٥هـ). *حسن التوسل إلى صناعة الترسل*. تح: أكرم عثمان، وزارة الثقافة، بغداد، ١٩٨٠م

حلمي، محمد مصطفى، *ابن الفارض والحب الإلهي*، دار المعارف، مصر، ط٢
الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله ت(٦٢٦هـ). *معجم الأدباء/إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب*. تح: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م
الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦هـ)، *معجم البلدان*، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م
الخطيب، لسان الدين (ت٧٧٦هـ). *الإحاطة في أخبار غرناطة*، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤ هـ
الخطَّابي، أبو سليمان بن محمد(ت٣٨٨هـ)، *شأن الدُّعاء*، تح: أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، بيروت، ط٣، ١٩٩٢م
الخفاجي، شهاب الدين أحمد، *شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدَّخيل*، تح: محمد عبد المنعم الخفاجي، المطبعة المنيرية بالأزهر، مصر، ط١، ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م
الدينوري، ابن قتيبة عبد الله بن مسلم (ت٢٧٦هـ)، *الشعر والشعراء*، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٢٣هـ
الرازي، فخر الدين(ت٦٠٦هـ)، *التفسير الكبير*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ
الرَّازي، زين الدين محمد بن أبي بكر(ت٦٦٦هـ)، *مختار الصِّحاح*، الدار العصريَّة، بيروت، ١٩٩٠م،
الرافعي، مصطفى صادق (ت١٣٥٦هـ)، *تاريخ آداب العرب*، دار الكتاب العربي، القاهرة.
الزركلي، خير الدين بن محمود (ت١٣٩٦هـ)، *الأعلام*، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢م
الزبيدي، أبو الفيض مرتضى محمد بن محمد (ت١٢٠٥هـ)، *تاج العروس من جواهر القاموس*، تح: عبد العليم الطحاوي، دار الهداية، الكويت، ط١، ١٤٣١هـ/ ٢٠٠٠م
الزمخشري، جار الله محمود(ت٥٣٨هـ)، *أساس البلاغة*، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م،
زيدان، جرجي(ت١٩١٤م)، *تاريخ الأدب العربي*، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان
السَّخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن(ت٩٠٢هـ)، *الضوء اللامع لأهل القرن التاسع*، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
السقاف، أحمد حسن صالح، *منهج الحَدَّاد في العقيدة*، لا يوجد تاريخ للطباعة أو مكانها.
السندي، محمد حياة المدني(ت١١٦٣هـ)، *شرح قصيدة الحَدَّاد*، تح: نزار حمادي، لايوجد تاريخ للطباعة أو مكانها
السقاف، عبد الرحمن بن عبيد الله ت(١٣٧٥هـ)، *إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت*، تح: محمد غسان نصوح عزقول، دار المنهاج، جدَّة، ط١، ٢٠٠٥م
السقاف، عبد الله بن محمد ت(١٣٨٧هـ). *تاريخ الشعراء الحضرميين*، مطبعة حجازي، القاهرة، مصر ١٣٥٣هـ
السقاف، علوي بن أحمد، *علاج الأمراض الردية*، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، مصر ١٣٥٨هـ ١٩٤٠م
الشاطري، محمد بن أحمد بن عمر. *أدوار التاريخ الحضرمي*، دار المهاجر، المدينة المنورة المملكة العربية السعودية ١٤١٤هـ ١٩٩٤م
الشاطري، محمد بن أحمد، *سيرة السلف من بني علوي الحسينيّين*، دار الحاوي بيروت لبنان
السميط، أحمد بن أبي بكر(ت١٣٤٣هـ)، *الكوكب الزاهر على نسيم حاجر*، مطبعة المدني القاهرة مصر ١٩٦١م-١٣٨١هـ
السميط، أحمد بن أبي بكر، *تحفة اللبيب بشرح لامية الحبيب*، دار الكتب العربية، مصر
السميط، أحمد بن أبي بكر، *منهَل الوُرَّاد*، المطبعة الميرية، مكة، ١٣١٥هـ
الشامي، أحمد محمد، *قصة الأدب في اليمن*، مكتبة الإرشاد، صنعاء، اليمن.
الشجَّار، أحمد بن عبد الكريم، *تثبيت الفؤاد*، ط١ مطبعة فستاك ناشيونال، سنغافورة ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م
الشرواني، أحمد بن محمد، نفحة اليمن في ما يزول بذكره الشجن، مطبعة التقدم العلمية، مصر، ط١، ١٣٢٤هـ
الشلّي، محمد بن أبي بكر(ت١٠٩٣هـ)، *المشرع الروي*، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٩
الضَّبّي، المفضل بن محمد(ت ١٦٨هـ) *المفضليّات*، تح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٦
ضيف، شوقي ت(١٤٢٦هـ). *تاريخ الأدب العربي العصر العباسي*. دار المعارف، مصر، ط١٠، ١٩٩١م.
عبد الرحيم، محمد. *الدعاء في الشعر العربي*. دار الراتب الجامعية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م
العسقلاني، أحمد بن حجر ت(٨٥٢هـ). *الإصابة في تمييز الصحابة*. تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله ت(٣٩٥هـ). *الصناعتين*. المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٩هـ
العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، *الفروق اللغويّة*، تح: بيت الله بيات، مؤسسة النشر الإسلامي، قُم، ١٤١٢هـ
العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين(ت٦١٦هـ)، *شرح ديوان المتنبي*، تح: مصطفى السقا، دار المعرفة، بيروت، لبنان
الغزالي، محمد(ت١٤١٦هـ)، *الجانب العاطفي من الإسلام*، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الجيزة، مصر، ط٣، ٢٠٠٥م
الفارسي، علاء الدين بن علي، *الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان*. تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٨ م
الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب(ت٨١٧هـ)، *القاموس المحيط*، تح: محمد نعيم عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت،٢٠٠٥م
فروخ، عمر(ت١٩٨٧م)، *تاريخ الأدب العربي الأعصر العباسية*، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
فروخ، عمر، *تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي والإسلامي والأموي*، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨١م.
القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق ت(٤٦٣هـ)، *العمدة في محاسن الشعر وآدابه*، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط٥، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م
كحالة، عمر رضا(ت١٩٨٧م)، *معجم المؤلفين*، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان
المبرِّد، أبو العباس محمد بن يزيد ت(٢٨٥هـ). *الكامل في اللغة والأدب*. دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧م
المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، *التعازي*، تح: إبراهيم محمد حسن الجمل، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر
مجموعة مؤلفين، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار) *المعجم الوسيط*. منشورات مجمع اللغة العربية القاهرة.
المرادي، أبي الفضل محمد بن خليل(ت١٢٠٦هـ)، *سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر*، المطبعة الميرية، القاهرة، ١٣٠١هـ
مكي، الطاهر أحمد، *دراسة في مصادر الأدب*، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٨، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م
مقدم، ماهر عبد الحميد، *شرح الدعاء في الكتاب والسُّنَّة*، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط١، ٢٠١١م
الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (ت٥١٨هـ). *مجمع الأمثال*. تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت.
الميداني، عبد الرحمن حسن حبنَّكة(ت١٤٢٥هـ)، *البلاغة العربية*، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .
النبهاني، يوسف بن إسماعيل(ت١٣٥٠هـ)، *رياض الجنة*، تح: عماد علايلي، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٠م
الندوي، أبو الحسن علي(ت١٤٢٠هـ)، *رجال الفكر والدعوة في الإسلام*، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م
النعيمي، محمد أنور إسماعيل، *الاتجاه النفسي في نقد السرد العربي الحديث*، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان
النيسابوري، أبي عبد الله الحاكم(ت٤٠٥هـ)، *المستدرك على الصحيحين*، تح: مصطفى عبد القادر عطايا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ /١٩٩٠م
السميط، محمد بن زين(ت١١٧٣هـ)، *الكواكب الدرية بشرح الأبيات الحَدَّادية*، دار الفتح للدراسات والنشر، عمان، الأردن،١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م
الهيتمي، أحمد ابن حجر ت(٩٧٤هـ). *شرح متن القصيدة الهمزية للبوصيري*، المطبعة الخيرية، مصر، ط١، ١٣٠٧هـ
اليعمري، فتح الدين محمد بن سيد الناس ت(٧٣٤هـ)، *مِنَح المِدَح*، تح: عِفَّت وصال حمزة، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

***المواقع الإلكترونية:***

tural.blogspot.com باذيب، محمد أبوبكر، مقالة منشورة بتاريخ ٢٠١٥/٩/٨م بعنوان "السادة آل با علوي الحضارمة حُمَاة العقيدة وحُدَّام الكتاب والسُّنة وفرسان دعوة الإسلام"، تاريخ الزيارة ٢٠٢٠/٠٣/٢٥م